مســار مناضل

العنوان الأصلي :

PARCOURS D'UN MILITANT

محمد مشاطي

مســـار منـــاضـل

ترجمة : زينب قبي

هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين
بمناسبة الذكرى الـ 55 لاندلاع الثورة التحريرية

منشورات الشهاب

© منشورات الشهاب، 2010

ردمك : 978-9961-63-838-5

الإيداع القانوني : 2010/4014

أهدي هذا الكتاب على الخصوص :

إلى مناضلي الإسناد، على المساعدات التي قدموها لرفاقهم المطاردين أو المحكوم عليهم بالإعدام وذلك قبل نوفمبر 1954، وأذكر ممن بقي في ذاكرتي : بوكشورة مراد ومجيد، عيسى كشيدة، مسعودي عبد الواحد، دبيح شريف، دريش الياس، قاسي عبد الرحمن وقويقع أحمد ومحمد. وليعذرني كل أولئك الذين نسيتهم.

إلى الشعب الجزائري لمقاومته المشهودة عبر القرون، ولولعه بالحرية والعدالة.

إلى المرأة الجزائرية على شجاعتها اليومية الرائعة.

إلى عبان رمضان، بخوش عبد السلام المدعو ساسي، شيهاني بشير، ملاح سليمان المدعو رشيد، زادي الشريف، زيغت اسماعين الذين اغتيلوا بجبن من طرف رفاقهم.

إلى ألبير كارتيرون وجان كوربون لمشاعرهم الإنسانية النبيلة.

مع تشكراتي لكثير من الأشخاص الذين ساهموا في إنجاز مذكراتي :

إلى السيد علي قنون، مُحضِّر دكتوراه في التاريخ. الذي قام من ماي حتى نوفمبر 2000 بتسجيل أولى اللقاءات.

إلى السيدة دليلة لاماران، متخصصة في علم الاجتماع، التي نقلت أولى الأشرطة وصححت نصوص النسخة الأولى من المذكرات.

إلى السيدة كاترين دارمالله التي نقلت أيضا عشرات الساعات من التسجيلات ورتبت الشهادة.

إلى السيد دحو جربال الذي جمع كافة الشهادات وسجل جزءا منها ووضع الصيغة النهائية.

إلى السيد أبو بكر حميدشي، معلق سياسي، لوضعه خاتمة الكتاب.

إلى السيد نور الدين فتحاني، لترتيبه مقالاتي الصحفية حسب المواضيع.

إلى بلاد أنترنت نصيرة، سعيد وفضيلة.

وإلى صديقتنا ليلى غلام الله، محرك المهام الذي لايعرف التعب دون انتظار مكسب.

إلى زوجتي ليليان لأسلوبها المضبوط، المقتضب والمحترم للقاعدة.

« دعوهم يقولون، دعوهم يوبخونكم ويدينونكم ويسجنونكم، اسمحوا أن يشنقوكم ولكن انشروا فكرتكم، ليس ذلك حق بل واجب وواجب محتوم لكل من له فكرة أن ينتجها وأن يضعها في المصلحة العامة. الحقيقة كلها للجميع، إن الذي تعرفونه مفيد، وجدير بأن يعرف من قبل كل واحد، لايمكن أن يسمح لكم الضمير أن تكتموه. أن تتكلم فذلك جيد وأن تكتب فذاك أفضل. وأن تطبع فذلك شيء رائع »

ب. ل. كوريي (1772 ـ 1885).

المقدمة

بهذا الكتاب لمحمد مشاطي، تكون بين أيدينا إحدى الشهادات النادرة لعضو لما تعودنا على تسميته « لجنة الـ 22 »، والتي ستسمى ابتداء من الآن « لجنة 21 ». فعلا، قليلون هم الأحياء من هذه المجموعة الشهيرة الذين اجتمعوا في بيت متواضع هادئ في حي لارودوت (المرادية) صائفة 1954، والذين اتخذوا قرارا أصبح فيما بعد حدثا تاريخيا حقيقيا. هناك حوارات أعطاها بعض منهم أو نصوصا صدرت في وسائل إعلام أو كتبا تم تحرير أغلبها من طرف أصحاب أقلام كرماء. ولكننا هنا، نحن أمام إنتاج لعمل طويل تم برفقة مؤرخين من جيل الاستقلال. إننا نجد في هذا السرد ما ينقص المذكرات المحررة بسرعة قصد الاستجابة إلى إحياء مناسبة ما أو لسبب ظرفي.

وبتتبعنا لمسار الشاهد منذ طفولته الأولى نجد أنفسنا منغمسين في الوسط القسنطيني الذي احتضنه وزوده بمعارفه الأولى، التي ستسمح له بالنجاة أمام الكم الهائل من المحن. نكتشف ثراء المجتمع بحرفييه الصغار وزواياه، وكذلك التباين المادي الذي نجده بين العائلات الصغيرة والكبيرة. نطلع أيضا على الروابط التي تجمع أو تفرق مجموعات الانتماء سواء كانت في العرق أو الدين أو الجيرة. نشاهد بروز وجوه مؤثرة لم يسجل « التاريخ » أسماءها دائما. نفهم أكثر الحيز الذي أخذته بعض الشخصيات في الحياة السياسية أو الدينية في المدينة القسنطينية. ولأول مرة نطلع على الطرق والوسائل التي استعملها المناصرون الأوائل للاستقلال لفتح مجال ملائم كانت تتحكم فيه دون مشاركة الوجوه الكبيرة للاندماج والإصلاح الديني.

لذلك فهو من الأهمية بمكان ليس من باب سرد الحكايات بل من الجانب التاريخي الحقيقي أن نتابع مع محمد مشاطي مسار متمرن شاب بالمدرسة التطبيقية للصناعة بقسنطينة الذي جند في صفوف الجيش الفرنسي وشارك في الحملات الكبرى للجبهة الجنوبية والذي فجأة يجد نفسه في 8 ماي 1945 مواجها الواقع الدامي للنظام الاستعماري. عندها تحول كل شيء، والتقى العسكري المُسرّح أولئك الذين سيقودونه ويرافقونه في طريق التحرر. كم من أسماء مشهورة وكم من مناضل مجهول، وهم يخاطرون بحياتهم، بنوا تنظيم حزب الشعب الجزائري ونشروه في أبعد نقاط البلاد. وياله من عمل جبار ذلك الذي يقوم به المناضل السري الذي تم دمجه في المنظمة الخاصة ليذهب إلى لقاء الثوار الحقيقيين، والذي راح مثلهم، من قرية إلى قرية ومن دوار إلى دوار، ينسج الخيوط على مدى السنين لما سيصبح فيما بعد جبهة التحرير الوطني / جيش التحرير الوطني في نوفمبر 1954.

لكن، وإضافة إلى كثير من الشهادات الأخرى يتحدث محمد مشاطي عن « لجنة 21 » وعن سوء التفاهم والخلافات وحتى الصراعات التي كان يحملها الحدث. يمكن أن نلومه لنقده المبالغ فيه والشخصاني في بعض الأحيان لسلطوية بعض القادة الكارزماتيين، ولكنه من الأهمية الكبرى أن نسمع ذلك بصوت أحد مَن كان مِن أقرب رفاقهم . ونفهم هكذا ظروف ماسماه بعضهم « تهرّب مجموعة قسنطينة » في نوفمبر 1954. وهناك أيضا أحداث هامة نجدها في أجزاء هذا الكتاب والمخصصة لإرساء فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا والتي كان محمد مشاطي أحد مسؤوليها الأوائل.

ويستمر مسار المناضل في زنازين السجون الفرنسية الكبرى قبل أن يعانق الحرية أخيرا رفقة إخوانه.

ولكن الجزء الأخير من هذا المسار النضالي كان أكثر فوضوية، بل حتى دراماتيكيا، وهو يلخص لوحده ماعرفه مئات بل حتى الآلاف من المكافحين في الأيام الأولى للاستقلال.

إنه نص لايمكن أن نعتبره بالمفهوم الدقيق كوثيقة تاريخية ولكنه دون شك سيساهم في كتابة تاريخ مازال غير معروف، تاريخ من لاصوت لهم.

دحو جربال

تمهيد

من البديهي القول أن لاشيء يأتي من العدم. فكل فعل وكل قرار له بداية ونهاية، وكل نهاية هي نتيجة منطقية لبدايتها خيرا كانت أم شرا. بعد هذا هل بدأنا ثورتنا بشكل جيّد ؟ إذا كان الجواب بنعم فمؤتمر الصومام لم يكن له داع. قيل أن أصحاب القرار كانوا أمام معضلة : الانطلاقة أولا ثم التنظيم فيما بعد، أو التنظيم أولا ثم الانطلاقة بعد ذلك، وهو ما كان قد اقترحته عناصر من قسنطينة. كما نعرف، كان الخيار الأول هو الذي فرض علينا بنتائجه الوخيمة غالبا على المستوى الوطني. من المؤكد أن القناعات كانت قوية جدا للمرور إلى العمل المسلح.

كان استقلال الجزائر حتميا، مسجلا في أعماق الروح غير المتخاذلة والمتمردة للشعب، شعب لم يتوقف أبدا عن الانتفاض خلال كل تاريخه ضد استعمار بلاده. وهذا ماجعل بن مهيدي يقول : فلنرم بالثورة إلى الشارع سيحتضنها الشعب. لقد احتضنها الشعب وكلفه ذلك غاليا جدا.

I ـ طفولة فقيرة

1 ـ الوسط، المدرسة

يعود أصل اسم أجدادي إلى بني مشاط (دوار مشاط)، ببلدية الميلية بشمال قسنطينة بين الميلية والقل. جدي بوجمعة مشاطي، كان في وقته، يتنقل بين القرية وقسنطينة لبيع منتوج والديه من زيت الزيتون. ثم استأجر دكانا صغيرا في فندق الزيت وتزوج هناك وأقام وأنجب طفلين : أبي الطاهر المولود في 1865 (أعطى الطاهر سن 18 سنة للحالة المدنية التي وُضعت سنة 1883) وأخوه الأكبر عبد الرحمن. التحق الاثنان بالمدرسة القرآنية وتعلما مهنة لكسب عيشهما، كانا صانعي نعال « صبابطية » فكان أبي يصنع الشبرلا للنساء، وعمي يصنع البلغة للرجال بفندق بلحاج مصطفى في الحي المسمى الشط.

تزوج كل من والدي وعمي في قسنطينة. تزوج أبي من فاطمة بنت بن اعمر، والدتي، المولودة بقسنطينة سنة 1898 من عائلة أصولها من الأوراس قرب باتنة. أنجبت طفلين ماتا صغيرين، قبل أن أولد أنا محمد في 4 مارس 1921. ترعرعت في بيت عربي في الحي القديم سيدي بوعنابة (شارع الزواف[1] الثالث رقم 37) سابقا. كان عمي مع زوجتيه يؤجر غرفة في الطابق الأرضي وكنت أنا ووالدي وأمي نسكن غرفة أخرى مجاورة، كنا نشكل عائلة واحدة متمدنة وفقيرة. في تلك السنوات كان البؤس طاغيا، إضافة إلى أن العمل الحرفي في صنع النعال كان مهددا في ذلك الوقت بالتصنيع.

1 ـ اسم الفيلق الذي دخل من هذا الجانب من المدينة خلال الغزو الفرنسي سنة 1837.

من بين الجيران، كان يوجد الحداد والنجار (صاحب البناية) وبائع الخضر وعامل في الثكنة يدفع عربة. كانت الحياة الاجتماعية تمر بظروف استثنائية عند جميع العائلات تغمرها المحبة والتعاون في السراء وعندما تضرب العلل والموت.

وكانت ألعاب الأطفال تتمثل في مباريات لاتنتهي في الكيني (نوع من المنجنيق كنا نصنعه من قطعتي خشب)، والكريات، وكرة القدم المبتكرة وكنا نأخذ كنموذج لاعبينا المفضلين من فريق CSC (الشباب الرياضي لقسنطينة) الفريق الأول للمدينة.

أستحضر من تلك المرحلة حادثة طريفة : كان من بين من يكبرنا سنا طفلة تلعب معنا دون عقدة وتنافسنا بكل الوسائل الممكنة سواء في ركوب الدراجة أو التسابق أو لعب الكرة، كانت تسمى فاكية وهي ابنة عمي مسوس المتقاعد من الجيش الفرنسي. في أحد الأيام رأيتها تتعارك مع مسعود شادي أحد كبار الأطفال في حينا، وكانت توجه له اللكمات وضربات الرأس ولما أحكم قبضته على شعرها أخرجت سكينا وضربته، أطلق قبضته صائحا : « ياخاوتي راهي ضربتني بالموس » كانت « عيشة راجل »، كما تسميها نساء الحي.

كانت الاحتفالات التقليدية تتم بالاتصال بالزوايا الدينية، وكانت توجد في قسنطينة حوالي عشرة، منها : العيساوة، الطيبية، القادرية، والتيجانية الموجودة في الحي على ضفاف وادي الرمال ؛ أما الرحمانية والحنصلة فكانت موجودة في حي الرصيف بالقرب من شارع اليهود. وكانت الزوايا الأكثر قوة تحضر كل الحفلات، وترتبط أهميتها بشخصية وعدد المنتمين إليها. كانت تجمع نفس الفئات الاجتماعية ولم تكن لها إيديولوجية خارج الإطار الديني غير أنها لم تكن بمنأى عن تلاعبات السلطة. فمثلا ووعيا منه بهذا الخطر، ولغرض مكافحة تأثيرها السلبي أنشأ ابن باديس جمعية العلماء. وفور ذلك حثت السلطة الاستعمارية الشيخ بن حملاوي على إنشاء جمعية منافسة والتي سماها « جمعية الكتانية » والتي كانت تحت سيطرة الإدارة، وهي التي درس فيها الشاب بوخروبة، هواري بومدين. كانت الزوايا لاتختلف عن بعضها إلا في الطقوس وبعض الجوانب الاحتفالية، فمثلا كانت القادرية والعمارية تكتفي بالطبل في حين كانت العيساوة تستعمل البندير

(الدف) وتقوم بتمارين استعراضية كلعبة السيف والإبر في الفم إلخ... الحنصلة الذين كانوا أكثر حداثة، هم الوحيدون الذين يستعملون العود والكمنجة والطار والدربوكة والنقرات. وهي الزاوية التي كنت أفضلها، لأنها الأكثر جاذبية في عيني الطفل الذي كنت. وكان عمي عبد الرحمن يأخذني إليها، في حين كان والدي ينتمي إلى زاوية الطيبية (نسبة لمولاي الطيب). كانت هاتان الأخيرتان تعملان في المدح الصوفي. خلال الاحتفالات كان الإخوان يدخلون المنازل على ضربات الدفوف يقرأون الأحزاب ويرتلون ببطء كلمات تبجيل تعلمتها معهم. وبعد الطعام تبدأ المرحلة الموسيقية « الأعلى » مع أغاني أندلسية مرفوقة بمختلف الآلات، منها الكمنجة التي كانت تسحرني وتثير انبهاري.

ابتداء من سن الخامسة بدأت تعليما قرآنيا في زاوية سيدي عبد المومن، كان معلمي الشيخ يقول بأنني تلميذ نجيب مواظب على تعلم القرآن، حيث وصلت حتى ثلاثة أرباع المصحف (حتى سورة يوسف). كنت أذهب في الصباح إلى المدرسة في السادسة أو السابعة حسب الفصول، كنت أشرب قهوتي عند بائع الإسفنج[2] الذي كان أبي يدفع له أسبوعيا. وفي الجامع كان الشيخ الذي لاتفارق العصا يده يجعلنا نردد عن ظهر قلب الواحد تلو الآخر درس اليوم السابق، ثم يسمح لنا بغسل اللوح الذي يطلى بالصلصال ويجفف ويحضر لكتابة الدرس الموالي. ثم كان الأطفال ومنهم بعض البنات ينتظمون في حلقة حول الشيخ ويرددون « انعم سيدي » ويكررون الجملة الأخيرة من درس اليوم السابق مما تم محوه ثم يملي علينا الشيخ الجمل التالية من السورة الجديدة، وكان يعمل على أن يكتبها كل واحد منا بطريقة صحيحة بغرض الحفظ حتى نعيد قراءتها أمامه في اليوم الموالي، وهكذا دواليك، حتى حفظ الأحزاب الستين من القرآن.

أتذكر عادة مسلية بمناسبة المولد النبوي الذي كان يجند لساعات مواهبنا الفنية الشابة، كان على كل تلميذ أن يأتي ببيضات لتزيين « المكبّة ». يفرغها الكبار بعد ثقبها من الجهتين وإخراج محتواها الذي يجمعه الشيخ ليتقاسمه مع جيرانه في البيت. ويتم تزويق البيض الفارغ بطريقة جميلة وبمختلف الألوان، ثم تركب

2 ـ كعك بسيط متكون من عجين يقلى في الزيت. (المترجم)

الواحدة تلو الأخرى بواسطة خيط وتعلق على المكبة مشكلة ثريا مصنوعة من الورق والأشرطة الملونة.

لم تسمح لي الظروف بمواصلة تعلم اللغة العربية في المدرسة. والدي الذي مازلت أذكر وجهه المبتهج يوم ختاني غيبه السل في 1929. وبادر عمي عبد الرحمن في السنة الموالية ورغم تحفظات الشيخ بتسجيلي بمدرسة آراغو، المدرسة الفرنسية للأهالي. كنت في التاسعة من العمر وقد تجاوزت سنة الالتحاق المفترضة مما أدى إلى طردي بعد أربع سنوات دون أن أتقدم إلى الشهادة الابتدائية.

في 1935 تمكن عمي من تسجيلي في مدرسة جول فيري في فرع تعلم المهن الذي كان يديره السيد بول ايستولج ؛ كان من فرنسيي فرنسا، وأيضا مسؤولا عن الحزب الشيوعي الجزائري بمحافظة قسنطينة، كان رجلا استثنائيا بحق، يحب الجزائر والجزائريين بصدق . أذكر أنه دخل يوما إلى القسم حاملا كتابا عن اسبانيا المسلمة، وهو يرينا صورا لروائع الفن والهندسة قال لنا : « انظروا جيدا ياأطفال، أجدادكم هم الذين أنجزوا كل هذا ». تأثرنا حينها كثيرا وشعرنا بفخر كبير.

دامت تربصات التكوين التي يضاف إليها دروس مسائية بالمدرسة التطبيقة للصناعة ثلاث سنوات. في النهار كنا نتعلّم صناعة القدور و طرق النحاس و نقشه رفقة المعلم الطيب زولي من سعيدة والذي كان بيداغوجيا جيدا ولطيفا جدا مع تلاميذه، وفي المساء نتعلم مع معلم فرنسي الضبط الميكانيكي والرسم الصناعي. للأسف وجدت نفسي مع نهاية فترة التمرين بطالا، وكان ذلك نصيبنا كشباب من الأهالي.

كانت أمي تنهك نفسها في أعمال الخياطة والطرز وفتل الكسكسي مقابل بعض الدريهمات. فرض عليها إخوتها الزواج مرة أخرى (لكنها تطلقت سنة بعد ذلك). ووُلِدت أخت غير شقيقة، في وقت كان القوت شحيحا. كانت مرحلة صعبة حقا، أي أفق لكسب لقمة العيش بالنسبة لشباب بدون عمل، بدون دعم، وتحت خطر الانحراف. السجن ربما؟ كان بعضهم يجربون حظهم بالهجرة إلى فرنسا عندما يجمعون بعض المال وآخرون لايجدون مخرجا غير التجند في الجيش (كانت السلطة الاستعمارية تقوم بحملة دعائية لحث الشباب على التجند).

توفي عمي سنة 1935؛ فوجدت نفسي دون دعم، في الشارع. ولكي أعيش كنت أقوم بأعمال صغيرة كبائع جرائد في الطرقات، حمال للقفف، أو نادل في مقهى، الأمر الذي كان يضمن لي أحيانا الأكل والمبيت. ولم تكن عملية المحافظة على الحياة سهلة، وهكذا في السابعة عشر والنصف من العمر وجدت نفسي رفقة صديق أمام باب الثكنة. ولكن قبل ذلك ...

2 – الأحداث الهامة لسنوات 1921 حتى 1938

في بيوتنا، بالمدينة العربية المواتية للعمل المشترك للنساء في الفناء الداخلي لم يكن يعيش أي أجنبي، أذكر وأنا طفل صغير ظهور غريب « وسط الدار »، وحالة الهيجان التي أحدثها وذعري أنا، كان دركيا بزيه الغريب، يحتمل أنه يبحث عن أحد الفارين من الخدمة العسكرية، جعل ظهوره المفاجئ النساء تصرخ وتفر في كل الاتجاهات، مما أدى بأبي للخروج ملوحا بعصاه وهو يرغي ويزبد حتى يفهم الدخيل أنه لايمكنه أن يكون هنا دون حضور رجل من الدار : « اخرج ياولد الكلب » . لحظات بعد ذلك اقتيد أبي من طرف رجال شرطة. لم يكترثوا لدموع أمي، ولم يعد أبي إلا بعد أن قضى ليلة كاملة في السجن.

هذه الذكريات مرتبطة جزئيا بالنشاط السياسي للمسؤولين المحليين، وهو نشاط لن أتمكن من فهمه وتحليله إلا بعد بلوغي سن الرشد. ففي بداية الثلاثينيات كانت الأفكار الوطنية والتقدمية محتدمة في كل مكان في العالم، وفي الجزائر أيضا وخاصة تلك التي كان يجسدها مصطفى كمال أتاتورك. مازلت أذكر الحماس الذي كان يثيره هذا الرجل الاستثنائي عند بعض الذين يكبرونني سنا. وقد خصص الشيخ بن باديس عند وفاة أب الأمة التركية رثاء عظيما نشره في جريدته[3].

سنوات قبل ذلك، نظمت السلطة الاستعمارية في الجزائر انتخابات بلدية للصف الثاني (للأهالي فقط). تمت هذه الانتخابات في مدرسة آراغو قرب بيتنا، وكان يتنافس في هذا الاقتراع رجل تابع للإدارة هو أخ الشيخ بن باديس ضد الدكتور موسى الذي كان يعرف بأنه أحد الأتباع القدامى للأمير خالد. يوم الفرز خرج

3 ـ يوجد هذا النص وكذلك نص فرحات عباس بخصوص نفس الحدث في الملحق.

الدكتور موسى منتصرا، وطلب مؤيدوه المتحمسون من الشباب أن يصيحوا قائلين « يحيا موسى، وليرحل بن باديس » ؛ وكنا نحن الأطفال نردد بدون أن نعي « فيف موسى، بن باديس آلي فوزون ».

أن تعلن أنك من أتباع حفيد الأمير عبد القادر كان يعد تحديا في حد ذاته. ومطالب الأمير خالد- الذي وضع تحت الإقامة الجبرية بعين البيضاء ثم نفي إلى الإسكندرية سنة 1923 [4] - تم تبنيها من جديد من طرف الدكتور بن جلول وعلى الخصوص تلك التي كانت تخص تحسين وضع الأهالي. وحافظ الدكتور بن جلول، الذي كان ينحدر من عائلة ميسورة، على طباع بسيطة واهتم بحماية السكان. وكان له كممثل لسياسته شخصية مميزة وهو سي محمد الطاهر بلونيسي ابن الشيخ القنصل العام الشرفي لفرنسا بمكة. كان قد ترعرع في العربية السعودية ورجع منها مسلحا برفض قوي للعلماء. كان ينظم أشعارا ملتزمة ويتعامل مع البسطاء والمحرومين، ويقول الناس أنه بعد اعتداءات للشرطة راح يجول في الشوارع وهو يضع عصابة قماشية على فمه ولافتة معلقة في رقبته مكتوب عليها بتهكم : « فيف لافرانس ليزاراب سيلانس » (تحيا فرنسا، العرب اصمتوا).

إنني أستعيد جيدا القامة العالية لبن جلول في حينا بسيدي بوعنابة رفقة الشيخ بن باديس خلال الأحداث الرهيبة ليوم 5 أوت 1934 تحديدا، وبالفعل في هذا التاريخ حدثت بقسنطينة مأساة صدمتني وزعزعت كياني في العمق، بدأت الأحداث بسيناريو حاكته الإدارة الاستعمارية لتكسير بن جلول وأتباعه الذين أصبحت حركتهم تزداد أهمية على المستوى الوطني. كانت هناك حركتان متواجدتان بقسنطينة : جمعية المنتخبين التي كان يرأسها الدكتور بن جلول بمساعدة فرحات عباس وحركة الشيخ بن باديس.

بدأ الشيخ بن باديس، الذي ينحدر من وسط بورجوازي ميسور ومحترم بقسنطينة، يعبر عن أفكاره سنة 1925 وذلك بعد إنشاء جريدة المنتقد ثم الشهاب.

4 - تم إبعاد الأمير خالد من طرف الحاكم العام الفرنسي في الجزائر، ويقول شارل أندري جوليان في كتاب « لافريك دي نور أون مارش » شمال افريقيا يتحرك : العمل الوحيد الذي تم من أجل استقلال الجزائر ثم في 1920 من أجل تمثيل الآهالي في البرلمان كان بفعل الأمير خالد حفيد عبد القادر، فهو أول من فتح طريق الوطنية التي أصبح الكل يعلن انتماءه إليها حتى الشيوعيون بعد وفاته في المنفى سنة 1937.

كانت نزاهته ووطنيته مضرب المثل، وكان يخضع لضغوط قوية من طرف عائلته (أب باشاغا، عم مندوب مالي، أخ عون إداري والجميع في خدمة السلطة الاستعمارية) وأكثر الضغوط كانت من طرف الإدارة. وانتهى به الأمر إلى قطع الصلة بذويه وأقام بجامع سيدي لخضر حيث كان يعطي دروسه. هذا الرجل الذي كان طلائعيا حقا وكاريزماتيا كان يشجع العمل الكشفي واللقاءات والموسيقى في النادي والمدارس الحرة التي أنشأها. وكان هو والدكتور بن جلول إذن شخصيتين ذات بعد وطني يقدّران بعضهما بعضا ويشتركان في نفس الأفكار التقدمية.

في صائفة 1934 هذه، كانت الأمور تتحرك، لقد قررت السلطة الاستعمارية القلقة أن تعمل على تدمير حركتي الانعتاق هاتين. كانت جريدة لاديباش دو كونستانتين تقوم بنشر التهديدات والإشاعات الكاذبة وتعمل على التحريض، كان عليها افتعال صدامات ونزاعات بين اليهود والمسلمين.

أتذكر جيدا، يومها كنت مع بعض الأصدقاء من سني، وقد أنهينا مباراة في كرة القدم غير بعيد عن مركز المدينة؛ وعند دخولنا عن طريق ساحة لابريش حوالي الساعة الحادية عشر تم دفعنا من طرف جمع غفير من الناس في حالة من الانفعال يجرون في كل الاتجاهات. كانت هناك إشاعة مفادها أن يهوديا تبول على حائط مسجد سيدي لخضر. فخرج الناس من كل الجهات وراحوا يضربون كل من يصادفون من يهود. ورد اليهود من جهتهم وتهجموا على المسلمين في حيهم. سقط قتلى وجرحى من الجانبين. والحدث الآتي حصل تحت نظري حين وصلت رفقة أصدقائي قرب بيت يسكنه يهود قبالة مدرسة آراغو. كانت تسكنه قابلة يهودية، كانت تقف خلف نافذتها وبيدها مسدس، وراحت تطلق النار عشوائيا على الحشود. أظن أنها كانت تريد منع الناس من دخول بيتها، ثم توقفت عن الإطلاق ربما لنفاذ الذخيرة. هجم الناس بقوة إلى داخل بيتها وضربوها بالعصي هي وابنها. لم أتمكن من متابعة هذا المنظر وهربت جاريا بأقصى سرعة ممكنة حتى بيتنا. عرفت فيما بعد أن الحشود قتلتها. وكانت تلك أول مرة في حياتي أيضا أرى فيها جريحا يحتضر وسط الدماء. في البيت كان الجميع يبكي لأن عمي لم يعد بعد. بقينا بدون معلومات عنه لمدة يومين (في الواقع كان قد غادر المدينة لقضاء أشغاله قبل الصدامات، ولأن

الجيش كان قد أغلق المنافذ لم يتمكن من الدخول). كانت شوارع المدينة العربية مغطاة بلفافات القماش الممزق وأبواب دكاكين اليهود مكسرة والمحلات مخربة دون أن تنهب.

كان الشيخ بن باديس رفقة الدكتور بن جلول يجوبان الشوارع، يدعوان المسلمين إلى الهدوء. في اليوم الموالي بقيت المدينة محاصرة من طرف الجيش الذي لم يفعل شيئا لإيقاف التقتيل بين الجزائريين واليهود.

قبل هذه الحادثة كانت الطائفتان تتفاهمان جيدا، لم تكن هناك مشاكل حقيقية بينها، كنا نلتقي ونتصل ونتكلم نفس اللغة، نحب نفس الطبخ ونفس الموسيقى، نسمع معا الشيخ ريمون ـ الصهر المستقبلي لأنريكو ماصياص ـ الذي كان هو أيضا تلميذا للشيخ عبد الكريم باسطانجي الذي علمه الموسيقى والغناء الأندلسي. كان اليهود المسنون يلبسون على الطريقة التقليدية، الشاش والسروال العربي. وكان يرتاد المقهى الموجود في أعالي سوق العصر يهود ومسلمون حيث كانوا يلتقون في حميمية، يدخنون معا السبسي (غليون طويل للكيف « القنب ») . فبغض النظر عن الاختلافات في الطبقات الاجتماعية كانوا أقرب إلينا من الفرنسيين وعلى الخصوص في المجال التجاري حيث كانت العلاقات ودية جدا. مع ذلك وربما يرجع هذا إلى الأحكام الدينية المسبقة كنا نصنفهم مع النصارى[5] أي مع الفرنسيين بسبب وضعيتهم كمواطنين فرنسيين منذ 1871 ومرسوم كريميو.

أدت أحداث الشغب هذه إلى اعتقالات كثيرة. تم توقيف بعض الجزائريين نتيجة وشاية وحوكموا وأدينوا ثم نقلوا إلى سجن كايان لمدة عشر أو خمس عشرة سنة، قليل منهم رجع، كما هو حال أب زميل لي في المدرسة الذي رأيته يعود سنة 1949، أي 15 سنة من بعد منهكا ومتهالكا تماما.

في اليوم الثاني من الأعمال الدامية أتى الجيش بفيلق من جنود المشاة السينغاليين الذين رأيناهم لأول مرة في قسنطينة : كانت تلك طريقة المستعمر المتمثلة في ضرب مستعمَر بمستعمَر آخر. ثم هدأت الأمور وعادت الحياة رويدا رويدا إلى طبيعتها.

5 ـ أصل كلمة نصارى (جمع نصراني مشتقة من اسم الناصرة ويعود لمرحلة الحروب الصليبية.

في 1935 وأنا مراهق، كنت شاهدا على حدث آخر لم يتجل لي معناه إلا بعد فترة : محاولة اغتيال الشيخ سيدي أحمد لحبيباتني، كان رجلا نزيها، محافظا وعالما. كان يعطي دروسا بالمسجد الكبير ولايتدخل في السياسة، وكان يقطن حينا وعادة ما يعود إلى بيته بعد صلاة العشاء في نحو التاسعة مساء. فجأة، سمعنا ثلاث طلقات نارية، وصل رجل، كان يغسل ملابسه في الحنفية العمومية، راكضا ليعلمنا : « أطلقوا النار على الشيخ »، والشيخ، الذي لم يصب لحسن الحظ، مر من أمامنا كالعادة بخطواته الهادئة وهو يتمتم : « يالطيف، يالطيف ».

في الصباح رفض الشيخ استقبال رجال الشرطة الذين جاؤوا لاستجوابه. وعلمنا فيما بعد أن ذلك الذي رمى ولم يصب هدفه (دون شك سفاح مجند من طرف المخابرات) أصبح « مجنونا »، وبأنه ألقى بنفسه من فوق جسر وادي الرمال. وقبل ذلك كانت الإدارة قد عمدت إلى نشر إشاعة عن صراع نفوذ يدور بين الشيخ الحبيباتني وابن باديس، لكن كلا الشيخين فهم المناورة وواصلا تعليمهما في جو من الاحترام المتبادل ومن هنا جاءت فكرة القضاء عليه قصد إلصاق التهمة بمنافسه المزعوم ابن باديس.

في الجزائر العاصمة كانت قصة اغتيال المفتي كحول على نفس المنوال، إذ تمكنت السلطة الاستعمارية من إسكات الشيخ الطيب العقبي الخطيب المفوه الذي كانت لخطبه أصداء واسعة باتهامه بالجريمة وتهديده وحتى اعتقاله أيضا. وفي الأخير رضخ وامتنع عن كل إثارة.

لتصوير بروز الحس الوطني عند الشباب أو الوعي بجزائريتنا أذكر ذلك الحدث المفاجئ بمدرسة آراغو : كنا في درس الأخلاق وكان معلمنا السيد ناميا يُفهمنا أنه سيأتي يوم تعطي لنا فيه فرنسا الجنسية ونصبح كلنا فرنسيين... عندها وقف أحد الزملاء نسيت اسمه وراح يصرخ : « لا، لا، لا سيدي » حينها حدث شيء لايصدق ولكنها الحقيقة، إذ انطلق كل القسم يصيح معه بصوت واحد : لا، لا، لا سيدي ». وقف المعلم مشدوها من هذا السلوك المفاجئ وغير المنتظر، بقي صامتا لفترة وفي الأخير غادر القسم وراح يذرع سقيفة الباحة في غدو ورواح حتى دق جرس الساعة الرابعة معلنا نهاية اليوم ليغيب عن أعيننا تماما.

وأتذكر حادثة أخرى : في 1936 كنت مع أصدقاء نريد أن نرى ما الذي يجري في محل سري كان يديره شباب أكبر منا سنا، وعند دخولي تعرفت على أحدهم، كان عمر بن مالك[6] الذي كان يكبرني أيام المدرسة القرآنية، وسارع باستغلال زيارتنا بالكتابة على سبورة سوداء مقاطع « فداء الجزائر »، الأنشودة الوطنية لمفدي زكريا والتي كانت نشيد نجم شمال إفريقيا، كما سلمنا أيضا شارات تمثل النجمة والهلال. كنا فخورين جدا، وعدنا إلى مدرسة التمهين ننشد حاملين شاراتنا. عند الباب اكتفى المدير بول استورج (شخصية حكيمة سبق أن ذكرتها) بأن طلب منا ببساطة أن لانحملها داخل المؤسسة.

ولكن الأحاسيس الأولى للسياسة، ستنتظر سنوات أخرى.

6 ـ سيكون أب أنور بن مالك الكاتب المعروف ـ الذي تميز في أكتوبر 1988 بنضاله في لجنة مكافحة التعذيب ـ وأحد المناضلين في بدايات نجم شمال إفريقيا مع عبد الرحيم سعيد، عيساوي مصطفى، عواط ابراهيم، بن وطاف، عبد الكريم، بلال حسين، بوجنانة حسن، بوسنة ساعد، دردور جمال، حمروش مولود وكرواز رشيد.

II ـ حلقة اللواء السابع للمشاة الجزائريين

1 ـ التجند العسكري

في 1938ـ وفي الظروف التي سبق وذكرتهاـ قررت مع صديق من الحي أن أتجند في البحرية. ولم يكن إغراء الزي البحري بريئا من التأثير في هذا الاختيار. تقدمنا إذا إلى الثكنة وللأسف رفض مكتب التجنيد طلبنا، لأنه كان يجب أن نكون بلغنا الثامنة عشر ولم يكن ذلك حالنا إذ كانت تنقصنا ستة أشهر. ونحن نغادر الثكنة نجر أذيال الخيبة نادانا النقيب بن معطي وهو قسنطيني معروف بالمدينة وقد تفاجأ بل وحتى غضب قائلا : « كيف، تتجندون في البحرية ؟ فكروا جيدا. سيبعثونكم إلى آخر الدنيا. إنكم تتكلمون الفرنسية، من الأفضل لكم أن تتجندوا في المشاة وهكذا تبقون قريبين من عائلاتكم ». استسغنا كلامه، وهكذا وجدت نفسي مجندا في اللواء السابع للمشاة الجزائريين لمدة سبع سنوات كاملة بصفتي من الأهالي (بالنسبة للفرنسيين كان يمكنهم أن يتجندوا سنة أو سنتين، حسب رغبتهم). أمضيت أولا على التزام مؤقت يفتح فورا الحق في 800 فرنك وقنطار من الدقيق، والذي سلمته لأمي مع نصف المنحة.

وفي مارس 1939 وقعت على الالتزام النهائي، وكما وعدني بذلك، ألحقني النقيب بن معطي بفرع الاتصالات. بسرعة، ولأنني كنت مولعا بالمورس أصبحت من أحسن فنيي راديو البرق (إلى يومنا هذا مازلت أمارسه ذهنيا).

2 – الحرب العالمية الثانية 1939 ـ 1945

في 1939 وبمجرد تكويني وجدت نفسي في الجبهة، فقد أعلنت الحرب في سبتمبر وتوجه لوائي، اللواء السابع للمشاة الجزائريين، إلى تونس ليتجه جنوبا، إلى

قصر الحلوف بالقرب من الحدود الليبية لمواجهة الجيش الإيطالي الذي كان يحتل ليبيا. لحسن الحظ لم يحصل أي اشتباك، واقتصر العمل على حفر الخنادق في حرارة الصحراء الملتهبة. وكانت بالنسبة لنا أول تجربة في التحمل. ومن هذا الدخول القصير إلى تونس بقي لي في الذاكرة حدث صغير بالعاصمة أدهشني حتى حبس أنفاسي : علمت بوجود راية وطنية عند جيراننا التونسيين ورأيت العلم ذا النجمة والهلال مرفرفا، وكان ذلك كافيا : عالم من الاحتمالات انفتح...

قبل هزيمة الجيش الفرنسي بقليل تمت إعادتنا إلى التراب الجزائري، إلى المدينة العسكرية بسطيف بدلا من قسنطينة حاميتنا الأصلية. كانت هناك بعثة مراقبة ألمانية تسهر على احترام اتفاقيات الهدنة الممضاة مع سلطة فيشي.

كوننا من الأهالي في جيش مهزوم دون قتال لم نكن غاضبين على اتجاه الأحداث، ولم يمنعنا ذلك من الاستنتاج بأن لنا « أعداء » أقوى من الفرنسيين، أسيادنا.

عند الإنزال الأمريكي في المنطقة الوهرانية سنة 1942، أُمِرَ لواؤنا- بعد أن مكث سنتين في سطيف - بأن يتموقع بعين آرنات لحماية المطار الذي كان محتلا أيضا من طرف بعض العسكريين الألمان وطائراتهم وأعطي لنا الأمر بأن نطلق النار على الأمريكيين والإنجليز ثم أعطي لنا أمر معاكس بأن نطلق النار على الألمان ؛ والذين أقلعت طائراتهم عند اقتراب الأمريكيين. كانت تعم فوضى كبرى في صفوف الجيش الفرنسي المهتز والفاقد للمعنويات بعد هزيمة 1940. حصل على ما أظن نوع من الانقلاب، تلاه اغتيال الأميرال دارلان بالجزائر. فالجنرال جيرو الذي كان في مرحلة أولى مع الفيشيين (فرنسا بيتان ولافال المتعاونة) تموقع إلى جانب الأمريكيين بشعاره « أقوم بالحرب ».

بعد الاتفاقات الجديدة المفروضة من طرف الأمريكيين وجد لوائي السابع للمشاة الجزائريين نفسه متوجها مرة أخرى إلى تونس لمواجهة قوات رومل، الجنرال الألماني الشهير وجيشه النخبوي، الآفريكا كوربس، هناك كانت المواجهة من نصيب القوات الأمريكية التي كانت الأحسن تجهيزا في حين اكتفى الجيش الفرنسي بالمساعدة.

بعد ذلك رجعنا إلى الجزائر وتموقعنا في المنطقة الوهرانية، حيث تمت إعادة تجهيزنا بعتاد أمريكي عصري تطلب إعادة تدريبنا قبل مواصلة العمليات. وتحصلت على رتبتي كعريف بسان لو-اسم مدينة على الساحل الوهراني في ذلك الوقت.

نهاية ديسمبر 1943، وبعد أن أبحر من بنزرت، نزل لواؤنا في نابولي، المدينة الإيطالية الجنوبية التي كان قد تم تحريرها. في شوارعها الغاصة بالمتسولين مازلت أسمع أناشيد أعياد الميلاد لأطفال يداعبون الماندولين : آفي ماريا، أو صولي ميو. ثم نغمات لكاروزو أيضا.

انطلاقا من هذه المدينة بدأ لواء المشاة الجزائريين السابع الذي كان جزءا من فيلق المشاة الجزائري الثالث حملة إيطاليا تحت إمرة اللواء ديمونزافار المكلف باستخلاف الأمريكيين. ونحن نصعد نحو الشمال وصلنا ليلا إلى آكوا فانداتا، حيث ارتمينا أرضا خائري القوى في مكان يغطيه الثلج ونمنا بين تلال صغيرة بيضاء؛ ولم نعرف حتى الصباح بأنها كانت جثثا مغطاة بالثلج... واستمر التقدم ولكن قبل الوصول إلى مونتي كاسينو وفظائع العنف الوحشي والضجيج والغضب الذي كان ينتظرنا هناك أتذكر حادثة : قضية اغتصاب شابة من طرف جنود فرنسيين من بينهم جزائري شاوي من الأوراس، أدين وحده وتم إعدامه للعبرة. وهكذا كان من نصيب الأهالي : رتبة أقل، لحم للمحارق، وحكم بالإعدام من أجل الشرف العسكري للآخرين ؛ مظالم فرنسية صارخة تؤكد دونيتنا كمستعمَرين.

لقد أعطى الهجوم على مونتي كاسينو، التي كانت تتمتع بسمعة المناعة، لديمونزافار تسمية « الجزار » بسبب الهجومات الجنونية التي فرضها على لوائنا. كانت الخسائر كبيرة جدا، وكانت البطولة والشجاعة في أندر صورها. أرسلت فرق أخرى للمساعدة خاصة لواء طابور المغاربة (من بينهم أحمد بن بلة) الذين مُنِحوا لسبب لاأعرفه حق الغنيمة. عدة أيام من القتال وأطنان من القنابل التي تم إطلاقها على الدير في القمة ومحاصرة الجبل من طرف القوات الأمريكية والانجليزية والفرنسية كانت ضرورية للتمكن منه. وهو نصر سمح بعد ذلك بالتقدم السريع نحو روما وتحريرها وكذا سيان بتوسكانيا نحو جويلية 1944.

بعد هذه الحلقة تمت ترقيتي إلى رتبة رقيب.

وبعد أيام راحة في جنوب إيطاليا، ثم إبحار الفرقة من تارنتو لتأخذ اتجاه الغرب نحو لابروفونس في أوت والوصول إلى سان تروبي بعد قنبلة أخيرة من طرف الطيران الألماني المنهزم. تمكن لواؤنا من تحرير مدينة تولون ثم مرسيليا حيث تميز لواء المشاة الجزائريين السابع وأقيم له نصب بنوتردام دولاغارد تخليدا للحدث.

في مرسيليا أيضا شاهدنا حدثا لايحتمل : مقاومون مزعومون على كل حال ذوو بعد إنساني حقير كانوا يدفعون أمامهم تحت تهديد بنادقهم نساء حليقات الرؤوس لأنهم يشكون في تعاملهن مع العدو.

وتمثل الفصل الأخير من النزاع في حملة الفوزج والألزاس في عز الشتاء (كنا نكسر الجليد لنغتسل)، دار قتال عنيف من أجل تحرير كولمار وستراسبورغ، ثم الالتحام بالجيوش الأمريكية التي وصلت من النورمندي للدخول إلى ألمانيا واستسلام الألمان الذي أنهى الحرب.

هذا ملخص لست سنوات من الحرب الفظيعة والتي لم تكن حربنا.

قبل العودة إلى البلاد ومع كل اللواء الذي كان متموقعا في بلدة لاسيوتا الصغيرة قرب مرسيليا كنا نستمتع براحة مستحقة حين وصل جندي سابق في الجيش الفرنسي، روجي دوفوري (شاب طيب كان قد فر من الجيش سنة 1943 ليلتحق بالمقاومة)، في زيارة ودية للسلام على أصدقائه القدامي، أعلمنا بما كان قد سمعه في المذياع : نهاية الحرب، 8 ماي، تميزت بأحداث دامية في الجزائر... صدمة، خوف، عدم فهم.

تمت الرحلة نحو الجزائر إذن وفي النفوس تغلي ثورة عارمة.

وبدل تحويلنا إلى سطيف، قاعدة انطلاقنا، تم نقلنا إلى عين طاية، وحرص الجنرال قائد الجيش التاسع عشر على توجيه خطاب بالمناسبة أمام ذوي الرتب المجتمعين بساحة بيجو : « لقد قاتلتم ببسالة وستستفيدون من شهر عطلة بين عائلاتكم(. . .) هناك أحداث خطيرة حصلت هنا (. . .) والناس يبالغون ويحورون فحذاري »، ثم متوجها إلى أصحاب الرتب من الأهالي، راح يسأل عن أصول كل واحد ومن أي منطقة هو، « إيه، لاتنصتوا كثيرا لما يقال . . .إلخ »

وبالفعل ذهبت إلى عائلتي في عطلة ولكن تفكيري كان مشوشا تماما. وفي قسنطينة، عن طريق قريبي رشيد كرواز وأصدقائي عبد الرحمن غراس وعبد السلام حباشي وعن طريق آخرين استوعبت بفزع كبير حجم المجازر التي حصلت. ففي نفس الوقت الذي كان فيه العالم أجمع يحتفل بنهاية الحرب بسعادة من يتذوق طعم الحرية والاستقلال، كان الشعب الجزائري تحت الوصاية الاستعماريةـ حسب مقولة الجنرال ديغول « وعلى الخصوص، يجب أن لاتفلت الجزائر من بين أصابعنا »

وكان يتعرض لأبشع قمع. وأُطلِقت يد العسكر الفرنسيين والميليشيات المدنية المسلحة من كبار المعمرين : مجازر، تعذيب، اعتقالات على المستوى الوطني، أفران حرق الجثث لمحو آثار الجرائم ـ45 ألف قتيل وأكثر من 100 ألف معتقل في كل البلاد حسب التقديرات خلال الأيام والأسابيع التي تلت.

عاشت قالمة، سطيف، خراطة وعموشة الجحيم. كانت النتيجة بالنسبة لي فورية : رميت إلى الجحيم بوعود ترقيتي إلى رتبة الضابط التي كنت أنتظر وكذلك التهديدات. سبع سنوات من الخدمة في الجيش الفرنسي كانت قد انتهت نهائيا، وطلبت تحريري على الفور. كنت في الرابعة والعشرين. حياة جديدة تبدأ لكن هذه المرة بطاقة موجهة كلها لضرورة مساعدة شعبي على التحرر.

III ـ النضال في حزب الشعب الجزائري

1 ـ البدايات بقسنطينة

أدخلني ابن عمي كرواز في خلية لحزب الشعب الجزائري السري والتي كان يرأسها الخياط محمد مغلاوي. في حين أنني كنت نافد الصبر وكنت أظن أننا سنبدأ للتو المواجهة مع السلطة الاستعمارية، أقنعني أقدم عناصر الحزب بصواب مسعاهم : العمل بانسجام ضمن منظمة فعالة أكثر فأكثر، مع عمل يومي مدروس ومنضبط من طرف كل المناضلين تصب كلها في هدف مشترك : الاستقلال القريب. وبموازاة ذلك كان لابد من تدبر لقمة العيش. حررت في الأول طلبات عمل لألتحق بالبريد و CFF بدون جدوى، ثم أجبت على إعلان صدر في جريدة كان يطلب متعامل راديو في المطار العسكري بتلاغمة وذهبت لعين المكان، وبعد المحاورة والامتحانات الإيجابية جوبهت برفض قاطع : كان يتطلب أن يكون المعني فرنسيا من الأب والأم.

رسخ هذا التمييز قناعتي الوطنية أكثر. لم أتمكن من الحصول على عمل منتظم حتى سنة 1949 كمصوب ميكانيكي في المؤسسة الجهوية العسكرية، كان هناك عتاد : شاحنات ومدرعات تأتينا من الهند الصينية لتصليحها، وقبل ذلك قمت بأشغال صغيرة من كل نوع.

ولكن بالعودة إلى نشاطاتي النضالية يجب التذكير أنه في سنة 1945 كان تنظيم حزب الشعب الجزائري على المستوى الوطني تحت قيادة الدكتور لامين دباغين ومحمد بلوزداد، وكان هذا الأخير مطارد من طرف الشرطة في الجزائر. أُرسِل إلى قسنطينة وكل عمالة الشرق بمهمة إعادة إحياء ولملمة الحزب بعد الخسائر الكبيرة والاعتقالات التي حصلت في شهر ماي.

في نهاية سنة 1945 وبعد شهرين من الاختبار، تعرفت على سي مسعود (محمد بلوزداد) قائدنا. كان شابا وسيما نحيفا جدا والذي أصيب مبكرا بالمرض ليتوفى في سنة 1952. كان يتحدث لغة فرنسية جيدة وأيضا عربية عامية مهذبة، وكان يتميز بثقافة سياسية وعامة واسعة. كانت لي فرصة أن أتابع بإعجاب همته العالية في تسيير الرجال متحدثا بلطف سواء كان يتكلم للمناضلين القاعديين أو للقادة الأكبر سنا.

اختار ثلاثة أشخاص : حباشي، غراس وأنا لمهمة ثقة، والتي تتمثل في استلام ونقل البريد السري، المناشير والجرائد والتعليمات المختلفة للحزب. مثلا من ضمن التعليمات كانت هناك في 1945 ـ 1946 أوامر بكتابة شعارات حائطية تطالب بتحرير قادتنا. كان ذلك لأجل مصالي الحاج (المعتقل في برازافيل) وأيضا من أجل فرحات عباس والشيخ البشير الإبراهيمي ـ كان هذا الأخير قد خلف الشيخ عبد الحميد بن باديس المتوفي سنة 1940 على رأس جمعية العلماء ـ وكلاهما كان معتقلا في السجن العسكري بقسنطينة.

أما المناشير فكان بعضها يطبع في عين المكان بمطبعة النجاح التي كان يسيرها مامي اسماعيل، عون في الإدارة. في الليل كان صديقنا المناضل عبد الرحمن ماضوي وهو « مدرسي » مزدوج اللغة متمكن يغامر بالدخول خلسة ويقوم بطبع الوثائق بدون علم رئيسه في العمل.

غير أن معظم وسائل الدعاية كان يأتينا بها مناضلون في حقائب من الجزائر : زين العابدين مومجي وأحمد حدانو الملقب بالكابا، كانا ينزلان من القطار بمحطة سيدي مبروك ويستقلان تاكسي حتى جسر سيدي راشد حيث كنا ننتظرهما، يسلمان الحمولة ويختفيان.

وفي أحد الأيام كنت مع حباشي في إحدى هذه المواعيد بسيدي راشد ففوجئنا بوجود شرطي فاسد نوعا ما من حينا، صاح : « خلاص، قبضت عليكم أيها المضاربين، ستذهبون معي ». توسلنا إليه بكل الطرق : « خلينا في حالنا ياعمي الطاهر، تربح » ولكنه لم يرد أن يفهم شيئا ودفعنا إلى داخل محل كبير وفتح

حقائبنا وهو يظن أنه سيجد سلعة المضاربة. وعندما رأى المناشير تجمد خوفا ثم انفجر : « أيها الصعاليك، طيروا، ولا أريد أن أراكم ثانية ».

كأعوان اتصال، كانت نشاطاتنا تنطوي دائما على مخاطر، كما كانت مدرسة للحياة حيث نستخلص أشياء عن الطبيعة الإنسانية وعن ردود أفعالنا أمام المحن والأمور غير المنتظرة.

تمثلت إحدى أوائل مهماتي بمفردي في الذهاب إلى بونة (عنابة)، وهي مدينة لا أعرف عنها شيئا ولا أعرف فيها شخصا، قاصدا مكانا محددا لأسلم قفة من المناشير، ومعي دليل واحد متمثل في رسم ما على ورقة وكلمة سر. نزلت من القطار في محطة عنابة ووصلت إلى بقالة أحدهم يدعى بوشامي وهو وسيط، والذي بفضل كلمة السر « عبد القادر جاء اليوم » أدخلني إلى القاعة الخلفية لدكانه وجعلني أنتظر هناك؛ ولما نزل الليل أخذني مع حمولتي الثمينة إلى ورشة خياط. أخيرا في الصباح الباكر وبعد أن نمت نوعا ما على طاولة التفصيل رأيت الذي سيخلصني من قفتي يصل، كان اسمه سي عبد الرحمن وبدا جد مندهش من سرعة إتمام الخدمة. عرفت اسمه فيما بعد : إنه الطيب بولحروف (سيكون من ضمن وفد الحكومة المؤقتة الذي سيفاوض على اتفاقيات إيفيان 1962).

كادت مهمة أخرى عند العودة من تبسة أن تتحول إلى الأسوأ. ففي مدينة عين البيضاء انتبه الشرطي البلدي إلى أنني غريب عن المدينة وسارع بإعلام الشرطة. في قفتي التي كنت قد سلمت « بضاعتها » عند البقال عمارة عمار كانت توجد قطع من القماش اشتريتها من تبسة بنية إعادة بيعها في قسنطينة. اعتقلني رجال الشرطة ظانين بأنهم قاموا بتوقيف أحد المضاربين في السوق السوداء، كنت في حالة يرثى لها، رأى مناضلون في عين المكان المشهد فسارعوا بإبلاغ الشيخ سي بلقاسم البيضاوي أحد مسؤولي حركة انتصار الحريات الديمقراطية بالدائرة. حضر فورا إلى محافظة الشرطة، وكوطني مندفع وشجاع أقام عليهم الدنيا، غرّموني على المضاربة وتم حجز قماشي. أووف، لقد نجوت مما هو أسوأ.

في تبسة كنت كثيرا ما أضع المناشير عند الخياط سي أحمد أو عند المسؤول السياسي رحايم الشهير (شهير، لأنه في مارس 1950 سيكون محل عملية تصفية

في القضية المعروفة بقضية تبسة. انظر الملحق). وفي بسكرة كان الاتصال يتم مع الخياط محمد عصّامي، رجل نحيل جدا، ضحوك وصاحب نكتة، كما هم عادة أبناء الجنوب.

كما كانت لي مهمة بفيليب فيل (سكيكدة) جعلتني ألتقي بالمناضلين زروق المدعو عمار كلالة وصالح لعوج؛ وإليه أوصلت فيما بعد ديدوش مراد الذي كان عليه لقاءه.

هذه صورة لبعض من المهمات الكثيرة التي كنت أذهب فيها وأعود منها في الناحية القسنطينية.

2 ـ النضج السياسي

بعد انخراطي في صفوف حزب الشعب الجزائري تسيست تدريجيا، ولكنني أظن أن الأحداث التي عشتها منذ الصغر وسنوات التجنيد الصعبة خلال الحرب العالمية الثانية قد ساهمت في ذلك. كانت لي معرفة إلى حد ما بالقاموس السياسي، ففي سنة 1943 سلمنا رفيقان عائدان من عطلة منشورا لأحباب البيان والحرية لفرحات عباس، في نفس الوقت أيضا بالبليدة حصل تمرد في فيلق للمشاة، والذي كان خبره على كل لسان من حولنا. كنت إذا قد هضمت جيدا مفهوم التمرد ضد المستعمر الفرنسي.

في الواقع تكونا أكثر بالاعتماد على أنفسنا، حيث أن الدور الذي كان يلعبه الحزب في هذا التكوين يتلخص في أغلب الحالات في المناشير والجرائد التي كنا نتلقاها ونوزعها، خاصة أننا كنا نقرأها باهتمام كبير. في الواقع قراءتها هي التي سيستنا أكثر، فضلا عن جرائد الأحزاب الأخرى كالحزب الشيوعي الجزائري أو الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري. غير أنه لم يكن هناك، كما هو الحال في الحزب الشيوعي، مدرسة للتكوين حيث نتخرج بعد تربص يدوم بين ستة واثني عشر شهرا بتكوين جيد كمسؤولين ومسلحين بخطابة جيدة. كنا نعي جيدا بأننا نترجم الأحاسيس العميقة للشعب، مدفوعين بقناعاتنا وبضرورة الإقناع أصبحنا أكثر فعالية مع مرور الوقت.

عندما تم إنشاء أحزاب سياسية وبدأ نشاط العلماء والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري من أجل الانتخابات البلدية لسنة 1946 يأخذ أهمية، بدأت صراعات التأثير والمنابزات الخطابية وحتى المعارك الحقيقية. فمثلا، اعتدى مناضلون مشاجرون من الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري على بوجنانة، وكان أكبرنا سنا، مثقفا ونقابيا في السكك الحديدية ووطنيا ملتزما وشجاعا؛ وحصل رد من جهتنا[7].

خلال الفترات الانتخابية حيث كنا نحاول تقوية حزبنا على حساب خصومنا لم يكن في الإمكان تفادي المشادات. كنا نتسلل وسط التجمعات في القاعات أو في الساحات العمومية نثير الجدل ونفسد التدخلات مستعدين للعراك دوما لأننا كنا شعبويين، ونجلب فئات من الطبقات الشعبية. في إحدى المرات تمكنا من إنزال فرحات عباس من على المنبر وإفشال اجتماع حزبه، كما حدث أيضا أن أدخلنا في صفوف حزب الشعب الجزائري عناصر من الكشافة الإسلامية بعد انفجار مؤتمرهم سنة 1947. وبقصد التجنيد كنا نعاين في الشوارع والمقاهي ونوادي الملاكمة كل الأشخاص الذين يجيدون الخطابة ولهم القدرة على الرد ويحسنون الكلام، وإن هم انضموا إلى أفكارنا فسيصبحون بسرعة ناطقين جيدين باسم الحزب. ومن ضمن رواد حلبة الملاكمة كان مناضلون مثل ملاح سليمان المدعو رشيد وبوعلي سعيد المدعو لاموطا، نسبة إلى بطل العالم الكبير في الملاكمة في ذلك الوقت[8]. وللإشارة أيضا فإن أتباع العلماء والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري كانوا ينتمون عموما إلى فئة اجتماعية أكثر رخاء، وكانوا يخشون نشاط حزب الشعب الجزائري بسبب القمع الذي يجلبه حتى لمناضليه.

عندما كان يتعرض لنا أفراد الحزب الشيوعي الجزائري ويحاولون الزج بنا في نقاشات إيديولوجية ونظرية قصد زعزعتنا كنا نجيبهم بأن نظريتنا الوحيدة هي استقلال البلاد وأن حزبنا حزب وطني حقيقي أما هم فمحض « شوية » فرنسيين بدون حزب وطني، حيث كان الحزب الشيوعي الجزائري يتبع الحزب الشيوعي

7 ـ انظر كتاب عبد السلام حباشي « من الحركة الوطنية إلى الاستقلال.. مسيرة مناضل » منشورات القصبة 2009 الذي يروي جيدا هذه الحادثة .

8 ـ بوعلي سعيد : في سنة 2007 أعطت المدرسة العسكرية المتعددة الأسلحة بشرشال اسمه لإحدى دفعات تخرج الضباط.

الفرنسي الذي كان بدوره تحت إمرة موسكو. كانت تلك إجابات ذات منطق بسيط ليست صلبة وكنت أعرف ذلك عند مواجهتهم.

كان الشيوعيون يحاولون على الأخص إغراق مسألة الاستقلال في محيط من الجدالات العقيمة؛ بالنسبة لهم، الجزائر أمة في طور التكوين، تتشكل من عرب وقبائل وشاوية وميزاب وأوربيين وسيأتي يوم يكون فيه الاستقلال بالدعم السخيّ من فرنسا.

أما الحجة أمام العلماء فكانت تتمثل تقريبا فيما يلي : العلماء هيابون، عديمو الجرأة ويقولون : « يجب قبل كل شيء تربية شعبنا وعندما يعي سنطالب بالاستقلال ». في حين أنه لا أحد يعرف ما سيحصل غدا. بالنسبة لنا نريد الاستقلال الآن.

مع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري كانت الأمور مماثلة لأنهم كانوا يدافعون عن نفس الأطروحة. كانوا يقولون : « يجب أن ننتظر حتى يتربى الشعب وعندها فقط سنعرف مايجب فعله، كيف يمكننا أن نطلب الاستقلال ونحن غير قادرين على صناعة علبة كبريت، كيف تبغون طرد الفرنسيين؟ » وكنا نجيب : « إذا بقينا مستعمرين لن نتعلم أبدا صناعتها، علبة الكبريت تلك، ولا أي شيء آخر أما السلاح فلن يسمحوا لنا بفعل ذلك ». وهكذا كنا نرفض بحرارة السلوك المحافظ لهؤلاء وأولئك... كانت مديرية الحزب تبلغنا دوريا بتعليمات وشعارات علينا تبليغها في الاجتماعات مع المناضلين الذين كانوا يكتفون بالعمل الظرفي وفي أغلب الأحيان كنا نتكلم عن حياة مصالي والارشادات التي كان يحب ترديدها كقوله : « لو كنت معلما لقلت لشعبي نظم نفسك، نظم نفسك » وكنت أتساءل : « وما معنى كل هذا على المستوى العملي؟ مامعنى نظم نفسك ؟ أن تنتظم ؟ »

فكرت آنذاك في تعريف صغته كما يلي : « التنظيم هو مجموعة من عدة عناصر صغيرة وكبيرة لها دور مسند ضروري وحيوي لتنميته؛ وهذه العناصر هي كل له وهو كل لها ».

كنت أستشهد بأمثلة ملموسة عندما كنت أقوم بتبليغ الأفكار الوطنية من أجل تجنيد عناصر لقضيتنا. كنت أقول لهم : « السيارة هي تنظيم، كل عنصر فيها يؤدي دوره، الجسد البشري هو تنظيم، كل عضو له وظيفة محددة. يجب أن يكون

المجتمع منظما وأيضا الحزب السياسي. حزبنا تنظيم له قائد على رأسه وفي قاعدته مناضلون؛ وبين القمة والقاعدة توجد الخلية، ومجموع الخلايا مشكلة لفرع ومجمل الفروع تشكل الناحية، والناحية المنطقة . . .إلخ »

كان كل يبلغ بطريقته وبأحسن ما يمكنه رسالة التحرر وخميرة الثورة.

3 ـ المنظمة الخاصة

قرر حزب الشعب الجزائري / الحركة من أجل الحريات الديمقراطية في فبراير 1947 إنشاء منظمة خاصة شبه عسكرية، قصد التحضير للكفاح المسلح وعين على رأسها محمد بلوزداد وعين حسين آيت أحمد نائبا له ومكلفا بالمالية.

في صفوف هذا الفرع الذي يتمتع بسرية مضاعفة ضمن الحركة الوطنية كنا بحاجة إلى العناصر الأكثر حنكة والأكثر ثقة ومتانة وأيضا من بين أولئك الذين كانت لهم تجربة في الجيش والحرب. وفي نهاية 1947 وبداية 1948 تم إلحاقي بالمنظمة.

ككل الرفاق الموجودين في نفس الحالة لم نعد نظهر في المهرجانات والاجتماعات العامة، كان الحزب يترك مهمة الذهاب إليها لأولئك المعروفون عند الإدارة أو الذين سبق وسجنوا أو أيضا أولئك الذين ليس لهم التزام كلي. وبالنسبة للانتخابات كان مباحا لهؤلاء المناضلين أن يتقدموا كمترشحين عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية، التي كانت حزبا شرعيا (كان ذلك الحال مثلا بالنسبة للهاشمي بغريش، حسن بوجنانة . . إلخ. وهكذا كنا قد عملنا في دائرة القادة الكبار دون أن يروننا أو يعرفوننا.

كان ذلك هو الحال مع حسين لحول، أمين عام للحزب منذ نجم شمال إفريقيا 1926 أو الدكتور لامين دباغين الذي شاهدته خلال محاضرة ألقاها في قبو بقسنطينة.

وعين محمد بوضياف، الذي كان مناضلا من المسيلة، مسؤولا على المنظمة الخاصة لعمالة قسنطينة؛ كان يجمع قيادة أركانه في بيت منعزل بالقرب من

منعرجات وادي الرمال حيث كانت تقطن عائلات تقرب لحباشي عبد السلام وحداد حمادة[9] المدعو يوسف.

وكان فريقه يتكون من بن مهيدي العربي، ديدوش مراد، غراس عبد الرحمن وشرقي ابراهيم. كان بوضياف يشرف على عملهم، وكان يأتي مقنَّعا للقيام بالمراقبة. بالنسبة للمنطقة الجنوبية كان يلتقي مباشرة في عين المكان مع العمودي عبد القادر. إلى غاية انتقالي في السنة الموالية إلى الجزائر العاصمة نشطت كقائد لإحدى الفصائل الثلاث للمنظمة الخاصة بقسنطينة كما كان عبد السلام حباشي ورابح بيطاط[10] على رأس كل واحدة، وكانت الفصائل الثلاث تحت إشراف صالحي بوجمعة المدعو ماندو.

9 ـ مسؤول نشط على مجمل فدرالية جبهة التحرير بفرنسا وكان على صلة مباشرة مع كل شبكات الدعم في نهاية 1956.

10 ـ كان كل من بوضياف وبيطاط قد تعرفا على بعضهما في مصنع التبغ لبن تشيكو بقسنطينة حين عملا معا هناك. لهذا كان بيطاط ينادي بوضياف باسمه الحقيقي في حين كان بالنسبة لنا سي الطيب.

IV ـ قائد منطقة للمنظمة الخاصة

1 – التعيين في عمالة الجزائر

في سبتمبر 1949 طلبت مني سلطة الحزب إن كنت أقبل ترك عملي لحاجيات التنظيم. كان ذلك بديهيا :

– متى؟

– فورا.

وهكذا لتوي تركت عملي في المدرسة العسكرية وقطعت، كما طلب مني، تذكرة قطار ذهاب فقط من قسنطينة إلى الجزائر. تقول التعليمة : موعد على الساعة الحادية عشر في ساحة السلطة (كانت تسمى آنذاك بساحة العود[11]) وسيكون هناك أحد يعرفك. في اليوم الموالي وفي الوقت والمكان المحدد اقترب مني ثلاثة أشخاص لم أكن أعرفهم أخبرني أحدهم على الفور (عرفت صوت الرجل، كان المقنع سي الطيب أي محمد بوضياف) : « عملك الآن هنا في الجزائر واسمك منصور ». ثم طلب من الشخص الثاني (وهو في الواقع بن مهيدي المدعو حكيم تسليمي بعض المال ومن الثالث (ديدوش مراد المدعو عبد القادر) أن يتكفل بي حتى موعد اليوم الموالي في نفس المكان.

قضيت إذا يومي الأول رفقة عبد القادر، الذي كان في سني تقريبا، مفعم بالحياة، رياضي، يحب السينما، مرتاح جدا في مدينته، وخاصة في القصبة التي جعلني أزور حتى أدق أزقتها. في منتصف النهار دخلنا للغداء مطعما شعبيا يعود لعائلته بشارع ميسونيي. وفي المساء اصطحبني لأقضي الليلة عنده بشارع الميموزا بحي الغولف (المرادية).

11 ـ العود : الحصان في العامية الجزائرية.

و في الصباح غادرته بعد أن شكرته واستقليت الحافلة التي أوصلتني إلى مكان موعدي المضروب في الأمس. وصلت على العاشرة كما كان متفقا وكذلك بوضياف. ولأنه كان يعلم أنني قضيت خدمتي العسكرية في الاتصالات سألني أولا إن كان باستطاعتي صناعة جهاز بث واستقبال له مدى 50 كلم أو أكثر. أجبته بأنني متفاجئ لسؤاله ولم أدّع أبدا أنني أملك تلك الكفاءات، وأنني كنت في الجيش الفرنسي، خلال الحرب، قائد محطة راديو لإرسال واستقبال الرسائل بالمورس فقط. كان بوضياف قد طرح السؤال دون قناعة، فقط ليسحب حبل الكلام، في الأخير قال لي : حسنا لنترك هذه القضية لمرة أخرى، لقد تم اختيارك لتؤدي وظيفة قائد منطقة للمنظمة الخاصة للجهة العاصمية. ستكون مسؤولا عن بئر خادم، بودواو (لالما)، بال فونتين، مينرفيل باليسترو[12]، المدية، البرواقية، قصر البخاري والشلالة؛ هذه هي منطقتك. » زودني بكل المعطيات بخصوص الاتصالات وضرب لي موعدا بعد شهر.

بعد ذلك، كنت آتي إلى الجزائر عند نهاية كل شهر لأقدم له عرضا عن مهمتي ولأتسلم تعليمات جديدة. ولقضاء الليل، كانت لي مفاتيح الوكالة العقارية التي كان يسيرها عمر بن محجوب بمنعرج الروفيغو، أو في دكان تصليح أجهزة الراديو بشارع ريغودي والذي كان يسيره محمد ماروك. ولأسباب أمنية وحفاظا على السرية كان علي أن أشغل المكان في العنوانين بعد ذهاب الموظفين وأغادره صباحا قبل حضورهم.

اتصلت أولا بمسؤولي كل الجهات التابعة لمنطقتي، قضيت شهرا أجوب المنطقة منظما اجتماعات في كل مكان. عند بني خلفون في جبل باليسترو تفاجأت لطلاقة لسان السكان بالعربية والقبائلية وبنفس القدرة، بل يتكلمون العربية أكثر، ولكن بين الحين والآخر كان يُطلب مني أن أنتظر حتى يتسنى لهم توضيح ماكنت أقول لبعضهم بعضا. كنت أحيانا أشعر ببعض الكبت في داخلي كوني لا أتواصل مباشرة وكان علي المرور عبر مترجم. ويجب القول أن كل هؤلاء الجبليين وفروا لي استقبالا

12 ـ ستسمى باليسترو بعد الاستقلال بالأخضرية تكرما للعقيد لخضر. وكان الهاشمي شريف أول رئيس دائرة هو من أعطاها هذا الاسم.

أكثر من حار، ضيفوني وأطعموني أحسن ماكان لديهم، مع أنهم كانوا فقراء. أدهشني تفانيهم وحبهم للبلاد. وأيضا استعجالهم انطلاق الكفاح، كانوا يطلبون السلاح ويسألون دوما : « إذن، متى؟ » وعن سؤال بخصوص إمكانية تجنيد عناصر جديدة من طرف مناضلين في القرى كانوا يجيبون : « الناس فقراء، إنهم خائفون، إنهم جد مراقبين ومقموعين، ويطردون من العمل بمجرد شك الإدارة في أن لهم صلة بالحزب. عودوا عندما تكون لديكم أسلحة، إننا مستعدون ». كان علي أن أهدئهم.

يتمثل عمل كل مسؤول دائم ومدرب في الميدان في تحضير المناضلين للقيام بعمل مسلح وبالتالي جمع كل المعلومات الممكنة، رصد مكان دورية عسكرية، النظر كيف وأين يمكن مهاجمة العدو، كيف نحمي أنفسنا والأماكن التي يتم الانسحاب إليها . . .إلخ

ما يمكن ملاحظته من هذه التنقلات بين مدينة وأخرى هو أنه في ذلك الوقت كان لايمكن للساكن الأصلي أن يتنقل كما يريد في بلاده. كنا تحت الإقامة الجبرية في أحياء الأهالي وفي قرانا؛ وبمجرد أن نترك أماكن إقامتنا نصبح مشبوهين وعرضة لتفتيش الشرطة. وكانت لمصالح استعلامات السلطة الاستعمارية مع معاونيها من الأهالي ومخبريها وشرطتها فعالية كبيرة. حتى عندما تكون منصهرا وسط الجماهير وترتدي ملابس الريفيين كان هناك دائما خطر ملاقاة، وأنت تنزل من الحافلة، « شامبيطا » أو حارس بلدي يراقب تحركات أي شخص غريب عن المكان. وأصعب مسار كان من التيطري إلى الشلالة، معاناة حقيقية على الخصوص بمدينة الشلالة لأنها بلدة صغيرة جدا في « قعر كيس » ـ كما يقال، كل الناس يعرفون بعضهم بعضا. وكذلك الحال بالنسبة للمسافرين الذين يأتونها. كان على المرء إذن أن يتفادى الكلام مع الناس، وفي الغالب هم فضوليون جدا، والابتعاد قدر الممكن عن نظراتهم وأسئلتهم. وحتى لا أثير الشكوك، كنت أتظاهر بالنوم وقلمون قشابيتي يغطي عيني.

بالمدية التقيت بالمسؤولين زعيبك وبالرامول، وفي البرواقية بمحمد مخطفي ومساعديه بلحاج محمد وحسن باي، كان هذا الأخير ينتمي إلى عائلة ميسورة

وكان ينشط منذ مدة طويلة في حزب الشعب الجزائري. وكان ابناه الاثنان ينشطان في المنظمة الخاصة، أذكر أن حسن باي كان يقدر كثيرا مصالي الحاج الذي كان يمثل بالنسبة إليه نوعا من الأنبياء. كان يقول أنه تشرف باستقباله في بيته عند أي مرور له بالمدينة. وظل حسن باي يحافظ باحترام وإجلال على « الحنبل[13] » الذي تغطى به مصالي ولم يعد لأحد الحق في لمسه. ولكني عندما أمضيت أول ليلة عنده قال لي حسن باي وهو يسلمني الحنبل : « اليوم أنت من يتغطى به ». كثيرا ماكنت أقضي الليل عند باحة أيضا، على مقعد بدكانه لبيع الاسفنج، وفي الصباح كنت أتلذذ بالسفنجة الأولى قبل أن أستقل الحافلة إلى قصر البخاري.

وفي قصر البخاري كانت الاجتماعات تعقد في أعالي المدينة القديمة، وتجمع العديد من المناضلين الذين انمحت للأسف أسماؤهم من ذاكرتي،

وفي هذه البلدات كان وصول الحافلة دوما حدثا يجلب الناس والفضوليين من كل نوع وهو ما يضطرني أن أستعمل أنواعا كثيرة من الحيل. وأنا أحمل القفة في يدي وهي لاتحتوي على مناشير بل أدواتي الخاصة بالحلاقة ولمجة، كنت أسرع الخطى منخفض الرأس لمكان بعيد عن الأنظار، يكون المسجد في العموم، لأنتظر الموعد، هناك كنت أتوضأ وأصلي دون توقف حتى ينزل الليل. كان النزوع للصلاة صادقا ويساعدني كثيرا لأنه يسمح لي بالتركيز مع نفسي، فيزول العالم الخارجي ومخاطره لفترة.

في الواقع يمثل المسجد، عندما يكون قريبا من محطة الحافلة، المكان الأكثر أمنا خاصة وأن عدم لفت الانتباه هو القاعدة الأولى للسرية.

بصفة عامة بخصوص نشاط الدائمين والسريين فسلوك الحيطة القصوى والانضباط والتفاني وتجاوز الذات تمثل ضرورة مطلقة. بالنسبة للمناضلين الذين كانت لهم وظيفة وعبء عائلة في الغالب ومتطلبات الالتزام في الحزب كان العمل مرهقا جدا والضغط النفسي أحيانا لايطاق مما يؤدي في بعض الأحيان إلى التراخي والإخلال، ولكن الإخلال ليس خيانة. لأن القواعد وإجراءات العقاب، التي كان مبالغ فيها غالبا والتي تفرض من طرف القادة على المناضلين أصحاب الأخطاء، كانت تنفذ

13 ـ غطاء منسوج يدويا من الصوف.

دون نقاش مسبق على الرغم من التحذيرات من النتائج السلبية التي قد تترتب عن ذلك. وذلك ما حصل في قضية تبسة في مارس 1950 التي كانت سببا في اكتشاف ثم تفكيك المنظمة الخاصة من طرف الشرطة الاستعمارية، وهي قضية مست كل التنظيم وأدت إلى عدد هائل من الاعتقالات والتعذيب والسجن لسنوات عديدة وآلاف من العقوبات المالية عبر البلاد.

هذه القضية المؤسفة، بالنظر إلى نتائجها، والمدانة أخلاقيا لصرامة العقوبة (مطاردة وضرب وإهانة في مجلس التأديب لمجرد لحظة ضعف) أظهرت تفاهة التعسف في استعمال السلطة.

وكانت التعسفات كثيرة، كتلك التي أدت سنة قبل ذلك إلى عملية مهينة في بسكرة والتي اضطررت للمشاركة فيها كمنفذ مع عبد السلام حباشي بينما كان عيسى بوكرمة يقود السيارة وعبد الرحمن غراس كقائد للكومندو.

كان بوضياف أمر بهذه المهمة العقابية لحالة مماثلة : عثرة المناضل أ. ميدا.ولأن هذا الأخير تمكن من الإفلات منا لم يبق لنا سوى أن نشهد بعد ذلك بشرف هذا الرجل الذي لم يطلب حماية الشرطة خلافا لرحايم خياري الذي أوصله الهلع إلى أن يعطي كل شيء للعدو.

في نهاية شهر ماي التقيت كالعادة ببوضياف قائدي بالجزائر العاصمة لأقدم عرضا عن مهمتي خلال الشهر. كنا عند المغرب. أمرني أن أعود دون تأخير إلى منطقتي، كما لو كانت لي إقامة محددة، مع أنه كان يعرف جيدا أننا في وظيفة الدائم كنا نمضي وقتنا عند المناضلين في كل بلدة ووفق اجتماعات العمل. قلت له لايمكنني الذهاب إلى أي مكان خاصة عند المغرب حيث لاوجود لوسيلة نقل فضلا على كون الموعد القادم لم يكن محددا لهذا اليوم. وكان جوابه، أن أمرني مجددا أن لا أبقى في الجزائر لأن المحل الذي كنت أقضي فيه عادة ليلتي صار مراقبا. حيرة وقلق : أين أقضي الليل، في الفندق؟ المخاطرة أكيدة. الذي لم يقله لي بوضياف أن اعتقالات كانت قد تمت بقسنطينة والجزائر وأن الأبحاث كانت جارية بخصوص المشبوه الذي

كنت أمثله (في قسنطينة كانت أمي ضحية لأول إنزال بوليسي[14]). هنا تكمن بدايات النتائج لقضية تبسة.

في الأخير ومادام لم يبق لي أي خيار قررت أن أقضي الليل في المكان الوحيد الممكن، توجهت نحو هذا الملجأ وكان الوكالة العقارية التي يسيرها بن محجوب، وهو أيضا صندوق بريد موجود بمنعرج روفيغو. كان مدخلها الرئيسي وواجهتها يطلان على الشارع وكل شيء كان مرئيا من الخارج. ومادام الوصول إلى علية الدكان كان ممكنا من مدخل العمارة، كان يكفيني أن أذهب دون أن أشعل النور فتحت بهدوء باب العلية التي كانت مضاءة بنور الشارع، وحتى لا أُرى وضعت بطانية على الحاجز الخشبي؛ ثم وضعت سرير التخييم بطريقة تسد باب المدخل وآويت إليه بملابسي. وكإجراء آخر علقت منشفة على ثقب المفتاح. نمت منهكا من التعب لكنني صحوت فزعا عند حوالي الساعة الثالثة صباحا على صوت ضربات على باب الدكان. موجهين كل أنوار سياراتهم إلى الواجهة الزجاجية للدكان، كان يمكن لرجال الشرطة أن يروا ما في الداخل كما لو كانوا فيه، غير أن العلية التي تسترها البطانية كانت تخفى عن نظرهم. كانت الشرطة تعرف جيدا المكان لأنه سبق وزارته. دخلوا مباشرة من باب المبنى وصعدوا الأدراج القليلة وراحوا يطرقون عليّ الباب وهم يقولون : « نعرف أنك هنا، افتح، لاتخف، نريد التفتيش فقط ». كان ذلك بداية صراع داخلي كبير لأتحكم في خوفي؛ كاد قلبي أن يخرج من صدري من شدة الخفقان. حاولوا كسر الباب لكنها قاومت وكانت مسدودة بالسرير ووزني عليه. حاولوا بمساعدة مصباح يدوي أن ينظروا عبر ثقب المفتاح لكن المنشفة حجبت عنهم ما في الداخل. واصلوا الطرق العنيف. كنت أسمع تبادل الكلام بينهم ثم الصوت المعروف للمفتش حميدي الذي كان يصر : « نعم أيها القائد رأيته يدخل، أقسم لك أيها القائد أنني رأيته يدخل ». خيم صمت الأموات، أخيرا ومع خيوط الصباح الأولى قرروا الرحيل. بقيت هامدا لمدة طويلة. أفكر فقط في وسيلة للخروج دون أن أعتقل. ثم كان علي أن أتخذ القرار. لبست خفا رياضيا بدل

14 ـ أخذ الشرطة خلال هذا الإنزال كل الصور المشكلة لذكريات شبابي من المدرسة إلى الجيش. الصورة الوحيدة التي بقيت لي من تلك الفترة تعود إلى سنة 1954.

الحذاء وبمجرد قفزي من السرير انفتح الباب، كان قد كسر ولم ينفتح بفضل السرير ووزني ـ صمت الأموات الذي التزمته كان بلا ريب قد أدخل الشك عند قائد الشرطة توران وأيضا، يجب أن يقال، بفضل حظ كبير. في الأخير خرجت وسحبت الباب ورائي وانتظرت مدة وراء المبنى مرور أول حافلة لأحتمي بها عن نظر محتمل لشرطي يكون قد بقي هناك لمراقبة خروجي ثم هربت جاريا حتى مدخل القصبة. هناك تنفست ملء رئتي الهواء البارد لذلك الصباح، في لحظة سعادة قصيرة.

خلال النهار التقيت ببوضياف في مطعم رابح أوقانة وبالطبع حكيت له كابوس الليل. شعرت بأنه كان يريد أن يوبخني لكنه عدل عن ذلك وأعلمني باعتقال بن بلة الذي كان هو نائبه (كان بن بلة قد خلف آيت أحمد في منصب القائد المساعد لقيادة الأركان الوطنية للمنظمة الخاصة). في نهاية هذا اللقاء أمرني أن أذهب إلى بودواو لأختبئ رفقة سويداني بوجمعة موضحا : « أنت تعرفه دون شك، على كل حال هو يعرفك ». محكوم عليه بالإعدام في عدد من القضايا منها قضية بريد وهران، كان سويداني يعمل في مزرعة صغيرة تحاذي أخرى لمعمر هو رئيس بلدية بودواو.

وبالفعل خلال اجتماعات المراقبة السابقة التي قمت بها في هذه الضيعة الصغيرة التي يملكها الأخوان قويقح المناضلان في المنظمة الخاصة كنت قد لاحظت عاملا من بين آخرين يطرح أسئلة مهمة. التحقت بهذا العامل النموذجي بضيعة قويقح، سويداني بوجمعة، ومثله تحولت إلى عامل في الفلاحة، أدفع العربة وأزيل الأعشاب في الحقول لفترة من الأيام الجميلة في السرية.

ثم حصل الذي حصل. كنا ننام في بناء صغير تابع للإسطبلات ولايفصله عنها سوى سياج من قصب. وكنا نغلق مرقدنا هذا بلوح زنك. وهكذا ذات ليلة في حوالي الثالثة صباحا جاءت مجموعة من شرطة الاستعلامات العامة إلى الضيعة بعد أن انتزعوا المعلومة أثناء استنطاق عن ملجئنا، وهم متأكدون من أنهم سيقطفوننا كفاكهة ناضجة في متناول اليد. استنفر رفيقي سويداني الذي يتمتع بدقة السمع وخفة النوم (خلافا لي الذي كنت أعتمد على أذن واحدة إذا لم أكن نائما عليها)، وأخذ المسدس في يده وفي نفس الوقت الذي صاحت فيه الشرطة « انهضوا، هنا

في الداخل » ومصابيحهم تمسح الكوخ أطلق سويداني بوجمعة رصاصتين على مقربة من الهدف[15]. سقط المفتش كولي ميتا في المكان وأصيب شرطي آخر في ذراعه بجرح طفيف. وفي الهلع العام الذي ساد تمكن سويداني من الهرب من جانبه بينما قبضت على سترتي التي كانت معلقة على القرميد القريب من رأسي مما جعله يتحرك. صاح شرطي : « حذاري، إنهم على السقف ». كان الظلام دامسا وفررت من جانب آخر وزحفت على مسافة 50 مترا. غطى الليل والصمت فرارنا عبر حقول وتلال لالما.

تمكن سويداني، كما عرفت فيما بعد، من إيجاد مخبإٍ قديم، أما أنا فركضت طويلا كيفما اتفق ثم أخذت اتجاه الجزائر مستدلا بضوء منارة الجزائر متحاشيا قدر الممكن الطريق الوطني. في الصباح الباكر وصلت إلى مشارف الحراش، وأنا أواصل طريقي، لاحظت بائع الاسفنج واضعا سلته على رأسه وهو يمشي في نفس وجهتي، اشتريت منه وعرضت مساعدتي في حمل سلعته لمسافة ما؛ وكانت حيلة بسيطة لإبعاد شبهات الشرطة التي كانت تطاردني، فقبل عرضي. وصلت إلى بلكور ثم صعدت نحو الغولف وشارع الميموزا دون أن أتوجه إلى بيت ديدوش طبعا؛ كانت نيتي أن أجعل مناضلا ما من الحي يراني. وبالفعل رآني شقيق ديدوش من المخبزة القريبة من مسكنهم وأبلغ قاسي عبد الرحمن المدعو دادة الذي جاء لمقابلتي : « يا أخ إنك تبدو وكأنك تبحث عن أحد هنا ». لم أكن أعرفه وكنت حذرا ولكن طبعه المرح وطريقة كلامه طمأناني بعض الشيء. « أبحث عن صديق في الحي كان قد دعاني عنده لكن لا أريد أن أقابله في البيت » أجابني بسؤال عن اسمي فقلت : « أنا منصور ». « لاتبتعد عن هذا المكان ».

عندما عاد صافحني وقبلني وطلب مني أن أتبعه إلى محل الكشافة، ثم أحضر لي طعاما وشرابا وعند نزول الليل عاد مع مناضل آخر، دبيح الشريف، الذي كُلِّفَ بإيوائي تلك الليلة. وضعني دبيح في كوخ صغير بحديقة بيت أخيه وقضى الليل يحرسني حتى الصباح. عرفت ذلك وأنا آخذ فطور الصباح عندما قال لي أن نومي كان مضطربا جدا مصحوبا بقفزات. رددت ذلك إلى تعب كبير دون أن أضيف شيئا.

15 ـ كان للمحكوم عليهم بالإعدام الحق في حمل سلاح، هكذا كان لسويداني واحد.

آخر مرحلة، في الصبيحة، جاء شخص آخر ليستلمني ويقودني إلى المدعو بوكشورة مراد بباب الوادى حيث كان يعمل في خياطة الجلود عند معلم صيني. بعد كلمات الترحيب نزع مراد مئزره وطلب مني أن أتبعه. ركبنا الترام حتى محطة الطاحونتين، ثم مشينا نحو بيته ببوانت بيسكاد . وهكذا بعد إقامة ريفية قصيرة انتهت بشكل عنيف ببودواو، وساعات من الفرار بالمساعدة الجليلة للمناضلين وصلت إلى الضاحية الغربية للجزائر العاصمة عند عائلة بوكشورة.

في مرفإ السلام هذا وجدت بدهشة وفرح رفقاء نضال كانوا عنده : بن مهيدي، ديدوش وغراس. وابتداء من ذلك اليوم احتللنا نحن الأربعة أكبر غرفة في البيت الصغير للأخوين مجيد ومراد بوكشورة. وقد دام ذلك طيلة الأبحاث البوليسية التي استمرت لأكثر من شهرين.

وكان لكل من مراد ومجيد غرفة في بيتهم الصغير كان محمد وأختاه الصغيرتان أبناء مراد وفطومة وكمال أبناء مجيد. كان الشقيقان يذهبان كل صباح للعمل بينما نبقى نحن الأربعة معتكفين نقضي وقتنا في القراءة ولعبة الورق والمحافظة على اللياقة بدون أي ضجيج كما طُلِبَ منا حتى لانثير فضول الجيران الفرنسيين والأهالي. في المساء عند عودة الشقيقين كنا نأكل معا، ونتكلم عن الأحداث أو كنا نستمع إليهما وهما يقصان مجريات يوميهما. كان مراد يقص نوادره بمرح وبتهكمه كرجل محتفي ومعبر، بينما مجيد، الذي كان في تواطؤ محبب مع أخيه يؤكد بابتسامة أو بملاحظة داعمة. فيما يخصني، وحسب ظني، بسبب مقربة البحر عرفت لأول مرة أزمة ربو. وكانت من القوة لحد أخذي إلى المدينة رغم المخاطرة عند الطبيب الدكتور فيدال بـ 1 شارع ديزلي.

خلال هذه المرحلة من الاعتكاف الاضطراري كان قائدنا بوضياف، المتزوج حديثا، والذي كان له عدة مخابئ في المدينة يأتي بين حين وآخر ليعلمنا عن آخر ترتيبات الحزب. كان دوره بالتدقيق أن يكون الرابط بين المسؤول عن قيادة حزب الشعب الجزائري (حسين لحول) والمناضلين المشتتين والذين كانوا في حالة يرثى لها منذ النتائج الكارثية لقضية تبسة.

بعد الأسابيع الطويلة من الضيافة في بيت بوكشورة تم إيوائي عند مناضل آخر من الإسناد هو مسعودي عبد الواحد الذي كان يسكن حي التاغارا في أعالي الجزائر.

مع تواصل قمع عناصر المنظمة الخاصة من طرف الشرطة الاستعمارية، قرر الحزب حلها في فبراير 1951 (أو على الأقل تجميدها إلى غاية أوقات ملائمة)، ومادمنا كنا مطاردين بصفة حثيثة في مناطقنا أمِر بتعييننا في المنطقة الوهرانية لتدعيم الحركة السياسية داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

2 ـ قائد ناحية في الجنوب الوهراني من 1951 ـ 1953

المفارقة في وظيفتنا الجديدة أنه كان يتعين علينا القيام بنشاط شرعي مع أننا سريون. عينت في دائرة معسكر وكانت مسؤوليتي الجديدة تتعلق بمدن الجنوب الوهراني : معسكر، سعيدة، جيري فيل (البيض)، مشرية، عين الصفراء، بني ونيف، بشار والقنادسة التي كانت المحطة النهائية للقطار. وهكذا التقينا بن مهيدي، بن عبد المالك، بوصوف، ديدوش، بركات، حباشي، غراس وأنا ووجدنا أنفسنا كلنا من المنطقة القسنطينية باستثناء ديدوش من الجزائر وكلنا من المنظمة الخاصة مدانون أو مطاردون.

وكان عملي يتمثل في التنقل من مدينة إلى مدينة ليس للتكلم عن النشاط العسكري بل في التنظيم السياسي. كنت ألتقي مسؤولين محليين، أتابع تقاريرهم، أجمع مال الاشتراكات للحزب وأُبَلغ تعليماته. كما كان الحال بالمذكرة الموجهة سنة 1951 للأمم المتحدة والتي صرحت فيها الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية بأن الشعب الجزائري حر في تحركاته، وأنه في حالة حرب، لن يعتبر نفسه ملزما بأي قرار يؤخذ خارج نطاق اختياره الحر والمستقل. هذه المذكرة كان يتوجب توزيعها على كل فئات السكان والجمعيات والعمال والكشافة والطلبة ...إلخ

كان لنا في معسكر تنظيم جيد للطلبة الثانويين على رأسه عبد الدايم من مستغانم أولا ثم الشاب أحمد مدغري من سعيدة (وزير الداخلية في المستقبل) الذي كان يتميز بديناميكيته وقناعاته المناقضة لقناعات والده المسؤول عن الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بسعيدة.

وفي معسكر دائما أذكر من بين المناضلين المسؤولين، اسطمبولي، بوتليليس، بوزيان وبوسكرين، بقال كنت أنزل عنده لدى وصولي، وآخرين لم أعد أتذكر أسماءهم.

بسعيدة كنت أذهب عند سي عبد القادر بلقصير، خياط سبق أن حكم عليه بالإعدام خلال أحداث 8 ماي 1945 وأعفي عنه فيما بعد. بمجرد وصولي كنت أذهب مباشرة إلى ورشته ولا أخرج منها حتى المساء لأذهب معه إلى الاجتماع، وفي اليوم الموالي أستقل الحافلة في اتجاه جيري فيل (البيّض)، بلدة صغيرة تقع في مكان مغلق يجبرني على استعمال وسائل التمويه التي كنت مارستها خلال نشاطاتي في التيطري. وبعد انتظار في المسجد وأحيانا في المقهى كنت أتوجه إلى بقالة كان يسيرها شقيقان مسؤولان في الحزب. في المرة الأولى جرى الاجتماع بها، في جو مضطرب جدا. يجب التذكير، قبل كل شيء، بأنه في ذلك الوقت كان الإرباك الكبير الذي زعزع الحزب سنة 1949، والذي عُرف باسم الحركة البربرية، سائدا ولاحظت تأثيراته عند هاذين الأخوين ذوي الأصول القبائلية. عوضت أحدا يدعى ولد حمودة الذي قام بعمل انشقاقي في المنطقة وأثر سلبا على الناطقين بالبربرية قبل أن يفصل من الحزب بسبب « نشاطات ذات نزعة بربرية ».

شخصيا، كنت في 1949 بقسنطينة ولم تصلني سوى أصداء بعيدة عن هذه الأزمة. أذكر أن إقالة لامين دباغين وجمال دردور ومسعود بوقادوم، وهي شخصيات قديمة من حزب الشعب الجزائري، والتي كنا نقدرها كثيرا، كان قد صدمنا ولكننا لم نكن نعرف جيدا الأسباب (عن ماذا انحرفوا في خط الحزب). اختلافات القمة كان يجب أن لاتمسنا، ووقت إعادة النظر لم يكن قد حان بعد...

بجيري فيل (البيض حاليا)، تطلبت التأثيرات الفعلية للأزمة البربرية أن نوضح الأمور، اقترحت إذا جمعية عامة تجمع أكبر عدد ممكن من المناضلين مع المسؤولين المحليين. بدوا وكأنهم لايعرفون بعضهم بعضا؛ وكانوا يجيبون على أسئلتي في كل مرة بانتقاد الغلبة القبائلية المزعومة. لاحظت أيضا أن هناك شخصين يعملان كل ما في وسعيهما لتضخيم المشكل لغاية مبيتة من أجل فصل المسؤولين القبائليين. انفجرت أمام تلك الأفكار الدنيئة، في حين أن الكفاح التحرري كان مستقبلنا

القريب، وأن الوحدة إذن حيوية بالنسبة لنا، وأكدت : أن الأسياد الاستعماريين مافتئوا يمارسون سياسة التفرقة قصد السيطرة علينا، يضربون طائفة بأخرى ومنطقة بأخرى وزاوية بأخرى.

وهكذا مس تدخلي والحماس الذي ميزه الحضور، فدمعت أعين بعضهم تأثرا وتوبة. كان يجب أن لايتضرر التنظيم من المناورات الدنيئة وأن يستمر العمل دون ضعف.

توجهت بعد ذلك نحو مشرية لاجتماع ليلي، وفي الصباح أخذت القطار نحو بشار، كنت أنزل أولا بعين الصفراء لتمضية ليلة أو ليلتين، ثم استقل قطار الليل الذي يصل حوالي منتصف الليل إلى بني ونيف.

المرة الأولى التي قطعت فيها المسافة إلى هذه البلدة الصغيرة المحاذية لفغيغ بالجانب المغربي كنت برفقة محمد فرطاس، القائد الذي كنت على وشك خلافته على مستوى كل الدائرة. ومن هذه الإقامة القصيرة بقي لي في الذاكرة اللقاء مع الرائع والمدهش سي الفقيه، كان الرجل ينتظرنا بالمحطة ليقودنا إلى بيته. في عز الليل، كان يمشي بسرعة كبيرة وعصاه بيده. طلبت منه أن يقلل من السرعة قليلا، فبالنسبة لي كنت أسلك هذه الطريق لأول مرة، ولم أكن أرى شيئا. ولما وصلنا إلى البيت استدار نحوي وقبلني وهو يعتذر، وهنا وقفت مشدوها. كان كفيفا، كفيفا تماما! وعندها رحت أعتذر له. لأن زميلي لم ينبهني لذلك.

وتبين أن سي الفقيه كان قائد قسمة بني ونيف، وتم اجتماعنا إذا معه. كل شيء كان في ذهنه، يجيب على كل الأسئلة دون تردد : تقرير حول نشاطات الشهر، تقرير مالي، نشاطات المدينة وأخبار متعددة. وكان الرجل من جهة أخرى يعطي دروسا بالمسجد ومعروفا لدى مصالح الشرطة ومراقب ومتبوع حيثما يتنقل. كان يعرف ذلك، ورغم إعاقته كان يتمكن أحيانا من الإفلات من متابعيه، وكان يضحك من ذلك في كل مرة. وتم سحب بطاقة الكفيف التي كان يملكها منه، والتي كانت تسمح له بالسفر مجانا، ولم يكن يكترث لذلك محافظا على دعابته التي لا يزعزعها شيء.

ببشار كنت أتوجه مباشرة إلى حي الدبدابة وأنتظر في محل فارغ وضع تحت خدمتي. في اجتماع، ذات مساء شرح لي امحمد الميكانيكي ومسؤول القسمة مطولا القضية المأساوية التي جرت هنا قبل أسابيع.

في الأصل كانت هناك مظاهرة أمر بها الحزب في كل مدن البلاد دعما للنائب في المجلس الوطني محمد خيضر، ممثلنا عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية. وبالفعل، كانت سيارته قد استعملت في قضية السطو على بريد وهران سنة 1949 ووصل التحقيق إلى صاحبها مدة بعد ذلك. وقد سجل رفع الحصانة البرلمانية عن خيضر في جدول أعمال الجمعية. لهذا كان الشعار : يحيا خيضر.. لا لرفع الحصانة..

كانت التعليمات ببشار تتوخى النجاعة : الذهاب إلى السينما، وعند خروج الجمهور تنطلق المظاهرة. وحاولت الشرطة التدخل لتفريق الناس دون نجاح، وهنا تدخل ابن أحد كبار المعمرين وهو شخص غليظ فظ ومُحقِّر، اقترب وراح يسخر من الشرطة : « هيه، أنتم خائفون من اعتقال هؤلاء العرب المقملين؟ سترون ما أنا فاعل ! ». وهجم على الجمع بقبضاته، سقط رجال، وأطلق عنان الشجار. وأثناء المشادات أخرج أحد المناضلين سكينه ووجه ضربة قاتلة للمعتدي.

كان القمع رهيبا، استنجدت الشرطة المحلية، بعد أن تجاوزتها الأحداث، بالشرطة الجنائية بمعسكر. اعتقل حوالي مائة شخص وبعد عدة أيام من الاستنطاق والتعذيب والتهديدات اكتفت بحجز أربعة أشخاص، كان القاتل من بينهم ولكن، وهذا جدير بالملاحظة، لم يفش عنه رفاقه رغم كل ويلات التعذيب. وقد أدين أربعتهم بخمسة عشر سنة سجنا دون أن يعترفوا بالجريمة.

كانت القنادسة، آخر محطة في دوريتي نحو الجنوب، مدينة منجمية، حيث كان لنا فيها العديد من المناضلين يعملون في مناجم الفحم. في إحدى المرات وعند نزولي من القطار تم توقيفي من طرف حارسين بلديين على الدراجات : « اتبعنا عند الحاكم. ـ لماذا؟ ـ هو الذي سيقول لك لماذا ».

لا مفر، كان بحوزتي بعض الأوراق الخطيرة. رميتها خلسة من تحت قشابيتي وركلت عليها بعض الرمال لتغطيتها على عجل. وصلنا عند الحاكم حيث تم استنطاقي وتفتيشي. وبخصوص الأسئلة المنتظرة كانت أجوبتي جاهزة :

ـ أنا لا أعرف أحدا... أنا أبحث عن عمل، جئت للبحث عن عمل في المنجم وإن لم أجد هنا سأغادر إلى جهة أخرى... في الأخير أطلِق سراحي.

وفي انتظار اجتماع المساء، جلست في إحدى المقاهي، وظنا مني أنني انتهيت مع السلطات، وكنت قد عاودت التقاط المناشير التي سبق وأسقطتها في الطريق، دخل فجأة دركيان، تفحصا المكان ثم جاءا مباشرة نحوي. شعرت بأنني ضعت : « أنت هناك، أوراقك ». بقيت عيناي غارقتين بذهول في كوب الشاي أمامي. « أوراقك... ». مددت لهم بما كان في حوزتي من أوراق محتجا بأنني كنت لتوي خارجا من عند الحاكم. وعن نفس الأسئلة، عن أسباب حضوري إلى هنا قدمت نفس الإجابات التي كانت مقنعة على كل حال. أعادا إلي بطاقة هويتي الحقيقية المزورة ورجعا على عقبيهما. قضيت باقي النهار متظاهرا بالبحث عن عمل.

في المساء التقيت بارتياح مسؤول القسمة النقابي مناد لاجتماع العمل، كنت غالبا ما أقضي الليل وأحيانا النهار عند عامل منجمي في المدينة والذي كان يترك التعليمة لزوجته بأن تحضر لي الطعام على الثانية عشر، كانت تضع الطبق أمامي وتذهب ولم أجرؤ يوما أن أرفع بصري إليها احتراما لها ولزوجها، حسب التقاليد.

انتهت نشاطاتي على هذه المسافة الطويلة من الجنوب الغربي بعد سنتين في ديسمبر 1953 لأسباب صحية. كنت منهكا، وكانت آثار مرض الصدر تفرض نفسها بصفة ثقيلة فطلبت استخلافي حتى أتفرغ للعلاج.

عين بشير شيحاني ليخلفني في هذه الدائرة بينما عينت مؤقتا بدائرة مستغانم (كساين وبيريغو) في مكان عبد الرحمن غراس. وبعد ثلاثة أسابيع سلمت المهام لبن عبد المالك رمضان وعدت إلى العاصمة.

V ـ اختلافات في الرؤى وخلافات بخصوص انطلاق الكفاح المسلح

1 ـ انفجار الحزب ونتائجه

عرفت سنة 1953 توترات خطيرة داخل حزب الشعب الجزائري/ حركة انتصار الحريات الديمقراطية. في مؤتمره الثاني في أفريل من نفس السنة اختير بن عبد المالك رمضان من طرف بوضياف وبن مهيدي ليمثلنا، لأنه كان أكثرنا تأهيلا وأقلنا معرفة من طرف شرطة الجزائر. تدخل باسم المنظمة الخاصة وكانت له الفرصة فيما بعد أن يعطينا نظرته للحدث.

يجدر التذكير أن مصالي كان قد طلب الرئاسة مدى الحياة، وقد أفرز التصويت لاستخلاف الأمين العام ـ وكان حسين لحول مستقيلاـ صعود بن يوسف بن خدة. كان لمصالي رجال ثقة داخل المكتب السياسي منهم عبد الله فيلالي المدعو الخفيف، مولاي مرباح، مزغنة وبعض الآخرين ممن لم يكن لهم أي تكوين ثقافي أو سياسي. كانوا مجرد أتباع بلا وعي لمصالي، وقاموا بحملة من أجل أن تكون له كل السلطات. وقد نكرتهم أغلبية اللجنة المركزية لأنه، ولأول مرة، كانت هناك مسألة إخفاق إيديولوجي وسياسي.

بعد ذلك، في ديسمبر 1953 نشر مصالي الحاج في لسان حال الحزب رسالة أعلن فيها عن اختلافه مع أعضاء اللجنة المركزية (حوالي ثلاثين) والمكتب السياسي (حوالي عشرة) ووصفهم بمضادي الثورة والانحرافيين، واتهمهم حتى بالضلوع في التعاون مع جاك شوفاليي رئيس بلدية الجزائر أي مع تيار الليبراليين الفرنسيين.

وبدورهم، اتهم أعضاء اللجنة المركزية والمكتب السياسي مصالي بجنون العظمة وعدم الكفاءة.

بدأ الشرخ خلال مؤتمر أفريل هذا وتوسع خلال الأشهر التالية بسبب العمل التدميري للمصاليين. لم يكن هذا الوضع ليُتصور من طرف كل المناضلين، كانت الأزمة مفتوحة داخل الحزب وحصل إذا الانفجار في نهاية ديسمبر 1953 مع رسالة رئيس حزب الشعب الجزائري/ حركة انتصار الحريات الديمقراطية، مصالي الحاج.

وفي جانفي 1954، زعزع عنف الصدمة القناعات والآمال، وعلى الخصوص ثقة الجميع، حتى على مستوى القاعدة النضالية. ساد الشك ثم الشجارات والمشادات في كل مكان في البلاد.

كان المركزيون المؤيدون لقيادة اللجنة المركزية مع حسين لحول كقائد من جهة، وكان معهم أغلبية إطارات الحزب التي تتمتع بمستوى ثقافي وسياسي كاف. ومن جهة أخرى كانت القاعدة الشعبية للمناضلين وراء مصالي. وقد كسبت له شعبويته، التي كانت تعود إلى أيام نجم شمال إفريقيا، جزءا واسعا من المناضلين في الجزائر وعلى الخصوص عند العمال المهاجرين في فرنسا.

في بداية السنة كان الوضع كما يلي تقريبا :

كل منطقة القبائل تموقعت وراء مصالي وممثله في عين المكان كريم بلقاسم، أما الأوراس مع بن بولعيد، عضو سابق في اللجنة المركزية وعضو المنظمة الخاصة، بقيت على الحياد. وفي الغرب كان أتباع مصالي يسيطرون بصفة واسعة.

في قسنطينة ومنذ 1949 ـ 1950 كان الوضع قد تطور في اتجاه تجديد القيادة السياسية، وقد أخذت العناصر النشطة من المنظمة الخاصة المكانة الأكبر من السياسيين في القيادة السابقة أمثال سليم راشي وزادي شريف وبوجنانة وبغريش، الذين كانوا كلهم مستشارين بلديين لحركة انتصار الحريات الديمقراطية. وكان للقيادة الجديدة المنتخبة، وعلى رأسها حداد، هدف الوصول إلى تسيير أحسن للحزب وأن يتم الدفاع عنه من قبل الأكثر قدرة على ذلك. وهكذا في 1953 ـ 1954 اتخذ كل من حداد يوسف وملاح رشيد وبوعلي سعيد موقعا حياديا واستقبلوا أعضاءً من اللجنة المركزية كما استقبلوا أتباع مصالي الذين أتوا الواحد تلو الآخر للدفاع عن وجهة نظره.

أحدث الوضع المحبط والخطير السائد ردة فعل من طرف حسين لحول، فاستدعى بوضياف، الذي كان ينشط منذ بعض الوقت بفرنسا؛ وطلب منه أن يعيد تنظيم المنظمة الخاصة، ويعيد إحياءها كقوة جديدة قادرة على إعادة بعث الأمل في المرور إلى العمل المسلح، بمصالي أو بدونه. وتم في مارس إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل. وجمع أول لقاء بمدرسة الرشاد كل من لحول حسين، سيد علي عبد الحميد، السكرتير بوضياف ودخلي بشير. وتمت الاجتماعات التالية مع دخلي بشير وبوشبوبة ممثلين عن اللجنة المركزية، وبوضياف وبن بولعيد من المنظمة الخاصة.

قبل ذلك، ومادمت أنني كنت في الجزائر في ديسمبر في الوقت الذي حصل فيه الانفجار في القمة، حرصت أن أستعلم مِن الأقرب إلى المصدر، أي لدى دخلي بشير المراقب العام للحزب. وكوني من اللجنة المركزية شجعني أن أذهب إلى قسنطينة لأوجه المناضلين في هذا الاتجاه. كنت مريضا وكنت أفكر في زيارة طبيب قبل كل شيء. كما التقيت في الجزائر بوضياف الذي أعلمني أنه تم إعادة إحياء المنظمة الخاصة وطلب مني أن أعيد بعث المنظمة في المنطقة القسنطينية والقل وسكيكدة وعزابة وباتنة وعين التوتة ؛ فقبلت. سلمني المعطيات الضرورية وحدد لي موعدا في قسنطينة بعد انتهاء المهمة.

برغم التعب، عدت للتحرك في المدن المذكورة ولألقى في كل مكان تأييدا متحمسا بخصوص شعار الحيادية في أفق الوحدة من أجل الكفاح القادم. لكن مناضل المنظمة الخاصة بعزابة علي منجلي كان يريد أن يعرف أكثر : مخطط العمل، الأهداف والوسائل. ولم تكن لي للأسف تفاصيل لأقدمها له (ومن كان يملك ذلك؟) وكنت أتأسف لذلك. بعدها ذهبت لأقدم تقرير مهمتي لبوضياف.

كان موعدنا على جسر سيدي راشد. كان اللقاء صاخبا وأدى إلى أول خلاف شخصي معه. رأيته قادما من بعيد متشنجا وغاضبا، يتمتم بالشتائم. كنت متفاجئا. سألته : « ما الذي يحصل؟ »، فأجاب :

« ياللعار، استقبلتم المصاليين بقسنطينة ! »

كنت قد دخلت لتوي من عين التوتة ولم أكن بالطبع أفهم شيئا في سبب غضبه. فأعلمني بما حدث. كان الأمر بسيطا (وفي العمق صادما) : لقد ضرب أتباع مصالي

بالجزائر بوضياف ورابح بيطاط، وكان يريد أن نفعل نفس الشيء في قسنطينة مع المصاليين. في حين، وعلى العكس من ذلك، رافعت من أجل استرجاع الثقة الذي يمر عبر الاستماع لهؤلاء وأولئك، كما كان الحال قبل مارس وبروز اللجنة الثورية للوحدة والعمل (كانت التسمية تحمل في صدرها كلمة الوحدة)، وقلت له في كل الأحوال أنني لو كنت في عين المكان لأيدت موقف القيادة أي موقف حداد.

وبالفعل عندما التقيت مسؤولي القسمة أكدوا : نعم لقد استقبلنا المركزيين ثم المصاليين ولم نكن متفقين لامع هؤلاء ولا مع أولئك.

شخصيا، كنت أؤيد اللجنة المركزية لأنني اعتبرت أنه لم يكن لمصالي الحق في خرق قواعد الحزب، وأنه كان يتعين أن تُطرح المسائل السياسية داخل المؤتمر، وأنه في ظرف ماقبل الثورة يتعين أن يُكبح حب الذات. كنا الجيل الجديد، ولم نعد نطيق الانتظار. كنا نريد المرور إلى العمل، وكان مصالي قد دمر الأداة الأساسية التي تسمح بتصوره مسبقا وتحضيره. ولكننا كنا مصممين على الكفاح رغم كل شيء، وكان عمل فيه يأس وتحد في آن واحد.

اللجنة الثورية للوحدة والعمل، ذلك الطريق الجديد نحو الفعل، والتي جرها لحول إلى دوامة الصراعات، كان في لجنتها عضوان من اللجنة المركزية هما دخلي بشير وبوشبوبة وعضوان من نشطاء المنظمة الخاصة هما بوضياف وبن بولعيد. وكانت للجنة جريدة تسمى لوباتريوت. واحتوت الأعداد الثلاث الأولى من ضمن الستة التي صدرت على مقالات متحيزة للأسف، مظهرة ميولا واضحة اتجاه اللجنة المركزية وكان ذلك يتناقض أصلا مع أهداف اللجنة الثورية للوحدة والعمل (كانت تكذب ضمنيا الموقف المحايد الذي كان يريد بعض أعضاء المنظمة الخاصة التقيد به).

ففي قسنطينة مثلا، طرح لنا ذلك مشكلا مع المنظمة عندما حاول موالون للمصاليين إستعادة مقر حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ولكنهم جوبهوا لحسن الحظ من طرف أناس مقتنعين، من ذوي الحجج القوية.

كانت المشادات الكلامية، في ظل الشك المتصاعد، تتحول بسرعة إلى سلوكات عنيفة. كدت أن أكون ضحية لها مع اعمر طلعة عضو من المنظمة الخاصة من أصول أوراسية. وهو شخص مندفع، مصمم شجاع ولكنه محدود. كان يظن ـ كما بعض،

المصاليين ـ أنني أُرسلت من طرف اللجنة المركزية لأزحزحهم. جرني إلى مقهى، تكلمنا ووضحنا الأمور وحافظنا على الأهم. حينها اطمأن وقال لي :

ـ كنت قررت أن أقضي عليك.

ـ أ إلى هذا الحد؟

ـ نعم، ولكن كانت ماتزال لدي ذرة من ثقة فيك...

وتصور هذه الحادثة جيدا، حالة الهزيمة المعنوية التي كان يعيشها أتباعنا، وذلك عشية نوفمبر.

قدمت ملاحظة إلى بوضياف بخصوص أخطاء الجريدة ونتائجها في الميدان. كان رده الاحتقار.

كان بوضياف يفكر داخل اللجنة الثورية للوحدة والعمل بأن يستعمل اللجنة المركزية من أجل عصب الحرب، وبالفعل، كما سمعته يقول، أعطته اللجنة المركزية مبلغا للمساعدة على إنجاز أهدافهم. وكان هذا الجو من المشاحنة موات للجرأة، كما كانت الغاية تبرر الوسيلة وهو مايكون قد ولد عند بوضياف مخططات على مستوى حساباته وطموحاته.

2 ـ اجتماع الجزائر

على كل حال، وضع بوضياف في نهاية جوان 1954 قائمة بأسماء أشخاص من اختياره، واستدعاهم إلى الجزائر لاجتماع مبرمج في كلو ـ صلامبي (المدنية) في بيت دريش الياس، مناضل من المنظمة الخاصة ينتمي إلى الإسناد وعضو فرع الزبير بوعجاج. ولكي لايعاد النظر في وضعيته كمسؤول للمنظمة الخاصة على المستوى الوطني (بعد ذهاب آيت أحمد واعتقال بن بلة)، وأظن أن بوضياف كان يريد أن يكون الصانع الكبير الوحيد، فرمى بالمسؤولين الوطنيين الآخرين بعيدا، وعين نفسه قائدا.

جاء كل واحد منا من جهته دون أن يعرف موضوع اللقاء، مرجحا على كل حال أنها فرصة لتقييم الوضع، خاصة في القمة، أو لإعادة إنعاش المنظمة الخاصة. وكان الأشخاص الذين يتولون الإسناد في الجزائر هم المعنيون بحل مشكل الإيواء. فيما

يخصني كانت لي نقطة نزول منذ 1950 بمنزل الإخوة بوكشورة وبيت ع. مسعودي، وأيضا ورشة الخياط عيسى كشيدة.

حين دخلت، كان هناك عدة أشخاص في الغرفة ومنهم بوضياف الذي جاء لاستقبالي ووضعني بين سويداني بوجمعة وبوشعيب أحمد. كانت له فكرته : تشتيت عناصر قسنطينة الذين صاروا محل شك بالنسبة له منذ اصطدامه معي على جسر سيدي راشد. وعندما وصل آخر مدعو كان هو من اختار مكانه أيضا. ذهب بوضياف ليلتحق بديدوش، بن مهيدي، بن بولعيد وبيطاط أي فريقه الذي تشكل كمكتب، وكان أربعتهم جالسين على فراش (مطرح) وظهورهم إلى الحائط، كنت أعرف أغلب الحاضرين باستثناء العمودي من بسكرة وباجي مختار من سوق أهراس وثلاثة آخرين من العاصمة : بوعجاج الزبير، بلوزداد عثمان (شقيق محمد) ومرزوقي محمد. وبخصوص فحوى الاجتماع وتقييمي للحدث فيما بعد (أنظر مقالي المؤرخ في 6 مارس 2007 « نوفمبر 1954 أية نتيجة؟ »).

غير أنني أود التأكيد، أن ذلك كان بمثابة أول انقلاب عسكري ضد السياسي. وأن كل شيء كان قد تم ترتيبه مسبقا من طرف بوضياف لكي تتم تزكية شبح اللجنة الجديدة كقائد للثورة. وقد تم إبعاد السلطة الشرعية للحزب المتمثلة في حسين لحول الأمين العام الآمر للسياسي والعسكري وأيضا العضوين في اللجنة المركزية لدى اللجنة الثورية للوحدة والعمل دخلي وبوشبوبة. تقريبا لم تتم دعوة أحد من أعضاء قيادات الأركان المؤهلين للتكلم من موقع مسؤولياتهم في العمل السابق والحاضر والمستقبل.

ومن بين هؤلاء عبد الرحمن غراس[16]، رجل رزين وناجع وشديد التواضع وله احترام فطري اتجاه كل الناس. كان متمردا ضد الإملاءات (الديكتاتوريات) وتصادم مع بوضياف عدة مرات بخصوص العمل عندما كان مسؤولا في قيادة الأركان رفقة بن مهيدي وديدوش في المنطقة القسنطينية. لماذا كان هذان الاثنان هنا وليس

16 ـ في 1982 كتب لي غراس رسالة طويلة من عشر صفحات بخصوص قضية مايسمى ب »جماعة قسنطينة » (انظر الملحق)، من جهة أخرى حرر غراس وثيقة موجهة للصحافة وسلمها لدحو جربال يشرح فيها وجهة نظره بخصوص الأحداث.

غراس؟ بكل بساطة لأن بوضياف يعرف أن الأشياء لايمكن أن تمر بوجوده هكذا، بهذا التعسف.

لايجب أن ننسى أن المنظمة الخاصة كان لها تاريخها. كان يتوجب أن يلتقي مسؤولوها ويقيموا الوضع ويضعوا حصيلة إخفاقاتها ونجاحاتها، وانطلاقا من هذه القاعدة، تستعاد المنظمة مع تحديد واضح للمراحل التي تؤدي إلى الهدف المتمثل في الكفاح المسلح. أنا لا أطعن في بوضياف كقائد ولكن كان يتوجب اختياره من طرف زملائه (أي مبدئيا من طرف أعضاء قيادات الأركان الثلاث للعمالات الثلاثة).

بخصوص المشاركين، كم كان عددهم أصلا ؟ 21 أو 22 ؟ هناك تذكير مسبق ضروري :

كنا غالبيتنا موجودين في السرية وهو مايعني أن هناك حواجز بيننا. استعمال أسماء مستعارة وبالطبع عدم وجود أوراق أو مذكرات مكتوبة.

والذاكرة كما يقال انتقائية ومحوِّرة، وإن كنا نقبل بالتقريبي أم لا، لم أقم باستنتاجات سوى بناء على ماعشته في تلك المرحلة والتي تم إحياؤها عبر كتابات وقراءات في السنوات الأولى للاستقلال.

وفعلا، ظهر سنة 1968 الجزء الأول من كتاب كبير يعيد تشكيل سبع سنوات من حرب الجزائر، كتبه صحفي ومراسل حرب هو إيف كورييز مشيرا لاجتماع سنة 1954. ووضع هذا الكاتب لأول مرة القائمة الاسمية للمشاركين، فوجد اثنين وعشرين ومن بينهم الحاج بن علة (الرئيس الثاني لأول مجلس وطني سنة 1962) الذي لم يشارك، وقالها بدون تردد. هانحن إذا في 1968 مع اجتماع لـ 22 شخصا حسب كورييز، تم أخذ قائمته هذه حرفيا، مع نفس التاريخ الدقيق (25 جويلية ؟)، عامين من بعدها، أي في 1970، من طرف محمد البجاوي في أول الكتب التي ألفها كاتب وناشط جزائري في الثورة، ويحمل عنوان : « حقائق حول الثورة الجزائرية ».

وابتداء من سنوات السبعينيات دخل في التاريخ والتعبير تسمية « أعضاء مجموعة 22 »، بهذه القائمة لاثنين وعشرين شخصا ناقص منها واحد أعلن أنه

لم يكن حاضرا، وهكذا صار بالنسبة لي وبكل نية حسنة ومنطق « واحد وعشرون المدعوون اثنان وعشرون خطأ ».

إنها نقطة صغيرة من التاريخ، والتي حتى نهاية عهد الشاذلي لم يقل أحد فيها شيئا حسب ما أعلم. الذي حصل فيما بعد هو ثبوت مناورات استحواذ وأمور أخرى لاأعرفها، كل هذا ليس من شأني وكل واحد يفهم مايشاء حسب ميولاته وقناعاته.

كما كان الحال سنة 1990، شعر بوضياف، بعد زيارات صحفيين له بالقنيطرة، بالحاجة في أن يطلب في رسالة وجهها لاثنين من المعنيين من منطقة الجزائر العاصمة في ذلك الاجتماع 1954 (ز. بوعجاج وع. بلوزداد) أن يتكلما بصوت واحد، صوته، وكانت الإجابة : « حيرة... محاولة لاغتصاب التاريخ... »[17]. ماذا يستنتج من ذلك بعد كل هذه السنوات؟ بالنسبة لي استنتجت هذه الملاحظة المحزنة : رجل مسيلة المتغطرس والهش، الرافض للرأي المخالف بقي كما كان ؛ قليل الديمقراطية حسب مانقول اليوم. (مع أنه بناء على هذا التعريف مايزال الطريق طويلا أمام كثير من الأشخاص!).

ولكن لنعد إلى جوان 1954 وذلك الاجتماع الشهير، في مسألة التصويت، ومع أن بوضياف تكلم بصفة مختلفة لزمن طويل بعد ذلك[18] في هذا الموضوع، فالأحداث كما رأيتها هي تلك التي كتبتها في مجلة الثورة الإفريقية سنة 1968 بعد صدور كتاب « أبناء لاتوسان[19] » لإيف كوريار. أي باختصار مايلي : بخصوص قيادة الثورة طلب منا بوضياف أن ننتخب شخصين من فريقه؛ ولهذا الغرض تم توزيع قصاصات ورق صغيرة، بالنسبة لي، وضعت اسم رمضان بن عبد الملك (الذي لم يكن موجودا ضمن فريقه)، ليس لأنه من قسنطينة، ولكن لصفاته الإنسانية ولأنه متكلم جيد وسبق أن مثلنا في مؤتمر أفريل 1953. الاسم الثاني كان لمصطفى بن بولعيد عضو اللجنة المركزية ومسؤول المنظمة الخاصة بالأوراس، مسقط رأسه، وكنت أقدر طبعه الهادئ والمتزن. ثم ووفقا لروح السرية كان يفترض على المنتخبين

17 ـ رسالة بوضياف في أكتوبر 1990 لعيسى كشيدة والتي تم إعادة نشرها في كتابه « مهندسو الثورة ».

18 ـ حصة لجلول حايا التي تم بثها في التلفزيون الجزائري سنة 1990 حسب ظني.

19 ـ لاتوسان : عيد كل القديسين عند المسيحيين ويصادف الفاتح من نوفمبر. (المترجم).

الاثنين أن يقوما بدورهما باختيار الأعضاء الآخرين للقيادة، وعادة من بين أعضاء المجلس. في نهاية الأمر وجدنا أنفسنا مع... بوضياف ومكتبه !

في نهاية الاجتماع، ومع أننا كلنا كنا متفقين بحماس على المرور إلى الكفاح المسلح، لم تكن المسائل المتعلقة بالتاريخ وعلى الخصوص كيفية القيام بذلك قد طرحت بعد. الشيء الوحيد الذي تم تحديده هو إعادة تأكيد انتهاج موقف الحياد وعدم حضور أي من المؤتمَرين اللذين كانا قيد التحضير.

وبالفعل، كان مصالي وأتباعه قد برمجوا اجتماعا في جويلية بهورنو ببلجيكا، بينما كان المركزيون يحضرون لمؤتمرهم في الجزائر لشهر أوت. ماذا كان الحال عند نهاية مؤتمرهم وبماذا كانت تفكر قيادة اللجنة المركزية؟ أذكر هنا الشهادة الآتية التي صدرت في كتاب مخصص لحسين لحول أنجزته « الجمعية التاريخية والثقافية لـ 11 ديسمبر 1960 »: « عندما تأكد انقسام الحزب كانت القيادة المنبثقة عن مؤتمر أوت 1954 تعرف بأن الثورة المحضرة من طرف مجموعة الـ 22 كانت وشيكة. مع أنها كانت تؤيد ذلك كانت تفضل أن يتم تأجيل انطلاقتها إلى بداية 1955 حتى تتم هيكلتها بصفة أحسن. وبهذه الرسالة، كُلف لحول ويزيد بالذهاب إلى القاهرة للاستعلام حول المساعدة التي ستقدمها السلطات المصرية. عند وصولهم في نهاية أكتوبر كان الأمر قد حسم. وسيلتحقون هكذا بجبهة التحرير الوطني في أول نوفمبر بعين المكان... »

بعد ذلك، اختير بن بولعيد للقاء مصالي حتى يقنعه بالاصطفاف وراء سلطة واحدة. رفض الزعيم قطعا؛ سلطته أو لاشيء : « أنا من يقوم بالثورة »، نفس الرفض كان عند اللجنة المركزية التي كانت ترفض قطعا أن تكون تحت سلطة مصالي. كانت ثورتنا تبدو في الأفق في أوضاع مزرية على المستوى التنظيمي والأخلاقي زادها عدم التحضير على المستوى الوطني والتسرع في تاريخ الانطلاقة.

التقت عناصر منطقة قسنطينة والذين كانوا الأغلبية في الاجتماع (16من 21) مع المسؤولين الذين بقوا في قسنطينة وفكروا معا في الذي حدث : كان التوتر حقيقيا، وكنا في حاجة لرأي مناضل قديم. ذهبت مع ملاح وبوعلي إلى سانت آرنو (العلمة) لمقابلة الدكتور لامين دباغين، رغم أن هذه الفكرة كانت قد أبعدت بإشارة

من اليد من طرف بوضياف بعد اجتماع جوان. كان دباغين قد ترك أثرا طيبا لايمحى عند كل من عرفه بقسنطينة (وأيضا بلوزداد محمد الذي كان للأسف قد توفي) وكانت ثقتنا فيه كاملة. وجدنا باب عيادته مغلقا : كان مسافرا بتونس. حدث لقاء فيما بعد بين دباغين وبوضياف، غير أنه في مرحلة أولى لم يكن ذا نتيجة مجدية على الأقل كما قيل.

وهكذا، مع استمرار الإحساس بالتلاعب بنا، ثم خيبتنا في عدم لقاء دباغين، بدا لنا من الضروري أن نلجأ إلى غراس الذي كان ينشط في شرق فرنسا منذ نهاية 1952 ضمن فدرالية الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية تحت مسؤولية بوضياف. وأذّكر أنه لم يتم استدعاؤه إلى اجتماع جوان.

عند نزوله بالجزائر التقى غراس بوضياف الذي أمره بالعودة من حيث أتى، غير أنه كان حريصا أن يعرف بنفسه الوضعية التي كان يريد بوضياف إبعاده عنها. وجاء إلى قسنطينة. تقرر إذا عقد اجتماع لإصلاح ماجرى في الاجتماع المثير للجدل بالجزائر. تم ذلك في بيت معزول بعيد عن كل جيرة يعود لعائلات حباشي وحداد (سبق أن ورد ذكره)، حضره كل مسؤولي المحافظة الذين تمكنا من استدعائهم ومن بينهم باجي مختار من سوق أهراس، ساسي بن حملة من قالمة وزيغود يوسف من سمندو.

ديدوش مراد الذي كان ممثلا لبوضياف (لم يكن يريد مواجهة غراس وزيغود، وكان الاثنان على نفس الذبذبة) وصل مرفوقا ببن طوبال من ميلة. وفورا قالا لنا أن زيغود[20] كان له « عائق » في اللحظة الأخيرة. ثم بقي بن طوبال صامتا طيلة السهرة، منزلا قلمونه على رأسه نائما أو متظاهرا بالنوم في حين كان ديدوش يرفض بعصبية كل اقتراحاتنا.

خلال نقاشاتنا طلبت أنا وغراس اجتماعا جديدا بالجزائر قصد تخطيط أحسن لانطلاق الحرب. كان ديدوش مصمما وكان يردد : « لا، تتبعون، والذي لايمشي يروح للسجن! » بدا لنا عناده وتهديداته التي كانت على حدود العنف لاتطاق.

20 ـ اللغز الذي يحيط بموت زيغود في أوت 1956 لدى عودته من مؤتمر الصومام يقوي شكوكي بأنه اغتيل من طرف رفاقه.

وأكدت لنا أنه كانت هناك مناورة في التعيين غير العادي لأعضاء المكتب الخمسة، وفي النهاية، طعن اجتماع جوان برمّته من طرف من سيُعرَفون فيما بعد بـ« مجموعة قسنطينة ».

التقى غراس كناشط مقتنع ولكنه قلق من تنامي غير متحكم فيه للأحداث مرة أخرى بوضياف في الجزائر قبل عودته إلى ليون. أكد على ضرورة لقاء جديد مع مسؤولي العمالات الثلاث لتناول المشاكل العويصة للتحضير للحرب ـ حرب كانت « ستقحم » شعبا بأكمله، وهي مسؤولية ضخمة ـ وأيضا طرح مسألة التمثيل السياسي في الخارج. لم يقبل منه أي اقتراح ولا أي حجة. تمت اللعبة وانتهى.

كان الإحباط والحيرة يتعاظمان من كل جهة، وخصوصا الريبة التي تجعل الإنسان لايعرف من يصدق. وفضلا عن ذلك ونتيجة للخلافات بين المركزيين والنشطاء كانت اللجنة الثورية للوحدة والعمل قد انحلت بنهاية شهر جويلية. إذن ماذا؟

وهكذا انتهت صائفة 1954 في جو صعب وشديد الانسداد... علمنا فيما بعد، نحو نهاية شهر أكتوبر أن اجتماعا أخيرا للستة الأعضاء (الخمسة المكونين لمكتب بوضياف، التحق بهم كريم بلقاسم) قد تم ببيت الإخوة بوكشورة بلابوانت بيسكاد. تم اتخاذ قرار الانطلاقة في الفاتح نوفمبر باسم جبهة مشتركة(؟) : جبهة التحرير الوطني. مناشير إعلان أول نوفمبر التي تم نسخها بسرعة بإيغيل إيمولا من طرف الإخوة زعموم تم توزيعها في ليلة 30 أكتوبر إلى أول نوفمبر. وتمت قبل ذلك تعيينات المسؤولين في مختلف جهات البلاد في بعض الأحيان وفق منطق يعاكس أحيانا النجاعة بصفة تثير الدهشة. وهكذا فديدوش العاصمي الذي كان يعرف مدينته جيدا لم يُوَلّ مسؤولية الجزائر في أول نوفمبر بل مسؤولية قسنطينة، وبالعكس كان رابح بيطاط القسنطيني الذي لم يكن يعرف العاصمة وضواحيها كان على رأس منطقة الجزائر. وتم تعيين بن مهيدي في المنطقة الوهرانية بمساعدين قسنطينيين : بن عبد المالك وبوصوف. وكأن هذه العمالة لاتملك رجالا مؤهلين (بوتليليس، بن سعيد، بن علة، بوشعيب وفرطاس وثلاثة منهم كانوا في قيادة أركان المنظمة الخاصة). يمكن الاستنتاج بصفة منطقية أنه كانت هناك حسابات صغيرة من طرف بوضياف لمواجهة مجموعة قسنطينة. على كل حال، كانت نتائج

هذه الاختيارات فورية وكارثية. على المستوى الوطني عدة مئات من المناضلين سواء من المنظمة الخاصة أو من السياسيين، والذين لم يتم إعلامهم بالانطلاقة اعتقلوا في اليوم الموالي وعذبوا وحكم عليهم بسنوات طويلة من السجن كما هو حال كل من سعيد بوعلي ورشيد ملاح الذين تضاعف تلقائيا الحكم الذي كان قد صدر ضدهما سنة 1950 في قضية تبسة (4 سنوات لبوعلي، و3 لملاح). سيلتحقان بالجبل بعد تحريرهما وسيقتلان.

من جهتي، خلال شهر أكتوبر سلمت مخزونا من المفجرات الذي كان لايزال في حوزتي إلى شيحاني بشير من الخروب لأنه أصبح مساعدا لبن بولعيد، والتي كانوا في حاجة إليها في الأوراس. كنت تعرفت على شيحاني في المنطقة الوهرانية عندما خلفني على دائرة الجنوب كما سبق وذكرت. كانت لنا علاقة طيبه بل حتى علاقة تقدير. كان « مدرسيا » متمكنا من العربية والفرنسية وخطيبا مُفوّها ومنظما متمكنا. ومع أنه لم يكن عضوا في المنظمة الخاصة ولم يشارك في اجتماعات الصيف إلا أنه كان على دراية جيدة بالأزمات الحاصلة داخل الأزمة وأذكر آخر كلماته وأنا أفارقه : « لا، محمد لاتستطيع أن ترى بن بولعيد » ثم أضاف :« دير بالك على نفسك ». كنت أعرف ما يجب.

في أكتوبر إذن، وقد هدّني المرض (بداية مرض السل كما علمت فيما بعد) وإضافة لذلك كنت فاقدا للبوصلة نتيجة للأصداء التي كانت تصلني بخصوص المساومات الأخيرة، أبحرت نحو البعيد.

VI ـ فيدرالية جبهة التحرير في فرنسا

1 ـ الإقامة بليون

كانت معي معطيات تواجد غراس بليون، إذا إلى ليون توجهت. وبفضله تمكنت من السكن مؤقتا وبدأت البحث عن عمل. اضطررت عند أول توظيف أن أمر على طبيب العمل الذي وجدني في حالة مزرية وأرسلني مباشرة لساناطوريوم بيار- بينيت قرب ليون، دامت هذه الإقامة العلاجية شهرين، كانت لي خلالها زيارة من ... الشرطة. كان أول نوفمبر، وأول رصاصاته قد انطلقت وكانت أبحاث الشرطة في قسنطينة قد تمكنت من تحديد مكاني هنا بالمصحة. ربما بعد أن استمَعت لرأي الطبيب، قررت الشرطة أن لاتتحمل عبء مريض واكتفت بإخباري بأنه عليّ أن أتقدم إلى مكان توظيفي فور خروجي (وهو ما تعمدت نسيانه فعلا. .) كان ذلك في 12 فبراير 1955.

بدون مأوى، وكنت قد فقدت الاتصال بغراس، طرقت باب المناضل عمار بوكيكز. وكان هذا الأخير يعرف رجل كنيسة يساعد العمال الجزائريين على إيجاد سكن وحدد لي موعدا معه في اليوم التالي. في انتظار ذلك، قضيت أول ليلة في مأوى للأشخاص المشردين وبدون مأوى (SDF) وكنت سعيدا كوني وجدت مكانا دافئا أنام فيه على فراش من قش.

في الصباح، كما كان متوقعا، قدمني بوكيكز إلى معرفته الأب ألبير كارتورون. استقبلني بمنتهى الحفاوة والطيبة، ودعاني لمشاركته الطعام في بيته وهو جد سعيد، كما قال لي، أن التقى مناضلا من جبهة التحرير الوطني وطرح علي ألف سؤال وسؤال حول البلاد. وصوبت، بأنني مناضل بالفعل (وليس من جبهة التحرير بعد)، ولكنني في هذه الساعة مجرد عامل بسيط خرج من المستشفى وبدون سكن.

أعلمني أنه قس عامل وأنه قد أرسل إلى الجزائر قبل التمرد لوضع تقرير حول الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للعمال الجزائريين لرئيسه الكاردينال جيرليي. وعن إقامته في الجزائر حكى لي حادثة طريفة : عندما وصل إلى الجزائر فكر أنه سينجز تقريره بطريقة أفضل لو عمل في ميناء عنابة. ولكنه اندهش عندما تدخل عمال الميناء نظرا لجسمه النحيل الضامر ونهروه بشدة، ناصحين إياه بأن يذهب للبحث عن عمل من جهة مكتب بوسيسي. وهو ما فعله لكن دون أن يجد صدى لبوسيسي هذا حتى أن تدخل أحد الأشخاص الفطنين، وهو متفاجئ من طريقته في الكلام، ليترجم له بأنها « بون إي شوصي » (مصلحة الجسور والطرق). كانت لحظات ارتخاء جميلة ومر التيار بيننا حتى أنه في نفس الأمسية كان معي مفتاح لاستوديو وللمدة التي أشاء.

شاركت معه، فيما بعد، في ندوة نظمها أصدقاؤه الكاثوليك الذين كانوا منشغلين بالوضع في الجزائر. وكانوا يطرحون أسئلة من هذا النوع : جبهة التحرير، ماذا تمثل؟ وماذا يكون مصير الفرنسيين عند الاستقلال؟ لماذا هذا النداء لحمل السلاح في نوفمبر؟ إلخ...

وكنت أحيانا أجد نفسي أجيب الحضور مطمْئِنا ومبررا ومذكرا بما لم تشر إليه الصحافة من 1945 إلى اليوم أي الظلم، القمع ورفض السلطات الاستعمارية تقبل فكرة بداية نوع من الإنصاف مع الأهالي (كان إعلان أول نوفمبر واضحا في هذا الصدد ولكنني لم أكن آنذاك على دراية بوجهة النظر الرسمية ولم تكن بحوزتي أي وثيقة).

تعرفت أيضا على جان كوربون وهو قس عامل آخر، رفيق للأب كارتورون، وأيضا أشخاص من الوسط النقابي والسياسي على استعداد لنصرة قضيتنا بشهاداتهم ودعمهم الخالص.

هؤلاء الرهبان العمال، كما اكتشفت، كانوا أناسا صادقين ونزهاء يقومون فعلا بعمل استثنائي، يعملون على إخراج الأحسن من المؤمنين في جمعيتهم، ولهم روح الانفتاح والتفهم تجاه الآخر والإحساس بما هو عادل وجميل اتجاه الجميع.

بقي كل من كارتورون[21] وكوربون طيلة مدة الحرب مجندين من أجل قضية الجزائر المستقلة. بل حتى أنهما اعتقلا وتمت متابعتهما بتهمة التواطؤ مع جبهة التحرير الوطني وتُركا بعد تدخل الأب الكاردينال جيرليي في حرية مشروطة. غادر كل منهما فرنسا نحو المغرب فيما بعد، حيث تكفلا باليتامى الجزائريين الصغار حتى نهاية الحرب. ولشعور الرجلين بالقرب الكبير من الجزائريين في كفاحهم، اختار كل منهما الالتحاق بالجزائر والمساهمة في تنمية البلاد بعد الاستقلال. فتحول جون كوربون إلى التعليم العمومي بتابلاط وتخصص آلبير كارتورون في الشبه الطبي والطب الريفي بقسنطينة والريف المجاور. ثم عين بعد ذلك بأولاد جلال قرب بسكرة وأكمل في هذه القرية رسالته في خدمة الناس. اختار الاثنان منذ بدايتهما في الجزائر الجنسية الجزائرية، وكانا يقتسمان راتبهما الضئيل مع أكثر الناس فقرا في الجوار. توفيا منذ بضع سنين، وقد ووريا ترابنا وكانا مثالا للحب خارج كل نمط وحدود تجاه كل البشر.

في بداية سنة 1955 بليون كان لي حظ حضور محاضرة للرئيس الحبيب بورقيبة (وذلك بعد عودته من المنفى في شاتو دولافيرتي القريب من مونتارجيس). وكانت فرصة قدم فيها كتابه « 25 عاما من المحادثات مع فرنسا ». بعد الانتهاء من قراءة المحاضرة أعطى الكلمة للحضور وأقلقته أسئلة من شيوعي جزائري بخصوص برنامجه الاقتصادي، وأيضا بخصوص ما الذي سيقوم بفعله لمساعدة المكافحين الجزائريين إلخ... تدخلت من جهتي على النحو التالي بخصوص موضوعين : « سيدي الرئيس تبعا للمفاوضات التي تجري هذه الأيام بين تونس وفرنسا لمحت الصحافة إلى أن هناك إمكانية تنازل عن أراضي في الجنوب من جهة ومن جهة أخرى لوجود خلاف بينكم وبين صالح بن يوسف ». كان جواب الرئيس مقتضبا وواضحا : « لن نتنازل أبدا عن أي شبر من أراضي الجنوب ». وظل صامتا بخصوص الموضوع الثاني. نبهه رفيقه الذي كان بجانبه على المنصة لهذا النسيان، نظر إليه بورقيبة وهو على مايبدو منزعج، وبعد أن بحلق فيه بغضب رفع رأسه ليقول لي : لا، لاوجود لخلاف

21 ـ أعلنت جريدة الوطن في 20 أكتوبر 2008 خروج فيلم « البئر » أنجزته سينمائية فرنسية قامت برحلة في ماضي المقاومة ضد الاستعمار عبر شهادة الأب كارتورون .

بينه وبين بن يوسف وأن هدفهما واحد. لكن في ختام المحاضرة تم تطويقي من طرف عناصر أمنه : الرئيس بورقيبة كان يريد مقابلتي. متفاجئ ومحرج قليلا قدمت له نفسي كمناضل جزائري وقلت له بعض الكلام الطيب باسم جبهة التحرير الوطني (مع أنني لم أكن قد عاودت النشاطات النضالية). عانقني أخويا وطمأنني. فهمت سبب هذه اللفتة. ظن أنني معارض يوسفي ! ثم بعد إعادة الاتصال بعبد الرحمن غراس عدت إلى النشاط. في أول الأمر كلفني باستخلافه في المنطقة الجنوبية لفرنسا من ليون حتى نيس مرورا بغرونوبل، سانت إيتيان، مارسيليا، غاردان، تولون ونيس. ذهب غراس من جهته لينشط في العاصمة.

دامت تنقلاتي نحو كل تلك المدن بضعة أسابيع، استعدت العمل المعتاد الذي قمت به خلال السنوات الأخيرة كمسؤول في المنظمة الخاصة : اتصال، اجتماع، شرح، توضيح الوضع الجديد، التأكيد مهما كان الحال أن مصالي لم يعد القائد الذي بلا منازع وأنه لم يكن المبادر لانطلاقة أول نوفمبر. خلال هذه اللقاءات السياسية في المنطقة الجنوبية تحت اسم سي ابراهيم لم يحصل شيء يذكر ماعدا ذلك اللقاء غير المنتظر خلال اجتماع بغاردان مع بن منصور، زميل قديم في الجيش والذي أفهمته في الكواليس عن إسمي المستعار والذي ليس لي غيره.

جاء شهر مارس 1955، حيث انتهى شتاء طويل كان أخذ أكثر من رفيق : رمضان عبد المالك في نوفمبر، ديدوش مراد في جانفي، كما اعتقل بن بولعيد في فبراير وبيطاط في مارس...

في باريس أيضا كان رفيقا غراس : طربوش وماضي قد اعتقلا، وهما من شكلا مكتب أول فدرالية لجبهة التحرير الوطني بفرنسا. للإشارة فإنه بين 1952 ـ 1954 كانت فدرالية فرنسا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية بقيادة بوضياف مكونة من أفواج من المسؤولين الجهويين على رأسهم مراد ديدوش، ف. بن سالم، م . طربوش، ع غراس وز. مومجي. واختار قدماء المنظمة الخاصة مثل محمد يوسفي وأحمد محساس الفارين أو المطاردين الذهاب، الأول نحو إسبانيا والآخر نحو القاهرة. وكان الطيب بو لحروف وزين العابدين مومجي في مكان ما في فرنسا، ولاوجود لأي

اتصال معهما (سيلتحقان بنا فيما بعد). وهناك آخرون اتصل بهم عبد الرحمن غراس وكانوا مترددين، مفضلين انتظار ما سيحدث.

2 ـ مسؤوليات بفدرالية جبهة التحرير بفرنسا

أخطرني غراس بأن أترك منطقة الجنوب وألتحق به في باريس. وفور وصولي طلب مني أن أذهب لأخلف بأقصى سرعة أحدهم ويدعى « سانسيريتي »، والذي كان هو أيضا قد خلف بن سالم في المنطقة الشرقية منذ شهر، ولأنه كان يقوم بعمل مزدوج، تمت تنحيته فورا. خلال شهر ماي 1955، نظم غراس بباريس اجتماعا أولا لأربعة أشخاص، جرى في دكان لبيع التبغ قرب كنيسة بانتان، وسمح لي بأن أتعرف على فضيل بن سالم . كانت لي الفرصة أن ألتقي مرة قبل ذلك بأحمد دوم في صوشو خلال الشهر السابق. وعلى الفور أعلمنا غراس بأننا المسؤولون المتوفرون الوحيدون الذين قرر العمل معهم بعد اعتقال طربوش وماضي وزروقي، ثم قدم لنا عرضا عن المشاكل التي كانت مطروحة والملخصة في النقاط التالية :

إلى هذا اليوم لاوجود لاتصال سواء مع الجزائر العاصمة أو مع الوفد الخارجي؛ لاوجود للمال؛ لاوجود لإقامة ثابتة؛ الجالية الجزائرية بفرنسا موجودة تحت تأثير المصاليين باستثناء المنطقة الجنوبية التي يقودها وقسمة صوشو؛ لاوجود لتعليمات ملائمة للوضع في فرنسا حتى اليوم؛ تُخشى صعوبات كبرى مع مختلف الحركات الموجودة بفرنسا ومع المصاليين على الأخص ولكن أيضا مع البربريين والعلماء. باختصار لايمكننا أن نُعوِّل إلا على أنفسنا، مع مكان لقاء ضروري وصندوق بريد متواجد بورشة رويدي بوعلام بشارع دوفين. ودون مبالغة في القول، فنشاطات أول فدرالية لجبهة التحرير الوطني بفرنسا والمختصرة في هذه النواة من الأشخاص كانت ستنطلق في ظروف أكثر من صعبة.

بعد ذلك تم توزيع المسؤوليات وفق المخطط الذي كان موجودا على أربع مناطق : تم تثبيت غراس على المنطقة الجنوبية والتي كان يتحكم فيها جيدا منذ وصوله سنة 1953.

وعين بن سالم فضيل على المنطقة الشمالية، وهي منطقة خطيرة بسبب قربها من بلجيكا التي كانت معقل المصاليين. لم يكن مطلوبا من الشرطة وكان يعمل بصفة عادية، وسيغادر المنطقة الشرقية لأنه كان معروفا جدا من المصاليين الموجودين هناك.

كُلفت على المنطقة الشرقية (جيفي، نوزونفيل، مادز، هيانج، كنوتونج، فورباخ، نانسي، كولمار، ستراسبورغ، مولوز وصوشو)، وهي منطقة صناعية ومنجمية كثيفة (على خلاف غرب البلاد الذي لم يكن به نسيج صناعي مهم ولم يكن به إلا القليل من الجزائريين وهي منطقة تركت جانبا).

جاء أحمد دوم من قسمة صوشو (موالية لجبهة التحرير منذ الأيام الأولى لنوفمبر) وعين على باريس وكل ضواحيها، ولم يكن معروفا في العاصمة؛ كانت أهم منطقة لأصغر عضو فينا اختير لديناميكيته وخصاله كمسير صارم، كما يوحي منظره الطفولي الأنيق بالطمأنينة ولم يكن مطلوبا. كما كانت له وضعية قانونية كعامل بالشركة الوطنية للسكك الحديدية بصوشو منذ 1950. وعين الشاب عبد الكريم سويسي مساعدا له وأرسل أحمد دوم الذي كانت له وثائق قانونية إلى الجزائر للاتصال بالقيادة؛ ذهب بعد ذلك بقليل إلى روما ليلتقي بوضياف القادم من القاهرة ليعطي تعليماته، قال له هذا الأخير أن على فدرالية فرنسا أن تقدم له حسابات لأنها ستصبح تابعة للقيادة الخارجية وأنه راسل عبان رمضان[22] في هذا الشأن. وقال له أيضا : حذاري من غراس ومشاطي ـ ولم يقل لنا دوم ذلك إلا خلال سنوات السجن. وهكذا كنا موزعين بين سلطتين إلى أن فصل مؤتمر الصومام : أولوية الداخل على الخارج وأولوية السياسي على العسكري.

ثم ذهب كلٌ إلى منطقته محملا بدور القائد الفدرالي والمنفذ في الميدان. المنطقة المصنعة جدا التي أوكلت لي كانت بها مجموعة كبيرة من العمال الجزائريين الذين كان مرجعهم الأوحد هو حزب الشعب الجزائري بتاريخه الطويل (1937 ـ 1954) وقائده الكاريزماتي المبجل مصالي الحاج. كانوا مقتنعين تماما أن « MNA » (الحركة

22 ـ تم اعتقال عبان رمضان بعد قضية تبسة في ماي 1950 وأطلق سراحه بداية 1955. التحق بجبهة التحرير الوطني ليصبح رأسها السياسي وكان عضوا هاما في مؤتمر الصومام في 20 أوت 1955.

الوطنية الجزائرية) التي أنشأها الزعيم سنة 1954 هي التي فجرت الثورة. وكيف يكون غير ذلك في غياب توضيح بل وحتى الضبابية التي خيمت في الواقع حول تاريخ أول نوفمبر؟

قبل أن أصل إلى المنطقة الشرقية، وبفضل العمل الذي كان في الغالب جريئا وفيه مخاطرة لبن سالم كانت الأمور قد بدأت تتغير. مع ذلك لاحظت بسرعة أن العمل الذي يتمثل في إبعاد المنظمة عن تأثير المصاليين لم يكن سهلا. بدأت بشمال الآردان انطلاقا من جيفي ونوزنفيل ثم قطعت كل منطقة لالوران مع هايانج وهاغوندنج ونانسي بموزال والألزاس عبر ستراسبورغ وكولفار ومولوز.

في هذه الأخيرة رصدني المصاليون يوما وأنا أنزل من القطار متوجها إلى مكان اجتماع بمصنع في الضاحية. ظنوا، على مايبدو، أنني لم أنتبه إليهم. وعندما رأيتهم يغادرون شعرت بالاطمئنان، ولكنهم كانوا يعرفون المكان الذي كنت ذاهبا إليه فتبعوني بالسيارة، وبالتأكيد بفكرة قتلي ومواصلة طريقهم بلا مشاكل. كنت محظوظا، إذ رأيتهم في المكان الذي كانوا ينتظرونني فيه. غيرت طريقي واتخذت اتجاها ممنوعا للسير حتى لا يستطيعوا اللحاق بي. وتوجهت إلى وسط المدينة المليء بالناس وأنا أتعمد المشي بمقربة من الشرطة لأن الخطر المحدق بي كان حقيقيا. جاء مصاليون آخرون يطاردونني مشيا حتى يجعلونني أبتعد عن وسط المدينة ولم أتمكن من الفرار منهم إلا بالقفز في ترامواي كان متوجها إلى مدينة منجمية جد قريبة حيث كان تنظيمنا أقوى.

بباريس، تقرر أن يكون اجتماعنا الثاني بليون بمقهى سي موح. خلال اللقاء اتفقنا على وتيرة الاجتماعات وعلى رئاسة جماعية. ناقشنا معا تقارير نشاطاتنا محفزين بعضنا بعضا بانتقاداتنا وتجاربنا الخاصة وأفكارنا. ولأن مال الاشتراكات بدأ يدخل شيئا فشيئا إلى الصناديق، تمكنا من تحديد راتب الدائم ب 250 فرنك.

كنت قد جعلت من بوشمال، وهو صديق من قسنطينة، مساعدا لي . عندما غادرنا مقهى سي موح عند نهاية الاجتماع تم استفزازي أنا وبوشمال من طرف صعلوكين مصاليين، وجلب الضجيج آخرين من كل جانب. كان علينا الفرار. عاد بوشمال إلى داخل المقهى. أما أنا، وخوفا من الاعتقال لو تدخلت الشرطة، فاخترت

الاعتماد على سرعة رجلي وهربت. تمكن المصاليون الذين كانوا كثرا من اللحاق بي وانهالوا علي ضربا باللكمات والعصي. أمام هذا المشهد تدخل سكان الحي وأعلموا الشرطة وجاء بعض الأشخاص لنجدتي لأنني كنت ملقى على الأرض أنزف دما. هرب المعتدون عندما سمعوا بوق سيارة الشرطة من بعيد، في حين كان الناس يحاولون مساعدتي على النهوض. كنت دائخا ولكنني انفلت من الجموع بسرعة وأخذت طريق الفرار أنا أيضا في الأزقة، مثيرا دون شك دهشة الناس الذين رأوا الضحية تفر كالمعتدين عليها تماما.

أما صديقي بوشمال، الذي سبق أن هرب منهم في ليون، تم في الأخير تحديد مكانه في باريس حيث قتل غدرا من طرف أعضاء الحركة الوطنية الجزائرية. لهذا كنا دائما يقظين لأننا كنا نخشى كثيرا من خصومنا المصاليين، والذين كانوا متواجدين في كل مكان وكانوا يعرفوننا، أكثر من خوفنا من الشرطة بأساليبها.

يجب التأكيد هنا على أن المصاليين كانوا أول من استعمل القوة، وكانوا يريدون أن يبقوا أسياد الميدان بهذه الوسيلة. بالنسبة إلينا، نحن الذين لم نكن سوى حفنة عند الانطلاقة، لم تكن مواجهتهم مطروحة أبدا. كانت الغاية أن نتفادى القطيعة بأي ثمن، وترجيح خيار تغيير الرأي بالحجج المؤسسة على الوقائع. غير أن العنف كان قد وصل إلى حد، صار من الواجب معه مواجهة حركة التململ عند العناصر التي اكتسبناها، والتي كانت تطلب منا بدون هوادة التصريح بمواجهة الاعتداءات التي كانت ضحية لها مطالبة بالأسلحة. ومع نهاية السنة قررنا إنشاء مجموعات الصدام، وتحول ميزان القوى.

ذات ليلة، خلال إحدى جولاتي العديدة، تم توقيفي بعد أن ركبت القطار لتوي من ستراسبورغ متوجها إلى باريس. طلب مني شرطيان في زي مدني بطاقة الهوية ثم طلبا أن أتبعهما مع أمتعتي. قلت لهما بأنه ليس معي أمتعة، « وهذا، فوق الرف؟ » أجبت بأنها ليست لي وأنني لا ألمس ما ليس لي. أمراني بالنزول معهما إلى رصيف المحطة، وبينما كان شرطي ثالث يدقق في أوراقي كان الاثنان الآخران يطرحان علي أنواعا شتى من الأسئلة : هل أمارس السياسة؟ عند من كنت ذاهبا إلى باريس؟ عند من أقيم بستراسبورغ؟ إلخ.. بعد أن أنهوا التفتيش سمحت لي

الشرطة بالصعود إلى مقطورتي في اللحظات التي كان سينطلق فيها القطار. انتابني قلق حقيقي : كيف علي أن أخرج من هذا؟ كنت أفكر بقلق خلال الرحلة في السلوك المقبول الذي علي اتخاذه في حالة ما إذا تسبب لي أحد الأشخاص النائمين في مقطورتي في مشاكل عند الوصول. بدأ الصبح يبزغ ونهاية الرحلة قربت. وقفت وسحبت الحقيبة وأخذت من داخلها مفاتيح المسكن بباريس ومنشفتي وخرجت للحظة بنية الذهاب إلى الحمام لأغتسل وعلى الخصوص كي أتخلص من المفاتيح. كانت الشيء الوحيد المورط الذي كان معي. وفور عودتي إلى المكان كلمني مسافر بلهجة فيها كثير من التلميحات : « إذا، هذه الحقيبة، ألم تقل للشرطة بأنها ليست لك؟ » ومادخله هذا. وقدمت له قصة عن جريدة سرية كنت ذهبت للتخلص منها في الحمام خشية أن تتسبب لي في متاعب. لم يفهم شيئا وبقيت الأمور هكذا.

يعود إلى الذاكرة حدث آخر حصل في مطعم يوناني بحي سان ميشيل : كنت مع غراس نأخذ مكانا إلى طاولة لنأكل، وبمجرد أن جلس غراس تمتم لي : « أتعرف من وراءك مباشرة؟ ـ لا

ـ شريف بن خرخار ». كان شرطيا من قسنطينة بزي مدني رفقة ثلاثة أشخاص آخرين. كان شخصا يعرف جيدا من نكون وماذا نفعل في مدينتنا، وكانت له عين علينا ولكنه كان يتجنب إيذاءنا بلباقة. كان قد جرح في نوفمبر من طرف رفاقنا وقد حول إلى فرنسا للعلاج : « ماذا نفعل؟ ـ نهب أقدامنا للريح ». كان لايمكننا مغادرة القاعة دون أن نمر أمامه. عندما وصلنا إلى جانبه رأيناه يرتعد بكل فرائسه لدرجة إسقاطه جرائده من على الطاولة.

« أأأأأأأ، تفضلوا....أأأأأأنا أدعوكم إلى الطعام..... » « ياخبيث... أنت أيها الحقير، لوتتحرك ... ». تناوب سريع على كلمات من العيار الثقيل ونحن نبتعد نحو باب الخروج. لما وصلنا إلى الخارج فلتنا بأقصى سرعة. واستمر فيما بعد في إبلاغنا رسائل يعرض فيها العمل معنا، ووصل إلى حد اقتراح الذهاب إلى تونس ليلتحق بجبهة التحرير الوطني[23].

---

23 ـ في الأخير تم القضاء على الشرطي بلخرخار في محطة سان لازار.

في الانتظار كان يتوجب القيام بعمل بيداغوجي بطيء وفيه تكرار ومخاطرة. طلبت لقاء أحد المناضلين المصاليين والذي كان وجها معروفا في كل لاردان وهو أحد قدماء المنظمة الخاصة بقسنطينة اسمه حميش وكنت أعرفه جيدا. التقينا وبعد شرح طويل كانت فيه كلمة « الثقة » تتردد كثيرا، حاولت أن أكون مقنعا : « أعرف أنك المسؤول في كل المنطقة وأنك مؤثر جدا هنا، أطلب منك أن تجمع المناضلين، أريد أن أكلمهم، يمكنك أن تأتي بمسؤولك المصالي الحالي وحتى مصالي نفسه إن تمكنت، إنني مستعد لمواجهتهم وأنتم ستكونون الحكم. سأطلب منكم شيئا واحدا : مادمت سآتي بدون سلاح، عليكم حمايتي ومنع أن أؤخذ غدرا، إنها مسألة شرف بيننا ». كنت ألجأ دائما إلى حس الشرف لأؤثر في مخاطبي.

حدد تاريخ الاجتماع، ولم يكلف المسؤول المصالي نفسه بالحضور، كان في تعداد الغائبين. طال الانتظار وقررت أخيرا أن أفتح الجلسة. وبعد توضيحات عن الوضعية وما سبقها، اقترحت جلسة من نوع سؤال، جواب. بدا الحضور مهتما جدا وتحولت الوضعية شيئا فشيئا لصالحي. ذهبت لحد أن سألتهم إن كانوا يعرفون مناضلين آخرين في مدن أخرى. وهكذا تمكنت من كسب هذا المعقل المصالي الأول؛ لان آخرون فيما بعد وتحولوا من أعضاء في « الأمانا » (الحركة الوطنية الجزائرية) إلى متحمسين لجبهة التحرير الوطني. حميش[24] نفسه انتهى به أن ترك العمل بناء على طلبي والتزم كدائم معي. كلفته بجزء من المنطقة إلى حد مستوى نانسي « Nancy » إلى أن خلفه بعد اعتقاله مجند آخر وعضو سابق في المنظمة الخاصة شبلي حسن من سكيكدة. وأدنى من ذلك، في منطقة الفوزج حتى صوشو كان يمكنني الاتكال على مساعدة بوخروبة رزقي.

كان الوضع يتحسن، وكانت اجتماعاتنا الشهرية تعقد في أماكن منتظمة في باريس نفسها، وهو ما أعطانا الفرصة كي نكون مرتاحين وأن نكون أكثر تفاؤلا بالمستقبل. فكرنا آنذاك في إنشاء أول جريدة؛ كانت « مقاومة جزائرية » التي تبنتها القيادة الوطنية لجبهة التحرير الوطني في الصيغة أ بالنسبة لفرنسا في مرحلة أولى

24 ـ بعد أن حول إلى سجن وهران علم حميش بالمذبحة التي ارتكبت في حق عائلته بمنطقة القبائل ففقد عقله.

ثم ب و ج بالنسبة للمغرب وتونس. وسبق ذلك بكثير إنشاء جريدة « المجاهد » من طرف الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بتونس. في الواقع، لم تكن لنا كفاءة كبيرة في المجال ولكن المهم أن نطلقها والباقي سيأتي. كانت مسألة العنوان قد طرحت، وراح كل منا يفكر في الموضوع. ذكرني دوم يوما أنني أنا الذي اقترحت عنوان « المقاومة الجزائرية » وكنت قد نسيت تماما. إنه عنوان سياسي جدا يشير إلى المقاومة الطويلة لشعبنا أمام كل الغزاة في كل العصور. عنوان يهدف أيضا إلى تحسيس الفرنسيين تجاه القضية الجزائرية، هم الذين عرفوا المقاومة إبان الاحتلال الألماني. و كان يهدف بالطبع إلى تجنيد جماهير مناضلينا ومواطنينا. كانت عناوين مثل ليبرتي، كومبا إلخ ... موجودة في الصحافة الفرنسية وهو ماقد يحدث خلطا. قرر فريق التحرير حذف أداة التعريف والاكتفاء بـ« مقاومة جزائرية ». وأذكر على مايبدو أن محمد حربي هو من قرر ذلك.

تلك هي المهمة التي تحملناها كمسؤولين في أول قيادة لفدرالية فرنسا لجبهة التحرير ابتداء من ماي 1955. وهي قيادة وسعناها إلى إطارات قدامى من الحزب عندما توسعت الالتحاقات، وأصبحت رسمية مع وصول صالح الونشي المبعوث من الجزائر من طرف سلطة الداخل. كان صالح شخصية ذات قيمة عالية يقدره الجميع ويحسن هو الاتصال. وإضافة إلى كونه همزة وصل بين الفدرالية والجزائر، كانت له مهمة الالتقاء بمثقفي اليسار الفرنسي والأوروبي والمرافعة لصالح قضية جبهة التحرير الوطني. سيكون في باريس أشهرا قليلة قبل الاعتقالات التي ميزت سنة 1956 ابتداء من نهاية أوت.

VII ـ سنوات السجن

1 ـ الاعتقال

تعودت أن آتي بنفسي إلى باريس لأخذ الكتابات والمناشير والجرائد وتوزيعها في كل منطقة الشرق التي كنت مسؤولا عليها لما يقارب السنة. في تلك المرة كان شبلي حسن رفيقي في هذه المهمة، أعطيته موعدا في باريس في حانة بينما واصلت حتى بولي بمونتروي، المحطة التالية، حتى لايرى المبنى الذي كنت متوجها إليه لجلب تلك الأشياء. عند مغادرتي الميترو لاحظت شخصين مشبوهين في زاوية الشارع الموجود به المبنى المعني، فقطعت الشارع كله وبقيت أحوم في البعيد لأرى إن لم يكن هناك أحد يراقبني أو يتبعني وصعدت إلى شقة جان جاك روسي. كان جان جاك من التيار الفوضوي، حر لاينتمي إلى أي تنظيم وكان متعاطفا مع قضيتنا. وقد وضع مسكنه تحت تصرفنا من أجل إنجاز كل أعمال طباعة الوثائق، وكنا أحيانا نعقد اجتماعاتنا عنده. لم يكن العمل جاهزا فنزلت من جديد وتوجهت إلى ساحة لاناسيون، عند وصولي كان شبلي جالسا إلى طاولة في شرفة مقهى، عندما رآني وقف وتوجه نحوي؛ في تلك اللحظة بالذات وقفت سيارة على مستوانا.. وخرج منها رجال شرطة بزي مدني وارتموا علينا، وفي تلك اللحظة فكرت « لكثرة ما تتنقل الجرة لجلب الماء في النهاية تنكسر ». كنت إلى غاية هذا اليوم استطعت حماية نفسي جيدا من حملات الاعتقال لكن هذه المرة كانت تبدو الأخيرة، مما جعلني أضحك بعصبية. تهكم أحد الشرطة : « أيها الغبي ! سنرى إن كنت ستضحك فيما بعد » وعندما قال هذا سقط منه مسدسه. قال أحدهم « إنه مسلح ـ لا، إنه سلاحي ». وبالطبع اعتقل صديقي شبلي معي، كان ذلك في 28 أوت 1956 بساحة لاناسيون.

وجدت نفسي في محافظة الشرطة مربوط من اليدين في معلاق. كان هناك ضرب طبعا. ثم جاء شرطي تونسي يسألني بالعربية، نفيت كل شيء وأنكرت معرفة أي شخص من الذين تم عرضهم علي. كانت للشرطة فيما يبدو معلومات جيدة بخصوصنا. أقاموا في شقة روسي وانتظروا هناك لإيقاف المترددين عليها الواحد تلو الآخر، تم القبض على الجميع. سويسي عبد الكريم أولا والذي كانت معه أوراق قال أنها لسي ابراهيم (كما نصحته بذلك قصد حمايته) ثم روسي وريمان مازور أحد رفاقه. وبعد أيام قليلة من ذلك اعتقل غراس وبن سالم أيضا. في يوم 29 بعد ليلة قضيتها في الحجز تم اقتيادي للوقوف أمام القاضي الذي جعلني أوقع على وثيقة الاعتقال. سبب الاعتقال : « المساس بأمن الدولة ». القاضي بيراز الذي كان رجلا مستقيما جدا وكانت له ممارسة طويلة مع السجناء السياسيين منذ نجم شمال إفريقيا لم يتطرق أبدا لنشاطاتي السابقة. أعتبرت فقط كمنشط لتنظيم ذي طابع تخريبي. كنت حذرت سويسي سابقا أنه في حالة حدوث خطب ما عليه أن يرمي كل شيء عليّ، وهو ما قلته أيضا لشبلي « مادمت أعرف أنه منذ ساناتورويوم ليون بأنني مسجل ومطلوب من طرف مصالح الشرطة ». لم أعد أنفي أمام القاضي أنني من جبهة التحرير الوطني واعترفت أن سويسي وشبلي شابان لايعرفان شيئا وأنني استغللتهما دون أن يدركا. وهو ما سمح بإطلاق سراحهما سريعا.

بعد أن سمعني قاضي التحقيق تم اقتيادي إلى سجن لاصانتي، معزولا في قسم المحكوم عليهم بالإعدام، بينما وضع صديقيّ سويسي وغراس في قسم عادي بحيث يمكن الاتصال بينهما. بقيت في زنزانة العزلة ما يقارب الشهرين، بعد ذلك تم تحويلنا إلى سجن فران وذلك بعد أن تم تحويل طائرة الخطوط الجوية المغربية في 22 أكتوبر 1956 التي كانت تربط الرباط بتونس والتي كانت تقل الأعضاء الخمسة من الوفد الخارجي : محمد بوضياف، أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، محمد خيضر ومصطفى لشرف. وبعد إقامة قصيرة بالجزائر نقل الخمسة إلى سجن لاصانتي في قسم السياسيين الذي فتح من أجلهم.

تم تحويلنا ليلا في شاحنة زنزانة. وفي فران وضع كل واحد منا في زنزانته. بالنسبة لي، وبعد أن دفعوا بي إلى زنزانتي وأغلقوا الباب علي وجدت نفسي أقف مشدوها

بمتعة أمام نافذة، نافذة كبيرة بها قضبان ومفتوحة على ساحة السجن وعلى السماء. مكثت وقتا طويلا أستنشق هواء نقيا وأنظر إلى هذه القطعة من السماء التي لم أكن قد رأيتها منذ ... وقت طويل.

2 ـ في السجن

كنا أوائل المعتقلين من جبهة التحرير الوطني، ولما علمنا أن مجموعة الخمسة بلاصانتي قد حصلوا على نظام السجناء السياسيين حثنا ذلك على الدخول في إضراب عن الطعام لكي يعطى لنا نفس الحق. كان ذلك سابقة، وأعطينا وضعية السجناء السياسيين بعد بضعة أيام من الإضراب.

هانحن مجددا في ديسمبر بسجن لاصانتي، وبعدنا جاء سجناء MNA (الحركة الوطنية الجزائرية)، أربعة أشخاص، منهم محمد ماروك، سلكوا نفس الطريق ولكنهم كانوا معتقلين في الطابق الثاني ولم نكن نلتقيهم. كنا في قسم السياسيين هذا مجموعة مشكلة من دوم المعتقل منذ نوفمبر وبن سالم، غراس، روسي وأنا (كان مازور وسويسي وشبلي قد أودعوا الإفراج المؤقت) كانت بوابات زنازيننا تبقى مفتوحة وكنا نأكل معا في المطعم ونخدم أنفسنا بأنفسنا. كنا نحظى بزيارات المحامين الذين كانوا يزودوننا بكل المعلومات قبل أن نكتسب عادة شراء الجرائد. تعاملت مع المحامية جاكلين جايغر، متعاطفة شيوعية، وميشال بوفيار وكذلك عدد آخر من مجموعة المحامين الذين كانوا يدافعون عن جبهة التحرير الوطني. كانت زيارات تعبر عن التعاطف والتضامن معنا أكثر منها مهنية ؛ حيث كنا قررنا أن لا نعترف بسلطة المحاكم الفرنسية في محاكمتنا. ولا سلطة المحكمة العسكرية التي حُوِّلنا إليها بتهمة جديدة تحولت إلى المساس بمعنويات الجيش والأمن الداخلي للدولة. هنا استدعي كل واحد منا على حدة وتم استنطاقنا وقال رائد بعدائية : « آه، كنتم تنتظرون أن نعطيكم منبرا لتشتموا منه فرنسا، لن يكون لكم ذلك ولن تخرجوا إلا عندما تنتهي الحرب ». وبالفعل لم نحاكم أبدا ولم تكن هناك محاكمة أيضا بالنسبة لأصحاب الطائرة المحولة.

كنا في كل مرة نعلم بوصول معتقلين من الجبهة ندخل في إضراب عن الطعام تضامنا معهم بعد أن نكون قد بلغنا لهم رسالة الدخول في الإضراب. كان قد تم جمعنا بفران، وكانت لنا اتصالات مع مجموعة الخمسة خلال فترة التجول بالساحة وهناك تمكنا من توضيح حالة غراس. كان من المفروض أن يستفيد من الإفراج لأنه ناضل دوما تحت هوية مزيفة وهي الوحيدة التي كانت بين يدي الشرطة. والتفسير كان في رسالة سلمها بن بلة إلى محامي تم حجزها من طرف الشرطة، فبرز هكذا اسمه من ضمن المجموعة المرتبطة بالخمسة. لم يكن يتم تفتيش المحامين عند خروجهم بصفة دائمة لكن أبسط قواعد الحيطة كانت تتطلب أن لاتكون هناك قائمة بالأسماء الحقيقية للسجناء إلا إذا كانت مشفرة.

ثم ازداد عدد السجناء بصفة معتبرة، ففي فبراير 1957 تم اعتقال محمد البجاوي الذي كان قد أرسل هو أيضا من الجزائر لكي يكون على رأس فدرالية فرنسا في ديسمبر 1956. واعتقل بعد وصوله بشهرين مع كل مجموعته، حوالي 15 شخصا منهم ب. بن صيام، حاج حمو، أ. حاج علي، حريزي، ص. الونشي، سيد علي مبارك، أ. طالب، مالك حاسين الصّغير وهو تاجر تونسي بباريس كان يناضل في جبهة التحرير الوطني.

شكلت مسألة تعيين ممثل لدى إدارة السجن نوعا من الغليان في صفوفنا. كنا نود أن يتحمل الونشي أو طالب هذه المسؤولية عوضا عن البجاوي الذي كان متكلما جيدا ومتأنّقا أكثر من أن تكون له مصداقية في طريقة فرض نفسه. رفض كل منهما ومثلنا رغم كل شيء البجاوي.

تحسنت ظروف معيشتنا اليومية، انقضت شهور وسنوات. انتظمت دروس في العربية والفرنسية ومواد أخرى. كنا أربعة نتابع دروس اللغة العربية التي كان يعطيها أحمد طالب. كانت الكتب والجرائد تتنقل، حياة روتينية تقريبا تمضي وراء الأسوار، بدون صدام بيننا. غير أنه شيئا فشيئا نضجت فكرة الفرار التي تسكن كل سجين حتى وصلت إلى النجاح عند واحد منا في جانفي 1961. كان لايمكن تصور فرار عدد كبير من السجناء إلا إذا تمكنا من حفر خندق طوله على الأقل 30 مترا وهي فكرة مجنونة تم تركها بسرعة. الفرصة السانحة حصلت بسجن فران حيث كان

أعضاء « الخمسة » يأتون بين حين وآخر لتلقي العلاج في المصحة، وكان الهدف تهريب بوضياف وبن سالم. فكر هذا الأخير في صناعة بطاقتين مزورتين للزوار عن طريق جيرار سبيتزر (عضو منظمة الصوت الشيوعي، المعتقل لدعمه النشيط لجبهة التحرير والذي منع نفس نظام السجين السياسي الذي كان لنا منذ سبتمبر 1959)؛ كان يتطلب بعد ذلك التمكن من المرور عبر نوافذ الحمام التي كانت تعطي على ممر الزوار. تمكن بن سالم وحده، بعد أن حلق ذقنه في غرفة الحمام، من التسلق ثم القفز من النافذة ليجد نفسه زائرا بين الزوار بينما بقي بوضياف عالقا في الجهة الخطأ عند وصول الحارس.

مرت خمس سنوات من السجن وبدوري، ولكن بدون حيلة ولا بطولة، غادرت المكان في صائفة 1961. كنت بكل بساطة في وضع صحي مزر، وحصلت على الإفراج لأسباب صحية ووضعت في الإقامة الجبرية بران. في 31 جويلية 1961 تم نقلي في سيارة حجز إلى هذه المدينة من الغرب حيث قبل فندق وحيد إيوائي وكان علي أن أتقدم مرتين في الأسبوع إلى محافظة الشرطة. كان همي الأول أن أجد جزائريين يساعدونني على الفرار من المنطقة والبلاد. كانت ران مدينة جامعية، والتقيت طالبين في الطب : شارف زيدان ومصطفى مازوني اللذان قبلا نقلي بالسيارة حتى المدينة المجاورة ومنها أخذت القطار إلى باريس.

VIII ـ محن ثورة

1ـ الحرية

طرقت باب مكتب الأستاذ أوصديق، أحد المحامين من المجموعة التي كانت تأتي لزيارتنا بفران. لم يكن مرحب بي في الحقيقة لأنه كما قال لي، طلب أحمد طالب هو الآخر إفراجا طبيا، وأن هذا سيعقد خروجه. تم إيجاد مخبإٍ لي لمدة يومين، ثم قام زوجان بلجيكيان، أعضاء في شبكة دعم جبهة التحرير الوطني بتمريري الحدود عبر الحقول والغابات مع أحدهما بينما كان الآخر ينتظرنا في سيارة بعض الكيلومترات أبعد. وجدت نفسي ببروكسل في سبتمبر 1961 والتقيت قدور العدلاني مسؤول جبهة التحرير ببلجيكا. لم يكن الإحساس بالحرية كاملا، لأنه كان يحدث أن يعاد الجزائريون إلى الحدود، كان يتوجب مغادرة البلاد بسرعة. في اليوم التالي، ساعدني زوجان بلجيكيان آخران على اجتياز الحدود إلى ألمانيا. وصلت بلا مشاكل إلى كولونيا. وفي ساحة كاتدرائيتها الضخمة تعرفت على علي هارون وعمر بوداود، اثنان من مسؤولي فدرالية فرنسا للجبهة ممن كانوا مقيمين بألمانيا. وقت قليل بعد ذلك وصل أ. طالب الذي استقبل بحفل كبير. عمار بن عدودة، وهو طالب آخر في الطب كان مارا بهذه البلاد، كلف فيما بعد أن يتكفل بي. نصحني هذا الأخير بسبب مشكلة اللغة أن أذهب للعلاج بسويسرا ـ الروماندية). كنت في الحقيقة في وضع سيئ جدا، عشر سنوات من السرية والمطاردة، السجن والإضرابات عن الطعام كانت أنهكتني كليا. غادرت ألمانيا بفضل جواز سفر مغربي، تم وضعه عن طريق المنظمة باسم لعروسي جمال.

أصبح كفاحنا يجلب الآن تعاطف ومودة كثير من الأوساط في أوروبا، لاحظت ذلك بجنيف عبر الصحافة ولقاء أناس كانوا جد مطلعين على النزاع وتقلباته الأخيرة.

من بين هؤلاء الأشخاص أذكر البروفيسور ماخ الذي كان يعالج العديد من اللاجئين السياسيين بمودة كبيرة دون أن يطلب فلسا. وكان الحال كذلك في وسط المثقفين بلوزان.

أُجرِيت لي في ذلك الشتاء عدة عمليات جراحية بسبب داء في الأمعاء، لتعقده أصبحت حالتي تدرس عند البروفيسور ف. سايجيسر وطلبته في مستشفى لوزان. كان ذلك في مرحلة اتفاقيات إيفيان التي كانت بداياتها في صائفة 1961 والتي كانت في مراحلها الأخيرة. وسيكون تاريخ 19 مارس 1962 ووقف إطلاق النار مكتوبان قريبا بأحرف كبيرة على صفحات كل الجرائد.

أما أنا فكنت أعيش فترة نقاهة بعد عمليتين أخريين في محيط الأذن معتمدا على الراتب الضئيل الذي كنت أتلقاه كدائم في المنظمة.

لم يسكت صوت السلاح وراحت صراعات الأشخاص تحتد. كنا ندخل في مرحلة جديدة والتي لم تَرُق لي بتاتا. كانت تصلني أصداء عن خلافات ومساومات شائكة ونوايا سيئة في مستويات عليا وهي أشياء كان الطيب بولحروف، الذي كنت أعرفه منذ 1954، وهو مسؤول الجبهة بأوروبا قد كلمني بشأنها عند مروره بسويسرا. من جهة أخرى كان علي مواصلة علاجات حركية وكان علي الالتحاق بتونس. غير أن هذه المعلومات غير المفرحة أوقفت انطلاقتي : معلومات عن أمور تافهة ومريعة في مؤتمر طرابلس، والخلاف بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وقيادة أركان جيش الحدود مع بومدين وحليفه الجديد بن بلة. ولنذكر أنه قبل ذلك بقليل، قبيل وقف إطلاق النار، أرسل نقيب يدعى عبد القادر (عبد العزيز بوتفليقة) من طرف قيادة الأركان إلى مجموعة المسؤولين المعتقلين في شاتو أولنوا. وكان قد كسب بن بلة وبيطاط لمقترحه وهو مسعى خلق أول شرخ بين الذين رفضوه، آيت أحمد وبوضياف والآخرين.

باختصار كل ذلك أزعجني ونفرني إلى أقصى حد، ورغبت، في لحظة ما، أن أترك كل شيء، هذه الحياة، هؤلاء الرجال، رفاق الكفاح، السياسة والحزب الذي منحته كل قواي وشبابي وصحتي. بل وصل بي الأمر أن أحلم بشيء آخر ككل

فرد مستقل أعزب وفي سن العنفوان وليس مجرد حلقة من سلسلة طويلة تخدم الميكانيكا الكبيرة للتاريخ.

كانت الفدرالية، عن طريق شقيق بوضياف، قد قطعت علي الراتب في جويلية قصد حثي على اختيار صفي. بعد أن كلف كل من بن بلة وخيضر ياسف سعدي ليطلب مني أن ألتحق بهما في تلمسان، بقيت أصما ورافضا لكل هذه النزاعات من أجل السلطة.

في 5 جويلية 1962، كانت الجزائر تعيش فرحة عارمة، غير أن الأحداث لم تكن لتنتظر، فتوالت الفوضى وضجيج المواجهات مما جعل الشعب في مظاهرته التاريخية الكبرى يقول : « سبع سنين بركات ». عين محمد خميستي[25] وزيرا للخارجية باقتراح من بن بلة في أول حكومة له في سبتمبر. فكر بعد ذلك كل من خميستي والبجاوي في طريقة تبقيهما على اتصال بجاليتنا، وأرادوا إنشاء بباريس « ودادية الجزائريين بفرنسا » وفكرا فيّ لهذه المهمة. ولكي نتكلم في الموضوع قام البجاوي ـ الذي كان متواجدا جزئيا بجنيف وكان يعمل كعقل مدبر في كواليس سلطة بن بلة ـ بإرسال راتب مناوبتي وتكاليف السفر إلى باريس. كان موجودا هناك رفقة وزيرنا للخارجية الجديد محمد خميستي، وكنت تعرفت على هذا الأخير عن طريق محمد مدغري[26] اللذان كانا معا طالبين شابين عندما كنت مسؤولا عن المنطقة الوهرانية سنة 1953. ذكرته بتلك الظروف، ثم عرض علي فكرة الجمعية التي تكون غايتها الحفاظ على معنويات المهاجرين الجزائريين : ودادية الجزائريين بفرنسا. رفضت. في الواقع، بدت لي كزائدة دودية لجبهة التحرير الوطني التي صارت حزب السلطة. اقتُرح علي إذا منصب القنصل العام بليل. أجبت بلا، لا الحزب ولا فرنسا. أصر، ثم اقترح علي فتح سفارة الجزائر بألمانيا كمكلف بالأعمال. وقبلت.

عدت إلى الجزائر في جانفي وانتظرت تعييني.

---

25 ـ كان خميستي هدفا لعملية اغتيال في أفريل وتوفي في 5 ماي 1963 ضحية لقصة غامضة مازالت لم تفك كل خيوطها حتى اليوم.

26 ـ في سنة 1964 وهو في زيارة خاصة ببارن طلب مدغري من السفير أ ستوتي أن يدعوني على عشاء لأنه قال له مبالغا بعض الشيء أن السيد مشاطي هو الذي علمه الوطنية. ولما كنا لوحدنا طلب مني أن أزوره عندما أعود إلى الجزائر لأن له مايقوله لي. للأسف توفي في ديسمبر 1974 « منتحرا » رسميا، قبل لقائنا.

على مستوى الوزارة، كان يدور كلام عن فترة تكوينية لتهيئة الموظفين لنشاطاتهم الجديدة. ولكن في الأخير لم تكن هناك أية تهيئة قبل أن آخذ رسميا وظيفتي التي كانت محددة لـ 11 مارس 1963.

2 ـ في وزارة الشؤون الخارجية

صفحةٌ جديدة، فُتِحَت هنا ببون في الجمهورية الفدرالية الألمانية ـ ويمكن أن أقول أيضا طريقة جديدة في خدمة بلادي لأنه في تصوري لاشيء سيتغير بصفة أساسية من النضال إلى الوظيفة ـ.

بخصوص مساري الدبلوماسي الذي بدأ في 1963، أود أن أوضح أنه برتبة وزير مفوض ووظيفة مستشار سفارة ومكلف بالأعمال انتهى بعد 23 سنة عند سن التقاعد، وسأكتفي بالضبط بالمغامرات الأولى التي سبقت انقلاب 19 جوان 1965 أي سنوات 1964 ـ 1965. وأذكر هذه الوقائع لأنها دالّة وتُعلمنا جيدا عن الطبيعة العميقة لقادتنا وما نصّبوه كنظام للسلطة غداة الاستقلال[27]. وأيضا لأن ذلك كلفني أن وجدت نفسي وراء قضبان سجن الحراش في صيف 1965.

تبعا لوفاة محمد خميستي وتعيين خلفه في الشؤون الخارجية (أي عبد العزيز بوتفليقة) تم إعادة استدعائي من ألمانيا إلى الإدارة المركزية أي في أقل من 18 شهرا، وهي فترة قصيرة قضيتها في إرساء مختلف المصالح، وعلى المستوى الشخصي كان لي بالكاد الوقت أن أجد مسكنا وأطلب قرضا لتأثيثه وأتزوج وأصبح والدا و... أحضّر الرحيل !.

---

27 ـ اعتقل بوضياف في جوان 1963.

ـ استقال خيضر من جبهة التحرير سنة 1963 ودخل المعارضة في 1965 واغتيل في 1967.

ـ آيت أحمد، نائب في أول جمعية في 1962 معارض في 1963 اعتقل وحكم عليه بالاعدام 1964 ـ 1965، فر من السجن سنة 1966.

ـ كريم بلقاسم، المبعد سنة 1962، معارض في 1965 ومغتال سنة 1970.

ـ اعتقل أحمد طالب وعذب سنة 1964، أطلق سراحه في فبراير 1965.

ـ استقال فرحات عباس من رئاسة أول جمعية سنة 1963 (احتجاجا على الدور المفرط فيه لجبهة التحرير في صياغة الدستور).

ـ اعتقل بن علة في 19 جوان 1965 إلخ...

تقررت تعليمات جديدة على مستوى الوزارة بالجزائر بخصوص المناضلين القدامى حيث اشترط عليهم تقديم شهادات ليتم تعيينهم. في الواقع كانت تشتم من هذا الإجراء التعسفي رائحة الضربات التحتية للقمة. زُحزِحت (من مستشار من الصف الأول إلى رتبة سكرتير من الصف الثالث) وتركت بدون راتب لأكثر من ستة أشهر وأنا أعيش على القروض. في أحد الأيام غضبت وطلبت تفسيرات من مدير المصالح المالية م. يونس. في مكتبه، همس لي تقريبا داخل أذني أنه تم إجراء مراقبة مالية بألمانيا وأنه وجدت ثغرة في تسييري[28] (وهو تسيير كنت حافظت بعناية كبيرة على كل وثائقه الحسابية). جعلني ذلك أثب غضبا لأنه في الواقع أنا الذي كان لي دين عند الدولة، لأنه في تلك المرحلة كانت تعطى لنا تسبيقات على الراتب في انتظار التسوية. تحديته هو ومن معه وطلبت تفسيرات مكتوبة. أرسلت لي في اليوم التالي رسالة قصيرة من مصالحه بتاريخ 6 أفريل 1965 وأجبت عليها فورا برسالة مؤرخة في 9 أفريل 1965 أرفض شكليا اتهامهم المفضوح، ومطالبا بتكوين لجنة بها كل الأطراف، وكنت مستعدا أن أجيب على كل أسئلتها.

أعيد صرف راتبي بدون أي كلام.

كان ذلك في مارس ـ أفريل 1965 وكنا هيأنا شقة صغيرة من الأملاك الشاغرة في تيليملي والتي مازلنا نسكنها إلى اليوم. ومرت الأسابيع.

غير أن الأمور لم تتوقف هنا...

غداة انقلاب 19 جوان سمعت عن طريق القيل والقال أن هناك متابعات ضدي قيد التحضير، طلبت إذا مقابلة رئيسي عبد العزيز بوتفليقة عن طريق رسالة مؤرخة في 26 جويلية 1965. أذكر أنه قابلني بجفاء ورفض الاستماع إلي : « بخصوص المال العام أنا لاأتسامح. ستؤدي العدالة عملها... ثم بوقاحة : لقد كتبت إلى بن بلة ». قلت له لا، بل كتبت إلى رئيس الجمهورية. وأجاب : « أنا رئيسك ومررت فوق رأسي.. » ـ « أبدا، كتبت لك أولا وأنت لم تجب » . ثم سألني إن كنت أستطيع إثبات ذلك وأجبت بنعم؛ وانتهى اللقاء هكذا. وطلب مني أن أسلم رسائلي إلى مدير ديوانه آنذاك السيد تيجيني.

28 ـ أنظر الرسائل المرفقة في الملاحق 1 و2.

أيام بعد ذلك استدعيت من طرف قاضي التحقيق م . محمدي (الأب) بحضور محامي، الذي كنت قد نُصحت به، الأستاذ غونون. أجبت على الاتهامات الموجهة إليّ مقدما الوثائق التي تدحضها بدون أدنى شك. لم يحاول القاضي الجدال قط، واكتفى بالقول، وهو يعتذر، أنه طُلب منه اعتقالي منذ عدة أشهر وأن اليوم لايمكنه أن لا يفعل. رغم احتجاجاتي واحتجاجات محامي اعتقلت على الفور وزج بي في سجن الحراش. قضيت هناك خمسة أيام بلياليها دون أن آكل أو أشرب من الغضب والعجز ضد ظلم الأسياد الجدد. وبفضل العمل المشترك لرفاقي ورفاق السجن السابقين بفران، فضيل بن سالم وأحمد دوم وأحمد طالب (كان وزيرا جديدا للتربية وقيل لي أنه قال : إذا كان مشاطي سارقا فأنا أكبر السراق) استفدت من الإفراج المؤقت.

وبعد ذلك بوقت قليل، كان علي الوقوف أمام محكمة الجزائر بالتهمة المهينة « المساس بالتراث الوطني » وكان المدافعان عني المحاميان بن تومي وغونون. تم الإفراج في المحاكمة الأولى وأُكِّد في الثانية. هذه الحلقة من حياتي مرت بشكل صعب جدا، ولكن في دولة اللاقانون لايمكن فعل الكثير سوى الكبت في ألم...

في 1967 عاد مساري الديبلوماسي إلى سكته، بأوقاتها القوية بإحساس الرضا وأيضا بنمطيتها والتي انتهت بعمل حقير أخير في 1984، وذلك بتعييني لسنة واحدة ـ وهذا لم يحدث أبدا ـ كسفير لبلادي في المجر. وحتى اسمي لم يكتب بطريقة صحيحة في الجريدة الرسمية، حيث كان أحمد بدل محمد بالرغم من رسائل الاحتجاج التي أرسلتها[29]. إذا، بقيت دوما بالنسبة للسلطة ومصالحها إنسانا مزعجا بكتاباته وعلاقاته المبنية على اللياقة الصارمة وعدم ميولي للإطراء اتجاه أصحاب الجاه. هكذا كان الحال.

29 ـ أنظر رسائلي في الملاحق.

خلاصة

بعد أكثر من أربعين سنة من الاستقلال، ثمرة حرب ضروس، تم دفع ثمنها باهظا، ماتزال الجزائر وشعبها عرضة للحسرة والخيبة. فالبؤس يغزو يوما فيوما مساحات ومواطنين أوسع. فقر ملفت مع جحافل المتسولين والمشردين والمجانين، والعجز أمام الكوارث الطبيعية، التراجع الثقافي، البطالة والانحراف. إنها الحياة الضنكة بكل واقعها المؤسف.

كيف وصلنا إلى هذا؟ كيف يُمكن التحريف، إلى هذا الحد، لتضحيات جسام وآمال عدة أجيال من الجزائريين التزموا بالنضال منذ 1919 إلى 1962 تحت راية الحركة الوطنية من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني مرورا بحزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية؟ كيف يمكن أن نفسر هذا العدد الكبير من أبنائنا الذين لايحلمون إلا بالفرار من البلاد بكل الوسائل. وبالنسبة لبعضهم الانخراط في الانحراف الإسلاموي لكي يَقتلون ويُقتلون بدون سبب. أين هي أحلام الكرامة والعدالة الاجتماعية والحرية؟ كيف يمكن أيضا، تفسير كوننا في المؤخرة في مجال التنمية والتقدم عموما في حين أن أمما أخرى أقل حظوة في الطبيعة والبشر لها مكان مشرف وتتقدم باستمرار ؟ إنها أسئلة تحثنا على البحث عن مصدر المرض الذي ينخر البلاد وعن طريقة معالجته.

عن تلك الأسئلة وغيرها، أظن أنه لايمكن إعطاء جواب منطقي وملائم دون أن ننظر إلى ماضينا. وهذا هو سبب هذه الشهادة.

من كل هذه الوقائع التي تعود للتاريخ والتوضيح الذي أضفيه عليها تُستنبَط هذه الملاحظة : الشعبوية ونزعة الزعامة والطموحات الشخصية المبالغ فيها كانت

مصدر انحرافات الحركة الوطنية ونتائجها التراجيدية التي مازالت تبعاتها إلى اليوم. نعم إنها هذه الأمراض الشعبوية والزعاموية التي مازالت تشد البلاد إلى الوراء. وأنتجت الوصولية والتحكم في السلطة الفعلية من طرف الانتهازيين والفارين من الجيش الاستعماري الذين استحوذوا على جيش التحرير الوطني وهيئات الثورة في ظل استمرار الأزمات وخاصة، وهي أخطرهم، تلك التي ميزت مؤتمر طرابلس 1962 والتي كانت مفتعلة ومضخمة لغاية الاستحواذ على السلطة.

في الأخير، الذي تحتاجه الجزائر هو حركة ثورية حقيقية، وقادة متأصلين من ذوي البعد الكبير كالذي عرفته فيتنام مع هوشي منه وجنوب إفريقيا مع مانديلا.

لايمكن اليوم تجاوز هذا الوضع المؤسف للجزائر المثقلة بعبء ماضيها. لايمكن ذلك إلا ببروز رجال جدد في قطيعة راديكالية مع نظام منحرف مسؤول على كل الويلات الوطنية منذ زمن طويل. رجال تكون سماتهم الأولى الوطنية والذكاء والتفاني؛ رجال جدد سيكونون بالتأكيد حاملي الأمل.

الجزائر. ماي 2009

كلمة الختام

بدون تمجيد الذات

عندما لايكون المرء سوى صحافي يفتقد لسلطة المؤرخ المحترم، تشكل قراءة مذكرات لنشطاء الماضي السياسيين مجرد دعم لمعرفته مع الطابع الضروري الذي يفرضه هذا التعلم. أي ضرورة فهم بعض الفصول من تاريخ كبير مازال غامضا.

غير أنه هل ينصح أن لانسمع في هذا المجال غير تأويلات أولئك الذين ساهموا في هذه الملحمة والذي يُصَر على أن تقدم كبطولية في حين أن أخصائيين في تفكيك هذا الماضي يجدون لها كثيرا من الجوانب الغامضة والسمجة؟

بديهي أن يكون الجواب لا، غير أنه لايجب استصغار هذه المادة التي تتشكل من « الحقيقة » الحميمية أو بالأحرى القناعة الشخصية لهؤلاء النشطاء.

فالسير الذاتية التي ماهي في الأصل إلا إعادة إنشاء ماض شخصي تشير بالرغم عنها إلى دروب لم تكن هي تتصورها حتى. ألا تعطي بمحتواها المليء بالنوادر معنى آخر للوقائع إلى حد أنها تسمح أحيانا بتصحيح التصور العام للتاريخ؟ هذه شبه القصة المبنية على واقع معيش حقيقي والتي من خلالها يتكلم الكتاب عن أنفسهم مستندين إلى ذاكرة فيها خلل أي بمعنى آخر أن هذا النسيان الانتقائي ليس بدون فائدة. بالفعل فإن هذا النوع من خطايا الكتابة (من دون تأويل سلبي) لايعطى إلا إلى أولئك الذين تحولت حياتهم إلى مصير كبير. باختصار إنهم يتحررون من صمتهم عبر إعطاء الجمهور كتابات حميمية، والذاتية التي فيها ماهي إلا اسم لحقيقتهم الخاصة.

على كل حال، لو كانت كل السير الذاتية لها هدف وحيد يتمثل في استحضار الماضي الشخصي فهناك بعض منها تتميز بالمبالغة في تمجيد الذات في حين أن أخرى ماهي إلا تمتمات مع كل ما توحي به هذه الكلمة من تواضع. لأن الكلام عن الذات عملية جد مكروهة عندما تتقدم في شكل كلام هو فصل الكلام. فهي لايمكن أن تكون مقبولة ومحترمة إلا عندما تخضع نفسها لرقابة الشك.

بعد الكثير من النشطاء السياسيين، منهم من لم يكن له دور، جاء الآن دور محمد مشاطي لكي يضع « حياته » على الساحة العامة.

بتلخيصه في 128 صفحة حياته الأساسية ومساره النضالي اختار أن لايكترث بأن يكون دائما في الدور الجميل فيما يرويه. إنه بعد محترم مع الذات لايمكن سوى أن يُكبِّره في عين القارئ.

مع أنه كان عضوا من مجموعة « 22 » التي أنشأت اللجنة الثورية للوحدة والعمل من الملفت أن سرده عرف كيف يتجنب الانزلاق اللغوي الذي أعطى مبكرا لهذا الجمع من المناضلين صفة « التاريخي ». وهي صفة يجب كما يقال على الأقل أن توضع بين هاذين القوسين لتضفي عليها نوعا من النسبية كما كان يقترح قبل ذلك آيت أحمد في حوار في التسعينيات.

ولم يستعمله مشاطي بدوره أبدا في كل نصه، مكتفيا بالإدلاء بما يظن أنه نصيبه من الحقيقة وذلك عبر منظور الأحداث كما عاشها أو تحملها. إنه مسعى يزحزح الكثير من الأبطال ويضفي إنسانية على الأساطير المؤسسة للكفاح. الذين قادوا هذا الكفاح والذي جعلهم التمجيد المبالغ فيه يبدون « غير إنسيين » في التصور الشعبي.

كانوا أناسا عاديين بحدودهم وذاتيتهم وهو يتمكن من وصفهم من هذه الزاوية بفضل بعض التفاصيل التي تضفي نسبية على البطولية المصطنعة المشكلة لخلفية كتب التاريخ السيئة. وبالتالي نجح مشاطي في تكبير تضحياتهم النهائية عن طريق تطييبها أكثر بذكر أخطائهم. بمعنى آخر فهو يهمس لنا أن مستواهم كرجال نزهاء وأوفياء هو قبل كل شيء ثمرة لتلمساتهم ولِمَ لا ثمرة لأخطائهم.

فبعد أن نقرأه نتذكر بدورنا أن الميثولوجيا بجانبها غير القابل للتصديق لاتُكبر هؤلاء الأوائل بخنقهم في مرجعيتها. لقد داست ماكان إنسانيا فيهم بتحجيرهم في الملحمة في حين أن الحالة الإنسانية تضفي قيمة أكبر من كل تأليه.

بالطبع فالكاتب لم يُطِل في الموضوع ويشرح مسائل أخرى ولكنه يعطي على الأقل رأيه بخصوص مسألة مازالت تثير شرخا إلى اليوم عند المؤرخين وكتّاب السير الذاتية ألا وهي ما يعرف بـ« تخلف » مجموعة قسنطينة في 1 نوفمبر.

من دون أن يعطي نفسه الحق في وصم أولئك الذين قاموا بهذا النوع من المحاكمات، فهو تمكن من إعادة هذا الموعد الخاطئ إلى سياقه حتى يسدل الستار على هذا السجال الكاذب. بكلمات أخرى وبشروح دقيقة فهو يؤكد بدوره التحليلات التي جاءت فيما بعد بخصوص الكيفية المرتجلة لتكوين قيادة الثورة.

ومن بينها تلك التي ذكرها عمار أوزقان في كتابه « أحسن كفاح » الصادر سنة 1962 ! والذي كثيرا مالم يُنتبه له مقدما شهادة لأحد مجموعة 22. كتب أوزقان مايلي :

« كان هناك حلان معروضان أمام مجموعة 22 : التنظيم أولا ثم الانطلاقة بعد ذلك أو الانطلاقة أولا ثم التنظيم بعد ذلك... ». فعلى هذا الاختلاف داخل المجموعة ذاتها تطعمت بعض الحساسيات الشخصية مما جعل من حالة قسنطينة تظهر كإشكال.

هذا ما يبرزه مشاطي ببراعة، ويعطي في نفس الوقت حياكة جيدة لهذا الكتاب الذي يقرأ في مرة واحدة، ولاغرابة في ذلك لأنه لاتوجد لحظة يقلقل فيها القارئ من لغة الخشب التي نعرفها.

بوبكر حميدشي
قسنطينة جوان 2009

التنظيم

قيادة الأركان الوطنية

بلوزداد محمد : مسؤول وطني (منسق)
بلحاج جيلالي : مدرب عسكري
آيت أحمد حسين : مسؤول سياسي

قيادة الأركان الوطنية من أوت 1949 إلى ماي 1950

بن بلة أحمد (رئيس)، بوضياف محمد (نائب)

عمالة الجزائر (1947 إلى أوت 1949)

آيت أحمد حسين (قائد)، رجيمي جيلالي (الجزائر، متيجة، تيطري)
محساس أحمد (الشلف، الظهرة)، ولد حمودة (القبائل)

أوت 1949 إلى ماي 1950

رجيمي جيلالي (مدينة الجزائر)، محساس أحمد (الشلف، الظهرة)
مشاطي محمد (متيجة، تيطري)، بوداود عمر (القبائل)

عمالة وهران (1947 إلى 1949)

بن بلة أحمد (قائد)، بوتليليس حمو (نائب)
بن سعيد عبد الرحمن (جنوب، غرب)، بن على الحاج (الوسط)

من 1949 إلى 1950

بن سعيد عبد الرحمن (قائد)، شرقي ابراهيم (سعيدة، النمور)
المساعد الطيب(مشرية، القنادسة)، بن علة الحاج (الوسط)

عمالة قسنطينة 1947 إلى 1949

بوضياف محمد (قائد)، بن مهيدي العربي(نائب)
ديدوش مراد، غراس عبد الرحمن
العمودي عبد القادر

من أوت 1949 إلى ماي 1950

بن مهيدي العربي (قائد)
ديدوش مراد، غراس عبد الرحمن
العمودي عبد القادر

عشية تفكيك المنظمة الخاصة تبعا لقضية تبسة. مسؤولو قيادة الأركان الوطنية المؤهلون لنقاش واتخاذ قرار بكل وعي لصالح الحرب أو السلم كانوا كما يلي : تحت رئاسة لحول حسين أمين عام الحزب			
قسنطينة	**الجزائر**	**وهران**	**الوسائل اللوجيستية**
بن مهيدي العربي ديدوش مراد غراس عبد الرحمن العمودي عبد القادر	بن بلة أحمد (قائد) بوضياف محمد (نائب) رجيمي جيلالي(الجزائر) محساس أحمد (الشلف، الظهرة) مشاطي محمد (متيجة، التيطري) بوداود عمر (القبائل)	بوتليليس حمو (قائد) شرقي ابراهيم بن سعيد عبد الرحمن الحاج بن علة	اعراب محمد (مختص متفجرات) بن محجوب عمر (استعلامات) ماروك محمد (اتصالات) يوسفي امحمد (مصالح عامة)

آخر قيادة أركان وطنية (أوت 1949 إلى ماي 1950) بن بلة أحمد (رئيس) بوضياف محمد (نائب)			
قسنطينة	**الجزائر**	**وهران**	**الوسائل اللوجيستية**
بن مهيدي العربي (مسؤول) ديدوش مراد غراس عبد الرحمن العمودي عبد القادر	رجيمي جيلالي (مدينة الجزائر) محساس أحمد (الشلف، الظهرة) بوداود عمر (القبائل)	بوتليليس حمو (قائد) بن سعيد عبد الرحمن شرقي ابراهيم الحاج بن علة	بن محجوب عمر (استعلامات) ماروك محمد (اتصالات) اعراب محمد (مختص متفجرات) يوسفي امحمد (مصالح عامة)

الهيئة الأولى لقيادة الأركان الوطنية بلوزداد محمد : مسؤول وطني (منسق) بلحاج جيلالي : مدرب عسكري آيت أحمد حسين : مسؤول سياسي			
قسنطينة	**الجزائر**	**وهران**	**الوسائل اللوجيستية**
بوضياف محمد (قائد) بن مهيدي العربي (نائب) ديدوش مراد غراس عبد الرحمن العمودي عبد القادر	آيت أحمد حسين (قائد) رجيمي جيلالي (الجزائر،متيجة،تيطري) محساس أحمد (الشلف، الظهرة) ولد حمودة (القبائل)	بن بلة أحمد (قائد) بوتليلس حمو (نائب) بن سعيد عبد الرحمن	ماروك محمد (اتصالات) بن محجوب عمر (استعلامات) يوسفي امحمد (مصالح عامة) اعراب محمد (مختص متفجرات)

الأسماء المكونة لقائمة أعضاء اجتماع «21» المدعوة «22» خطأ في نهاية جوان 1954

عمالة قسنطينة (16 عضوا)

De Constantine ville

بن عبد المالك رمضان
بيطاط رابح
بوعلي سعيد (المدعو لاموطا)
بوصوف عبد الحفيظ
حباشي عبد السلام
مشاطي محمد
ملاح سليمان (المدعو رشيد)

Constantinois

باجي مختار من سوق اهراس
بن عودة عمار من عنابة
بن بولعيد مصطفى من باتنة
بن مهيدي العربي من بسكرة
بن طوبال لخضر من ميلة
بوضياف محمد من مسيلة
العمودي عبد القادر من بسكرة
سويداني بوجمعة من قالمة
زيغود يوسف من سمندو

عمالة الجزائر (4 أعضاء)

بلوزداد عثمان
بوعجاج الزبير
ديدوش مراد
مرزوقي محمد

عمالة وهران (عضو واحد)

بوشعيب أحمد

مقالات كفاح

مساهمة السيد مشاطي في وسائل الإعلام
بخصوص المسائل الكبرى والنقاشات الوطنية

1 ـ اقتراحات ومساهمات في المسائل الكبرى والنقاشات الوطنية

نوفمبر 1954 : أية نتيجة ؟

(جواب للشباب وغير الشباب الذين يسألونني في هذا الموضوع)

هل كانت ثورة أم حرب تحريرية؟ هي بالتأكيد هذه وتلك.

ثورة : هذا يعني إطاحة كلية بسلطة من طرف سلطة أخرى تخلفها في تسيير شؤون دولة بلد. وهذا هو الحال بالتأكيد هنا. لقد أطحنا بالسلطة الاستعمارية عن طريق إقامة سلطة وطنية، للأسف، أضحت مخيبة وغير جديرة بالثقة أيضا.

حرب تحريرية : لقد حررنا الجزائر لإنهاء حالة العبودية الاستعمارية المذلة لصالح دولة وطنية مشكلة من رجال أحرار ومواطنين مسؤولين عن مصيرهم ومصير بلادهم.

هل نحن أحرار حقيقة هكذا؟ بالتأكيد لا. إننا نعيش منذ الاستقلال في ظل نظام اضطهادي لادين له ولا ملة استحوذ على السلطة بالقوة، يسير البلاد كمتجر شخصي، دون أن يكترث لمصير شعب بأكمله أخذ رهينة والذي تداس حرياته الأساسية إلى اليوم.

ماذا فعلنا لكي يكون لنا هذا المصير الحزين؟ ماهو أصل المرض؟ فلنسأل ضميرنا بدون تنازل ولنعطي شهادتنا بكل نزاهة وتواضع، وسيبقى على المؤرخين الجديين مهمة إبراز ما يعتقدون أنه الحقيقة. من البديهي أن لاشيء يأتي من عدم. كل عمل

وكل قرار له بداية ونهاية. وكل نهاية (نتيجة) ماهي إلا النتيجة المنطقية لبدايتها الجيدة أو السيئة.

فهناك سؤال أساسي يطرح علينا إذا، هل بدأنا جيدا عملنا في نوفمبر 1954 ؟ إذا كان الجواب بنعم فلا مبرر لمؤتمر الصومام . بالفعل لكي نعمل جيدا كان يمكن أن ينظم في الجزائر العاصمة قبل نهاية 1954 لو تم ترجيح العقل عند أولئك الذين أعلنوا أنفسهم قادة وأعلنوا بصفة متسرعة انطلاقة الكفاح المسلح خلال اجتماعهم بصالمبيي (المدنية) من دون أن يأخذوا بعين الاعتبار النصائح والتحذيرات التي جاءتهم من زملاء مسؤولين مثلهم. لم يكن اجتماعهم الشهير إلا إخراجا موظّفا بصفة إرادية لخدمة أهداف شخصية غير معلنة. تم هذا الاجتماع في مرحلة من الاضطرابات والقلق والخيبة داخل الحركة الوطنية (حزب الشعب الجزائري/ حركة انتصار الحريات الديمقراطية)، والتي ولّدت ارتباكا كبيرا وأزمة ثقة كاملة عند المناضلين اتجاه قادتهم في مرحلة دقيقة من حياة البلاد.

كانت هناك اختلافات قديمة داخل الحزب ذات طابع شخصي أكثر منها سياسية بين مصالي وزملائه (أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية)، قد احتدمت إثر قرارات اتخذت في آخر مؤتمر سنة 1953 بالجزائر. وهو مؤتمر أقر إصلاحات كبيرة على المستوى السياسي وقرر تغييرات ضرورية على مستوى القيادة قصد إنجاز الأعمال المستقبلية الضرورية.

رفض مصالي الغاضب نتائج هذا المؤتمر، وطالب بالسلطات الكاملة. وأمام رفض القيادة الجديدة التي حاولت رده إلى جادة الصواب قرر إصدار نداء إلى القاعدة بإرساله إلى المناضلين رسالة علنية تحثهم على التمرد ضد قادتهم الذين اتهمهم بالخيانة. بدورهم، اتهمه هؤلاء القادة بالديكتاتورية وجنون العظمة وعدم الكفاءة. وقد خلقت هذه الوضعية تمزقا كبيرا وأزمة ثقة كاملة وارتباكا كبيرا في القاعدة حيث وصل المناضلون المنقسمون بين المصاليين والمركزيين إلى استعمال العنف : شجارات، اعتداءات مسلحة أسالت الكثير من دماء أولئك الذين كانوا بالأمس إخوة. وتبع ذلك معارك حامية عبر كل البلاد وأيضا داخل كل المنظمة في فرنسا (حيث كان مصالي تحت الإقامة الجبرية بنيورت).

أمام استفحال الوضع قام لحول حسين عضو اللجنة المركزية والأمين العام السابق للحزب بالاتصال ببوضياف واستقدامه من فرنسا لكي يتكفل بالتنظيم شبه العسكري، المنظمة الخاصة، التي حلت في 1951. وقد قرر معه إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل قصد التحكم في الوضع الجديد واتخاذ القرارات الضرورية للمرور إلى العمل المسلح المنظم في كنف الوحدة المسترجعة (مارس 1954).

قرر بوضياف، لكي يعطي لنفسه الدور الجميل، في تلك اللحظة أن يقوم بلعبة انفرادية دون علم لحول حسين قائده النظامي والكثير من المسؤولين في المنظمة الخاصة المعنيين أولا والمقصيين إجحافا. وقام بتشكيل فريقه (بن بولعيد، بن مهيدي، ديدوش وبيطاط) واستدعى إلى اجتماع في الجزائر ستة عشر شخصا من اختياره(أغلبهم في مستويات دنيا من المسؤولية) بحيث كانت التشكيلة غير طبيعية وإضافة لذلك جهوية : 12 شخصا من عمالة قسنطينة 6 منهم من منظمة مدينة قسنطينة، 3 من عمالة الجزائر (مدينة الجزائر) وشخص واحد من عمالة وهران. وكان ذلك دون أن يخطرهم بالموضوع مما جعل الجميع يحضرون وهم يظنون أن الأمر يتعلق بمجرد تشاور وتوضيح متعلق بالخلاف الذي كان يمزق منظمة الحزب ويدور بين العصبتين.

تم ذلك بعيدا عن المسؤولين الشرعيين للمنظمة الخاصة المعروفين على المستوى الوطني والذين كانوا متساوين في العمالات الثلاث. كان من المفروض أن يكون موضوع هذا الاجتماع، أولا القيام بحصيلة نقدية لإخفاق المنظمة الخاصة وأسباب تفكيكها من طرف الشرطة الاستعمارية سنة 1950 وتحديد مسؤولية كل واحد في هذا الموضوع قصد الوصول إلى نجاعة أكبر في المستقبل.

كان يتوجب إذا العمل بكل ما هو ممكن لاسترجاع الثقة المفقودة عند المناضلين، وأن لانستعمل الأكاذيب والمناورات حتى نرقى إلى مستوى فكرة اللجنة الثورية للوحدة والعمل التي كانت تنادي بموقف حيادي اتجاه العصبتين حاثة إياهم على الوحدة والمرور إلى العمل المسلح. لم يكن، للأسف، ذلك هو الحال بالنسبة للذين أعلنوا أنفسهم قادة ليقرروا شبه منفردين وعلى طريقتهم الثورة. كان ذلك أول انقلاب للعسكري ضد سلطة السياسي.

في القاعة المخصصة للاجتماع وجدنا أنفسنا أمام مجموعة صغيرة سبق وأخذت مكانها كـ « مكتب » كأنه يسير الأعمال؛ كان عددهم خمسة : بوضياف، بن بولعيد، بن مهيدي، بيطاط وديدوش.

أخذ بوضياف، الذي كان سيد اللعبة، الكلمة وتحدث عن وضعية الحزب التي كانت معروفة لدى الجميع وعن انقسامه ورفض الاتحاد من طرف مصالي. وعلى المستوى المغاربي، الجزائر التي تخلفت في حين أن التونسيين والمغاربة قد مروا إلى العمل، قائلا أنه قد حان الوقت للعمل بدون تأخر وطرح فورا السؤال الشَّرَك الدقيق : من هو مع أو ضد انطلاق الكفاح المسلح؟ كانت طريقة حذقة لتفادي أي نقاش. جاء الجواب جامعا ومتحمسا.

استُنتِج من ذلك، أنه يستوجب انتخاب قيادة عبر اختيار عضوين من بين الخمسة المشكلين للمكتب فقط والذين سيختارون بدورهم، عن طريق التعيين، الأعضاء الآخرين، أي ضمنيا من ضمن الحضور قصد عدم الإدلاء بالأسماء في العمل السري. ولم يكن ذلك الحال كما سنرى بعد ذلك، لأن الاختيار كان قد تم مسبقا لأنهم نفس الأشخاص الذين سيكونون أعضاء المكتب.

طريقة انتخاب مفتعلة، فقد تم اختيار الاسمين (المسجلين من طرفنا على قصاصات ورقية سلمت لنا)، وكانا على مايبدو بوضياف وبن بولعيد.

رفعت الجلسة فورا بعد أن أُخبِرنا بعدم حضور مؤتمر مصالي ببلجيكا ولا مؤتمر اللجنة المركزية بالجزائر وأن التعليمات ستعطى لنا فيما بعد. لم يطرح أحد سؤالا خاصا فباستثناء الذين كانوا يديرون اللعبة وكانوا بحاجة أن يضفوا على أنفسهم شرعية، لم يعرف أي مشارك شيئا أكثر عن المناورة حيث لم يستدع الممثلين الآخرين إلا ليكونوا ضمانة مخدوعة.

صدم هذا الوضع عناصر قسنطينة في العمق عندما تفطنوا للخدعة والمناورات التي حضروها، دون أن يفقهوا ذلك في عين المكان، فاتصلوا بقائدهم عبد الرحمن غراس (الذي لم يتم إعلامه بصفة مبيتة بذلك الاجتماع الشهير) حتى يفكروا مليا وسويا في هذا الوضع الخطير والمؤسف الذي من شأنه أن يزيد الغموض غموضا. فقرروا حينئذ عقد اجتماع مصغر للتوافق بقسنطينة قصد رفع كل الالتباسات

والشكوك التي من شأنها أن تضر بالهدف المنشود. وحضر الاجتماع بعض المسؤولين من العمالة : غراس عبد الرحمن، حباشي عبد السلام، عبد المالك رمضان، ملاح سليمان المدعو رشيد، بوعلي السعيد المدعو لاموطا، باجي مختار، حداد يوسف الذي تم عنده الاجتماع، بن طوبال لخضر، مشاطي محمد، زيغود يوسف (الذي يكون قد منع) وديدوش مراد ممثلا لبوضياف. كان هذا الاجتماع من أجل إقناع هذا الأخير بالضرورة القصوى لتنظيم لقاء جديد في الجزائر بمشاركة المسؤولين المعنيين في المستوى الأعلى بصفة متساوية للعمالات الثلاث قصد التحدث معا عن مشاكل المنظمة وصلاحية تاريخ انطلاقة الثورة واختيار شخصية ذات بعد سياسي لتمثيلنا في الخارج. كنا قد اقترحنا الدكتور لامين دباغين الذي كان المبادر الأساسي مع بلوزداد محمد لإنشاء المنظمة الخاصة خلال مؤتمر حزب الشعب الجزائري سنة 1947.

رفض ديدوش أن يسمع شيئا، ستكون الأمور كما حددوها هم (بوضياف وفريقه) وانتهى إلى القول : « اللي مشى مشى واللي مامشاش يروح للحبس ». كان ذلك الجواب الوحيد ودون تفسير : إملاء.

لهذا قرر هؤلاء معاقبة مجموعة قسنطينة المحتجة بعدم إعلامها بيوم الانطلاقة. وبالفعل كانت عناصر قسنطينة الأعضاء السابقون في المنظمة الخاصة، المعروفون والمسجلون عند السلطة الاستعمارية على جهل بالتاريخ المختار والنتيجة الخطيرة القابلة للتنبؤ : تم اعتقالهم كلهم في أول نوفمبر وعذبوا وأدينوا. وبعد أن قضوا مدة سجنهم التحقوا بالجبل حيث سيتعرض بعض منهم لنفس مصير عبان رمضان، ويقال لنا بأنهم سقطوا في ساحة الشرف والمعنيون هنا هم بخوش عبد السلام، زيغت اسماعين، زادي الشريف، بوعلي سعيد وملاح رشيد.

تلك هي الحالة النفسية التي انطلقت فيها الثورة والتي لحسن الحظ تم إعادة النظر فيها وتصحيحها نوعا ما في مؤتمر الصومام. وهو مؤتمر كان يمكن أن يتم في الجزائر بكل اطمئنان للمرور إلى عمل موزون، مفكر فيه وجيد التنظيم قبل نهاية سنة 1954 من طرف المسؤولين المعنيين والمعروفين والمختارين بحرية.

لكن على الرغم من كل النقائص وكل الإخلالات كنا مقتنعين بأن العمل، وإن كان قد انطلق، لايمكن أن يفشل. كان الشعب يريده وأصبح لايؤمن بالعمل

السياسي وكان في حالة ملل من تحمل القمع والمهانة، كان يطلب منا السلاح من أجل الثورة. وهذا ماجعل بن مهيدي يقول : ارموا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب. وبالفعل احتضنها الشعب على طريقته. والنتيجة هي هنا مع كل شيء : الاستقلال المسترجع بفضل تضحيات جسام لشعب بأكمله، هذا الشعب الرائع الذي خُيب أمله في الأخير وأحس أن انتصاره افتك منه نتيجة خيانة بعض قادته المهتمين أساسا بالركض وراء السلطة.

الحركة الوطنية ومساهمة نجم شمال إفريقيا

« دعوهم يقولون، دعوهم يوبخونكم ويدينونكم ويسجنونكم، اسمحوا أن يشنقوكم ولكن انشروا فكرتكم، ليس ذلك حق بل واجب وواجب محتوم لكل من له فكرة أن ينتجها وأن يضعها في المصلحة العامة. الحقيقة كلها للجميع، الذي تعرفونه مفيد، وجدير بأن يعرف من قبل كل واحد، لايمكن أن يسمح لكم الضمير أن تكتموه. أن تتكلم فذلك جيد وأن تكتب فذاك أفضل. وأن تطبع فذلك شيء رائع »

ب. ل. كوريي (1772 ـ 1885)

بعد أكثر من أربعين سنة من الاستقلال، الذي جاء ثمرة لحرب ضروس، ودُفِع فيه ثمن باهظ، ماتزال الجزائر وشعبها عرضة للحسرة والخيبة. فالبؤس يغزو يوما بعد يوم مساحات أوسع ومواطنين أكثر، فقر ملفت مع جحافل المتسولين والمشردين والمجانين، والعجز أمام الكوارث الطبيعية، التراجع الثقافي، البطالة والانحراف. إنها الحياة الضنكة بكل واقعها المؤسف.

كيف وصلنا إلى هذا؟ كيف يُمكن التحريف إلى هذا الحد لتضحيات جسام وآمال عدة أجيال من الجزائريين التزموا بالنضال منذ 1919 إلى 1962 تحت راية الحركة الوطنية من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني مرورا بحزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية؟ كيف يمكن أن نفسر هذا العدد الكبير من أبنائنا الذين لايحلمون إلا بالفرار من البلاد بكل الوسائل؛ وبالنسبة لبعضهم الانخراط في الانحراف الإسلاموي لكي يَقتلون ويُقتلون بدون سبب. أين هي أحلام الكرامة

والعدالة الاجتماعية والحرية؟ كيف يمكن أيضا تفسير كوننا في المؤخرة في مجال التنمية والتقدم عموما في حين أن أمما أخرى، أقل حظوة في الطبيعة والبشر، لها مكان مشرف وهي تتقدم باستمرار؟

إنها أسئلة تحثنا على البحث عن مصدر المرض الذي ينخر البلاد وعن طريقة معالجته.

عن تلك الأسئلة وأخرى أظن أنه لايمكن إعطاء جواب منطقي وملائم دون أن ننظر إلى ماضينا وإلى سلوكنا مع التذكير بصفة مختصرة بتاريخ الحركة الوطنية.

مع العلم أن بدايات الحركة الوطنية انطلقت مع الأمير خالد من 1919 إلى 1924. والآثار التي تركتها حركته على المهجر بفرنسا وعلى الجزائر بالخصوص أحدثت حماسا كبيرا عند الشعب الجزائري وهو السبب الذي أدى إلى نفي الأمير إلى الإسكندرية وقمع حركته بعنف من طرف السلطة الاستعمارية بالجزائر. وهو ما جعل الحزب الشيوعي الفرنسي يعمل على استمالة هذه الحركة كي يستخدمها في صالحه سنة 1926 بخلق فرع تحت إشراف حزبه بتسمية غريبة : نجم شمال إفريقيا (الذي يوحي إلى جمعية رياضية أو خيرية) كان كل أعضائه المؤسسين من الجزائريين المغتربين مشكلين اجتماعيا « ما تحت البروليتاريا » بدون رصيد ثقافي كاف، وعلى رأسه مصالي الحاج الذي كان عضوا دائما في الحزب الشيوعي والذي اختير بسبب هيبته الكاريزماتية وشجاعته المثالية وكونه محركا شعبويا محبوبا من طرف المقربين. في جمعيتهم، تفطن جزائريو النجم إلى وضعيتهم الغامضة كمغرر بهم. وكان رد فعلهم إعطاء حركتهم توجها سياسيا خارج إشراف الحزب الشيوعي الجزائري، وأدى هذا العمل إلى قطيعة كلية. وبعد أن حل النجم من طرف السلطة أعيد إنشاؤه تحت اسم النجم المجيد، والذي حل بدوره بعد وقت قصير من ذلك. وفي آخر المطاف وبعد 11 سنة من النشاط السياسي في أرض أجنبية ودون إعطاء أهمية حقيقية بالنسبة للبلاد قرر قادته إنشاء حزب سياسي وغرسه في الوطن الأم : الجزائر وإعطائه اسم حزب الشعب الجزائري في 11 مارس 1937.

وقد تم حله عند إعلان الحرب العالمية الثانية في 1939 واعتقل قادته بعد مظاهرات 8 ماي 1945 التي أدت إلى ما يقارب 45 ألف ضحية وأكثر من 100 ألف اعتقال.

واصل الحزب نشاطه في السرية إلى غاية 1947 حيث تقدم للانتخابات التشريعية تحت اسم الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية مع إقرار مواصلة النشاط السري عن طريق إنشاء المنظمة الخاصة شبه العسكرية. حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية الذي أعطى لنفسه صورة حداثية في الشكل وفي هياكله وفي هيئاته القيادية (المكتب السياسي واللجنة المركزية) قام بالفعل بنشاط سياسي على عدة مستويات ولكن بنفس العادات وردود الأفعال السلبية الموروثة عن نجم شمال إفريقيا : عبادة القائد، غياب قواعد الديمقراطية (يتم تسلق سلم المستويات عن طريق التعيين أو عن طريق التعيين الذاتي)، وتحديد واضح لسياسته على المستويات الايديولوجية والنظرية والاستراتيجية (عن أي وطنية نتكلم؟ أي توجه ؟ أي عمل ؟ أي تنظيم؟ ...إلخ).

دام ذلك إلى غاية مؤتمر 1953 الذي أحدث أخيرا تجديدات وتصحيحات تتعلق بنقائص عرفها الحزب وأعاقت مسيرته.

وبالتحديد، فنتيجة لهذه التغييرات التي جعلت من مصالي ـ الغاضب لأن رجال ثقته أزيحوا من هيئات القرار ورفض طلبه في الرئاسة مدى الحياة ـ يخاطر بتحطيم الحزب عن طريق إرسال رسالة إلى مناضلي القاعدة متهما الأعضاء القياديين واللجنة المركزية بالخيانة، ويتهمه هؤلاء من جانبهم بالديكتاتورية وبجنون العظمة. شكلت الوضعية أزمة خطيرة أدت بالحزب إلى الانفجار الداخلي وتمزقه بين عدة تيارات (مصاليين، مركزيين وحياديين) نظرا لعجز قادته وللحيرة الكبرى عند مناضليه.

إنها نتائج لسلسلة متتابعة من الأزمات داخل الحزب والتي ترجع إلى أصوله الشعبوية والثورية على نحو زائف وإلى احتكاكات بين قائده مصالي والقادة الآخرين منذ إنشائه في سنوات العشرينيات :

- أزمة داخل حزب الشعب الجزائري بين مصالي ولامين دباغين
- أزمة داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية بين اللجنة المركزية والبربريين « المدافعين عن الثقافة الأمازيغية ».
- أزمة داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية بين مصالي واللجنة المركزية.
- أزمة داخل مجموعة الـ 21 وبين قيادتها المعينة ذاتيا ومجموعة قسنطينة.

في هذا الجو المتميز بأزمة ثقة تشكلت اللجنة الثورية للوحدة والعمل، التي ستكلل مهمتها التصالحية بالفشل نتيجة للرفض القاطع لمصالي. في ذلك الوضع قررت بعض العناصر من المنظمة الخاصة اختارهم بوضياف خلال اجتماع الـ 21 في جوان 1954 المرور إلى العمل المسلح من أجل التحرير الوطني. وهو قرار جد ضروري بالنسبة لمسؤولي مجموعة قسنطينة الذين كانوا يحبذون أن يتم هذا الاجتماع بين مسؤولين على المستوى الوطني والجهوي ولكن للأسف! فقد تم ذلك بصفة متسرعة وفي الغموض دون تشاور أو تحضير جدي، وكأن ذلك جاء نتيجة كدر أو يأس. « مادام قادتنا غير متفقين بينهم سنجبرهم بهذه الطريقة : انديروها، نطرطقوها، اللي مشى مشى واللي مامشاش يروح للحبس ».

تلك هي الحالة النفسية التي تم فيها إطلاق العمل التاريخي الكبير. ولتصوير هذا القرار فهناك عبارة بن مهيدي المعروفة : « ارموا الثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب »، كانت حقيقة تعبر عن واقع. وبالفعل التقطها الشعب بيده على طريقته لأنه كان بدون قادته المبادرين الغائبين في الخارج والمتنازعين بينهم لأسباب زعاموية.

من الواضح أن الشعب الجزائري الذي يكمن انعتاقه في قدرته الخارقة واللا متناهية في المقاومة، كان بحاجة خاصة لقائد له الميزات الضرورية، دليل محرك وموحد يعطي تتمة لحركة الأمير خالد في الجزائر في تلك المرحلة. لكن للأسف الظهور السلبي لنجم شمال إفريقيا جاء ليشوش على مسار التاريخ بسياسته المتطرفة المبنية على خطاب شعبوي أكثر راديكالية من القادة الآخرين والحركات الناشئة في الجزائر. كانت هذه الأخيرة تتميز بقدرات حقيقية للتطور نحو الاستقلال والتي كان يمكنها أن تسهل إنجاز حركة وحدة وطنية من أجل العمل المشترك على شاكلة أحباب البيان والحرية في سنة 1945 وفي ظروف أحسن وبالتأكيد بنتائج أحسن لصالح البلاد. من هذه الوقائع التي تعود للتاريخ، والتوضيح الذي أضفيه عليها تُستنبَط هذه الملاحظة : الشعبوية ونزعة الزعامة كانت مصدر انحرافات الحركة الوطنية ونتائجها التراجيدية التي مازالت تبعاتها إلى اليوم. نعم إنها هاذين المرضين : الشعبوية والزعاموية التي مازالت تشد البلاد إلى الوراء، وأنتجت الوصولية والتحكم في السلطة الفعلية من

طرف الانتهازيين والفارين من الجيش الاستعماري الذين استحوذوا على جيش التحرير الوطني وهيئات الثورة في ظل استمرار الأزمات وخاصة، وهي أخطرها، تلك التي ميزت مؤتمر طرابلس 1962 التي حركها وأججها بن بلة بغاية الاستيلاء على السلطة. في الأخير نؤكد أن الذي نقص الجزائر هو حركة ثورية حقيقية، وقادة متأصلون من ذوي البعد الكبير كالذي عرفته فيتنام مع هوشي منه وجنوب إفريقيا مع مانديلا.

لايمكن اليوم تجاوز هذا الوضع المؤسف للجزائر المثقلة بعبء ماضيها. لايمكن ذلك إلا ببروز رجال جدد في قطيعة راديكالية مع نظام منحرف مسؤول على كل الويلات الوطنية منذ زمن طويل. رجال، تكون سماتهم الأولى الوطنية والذكاء والتفاني؛ رجال جدد سيكونون بالتأكيد حاملي الأمل.

الوطن 15 جانفي 2006

الجزائر 11 أفريل 1988

رسالة مفتوحة إلى السيد رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية والأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني الشاذلي بن جديد

فخامة سيادة رئيس الجمهورية الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني والأخ العزيز،

اسمحوا لمناضل قديم بدأ يعمل في خدمة استقلال الجزائر سنة 1936 عن عمر 15 سنة والذي أعطى كالكثير من الآخرين أحسن ماعنده من أجل أن تحيى الجزائر حرة، أن أتوجه إليكم برسالتي هذه :

حضرت آخر مؤتمر في ديسمبر 1985 ولم أتمكن، كما كنت أريد، من التدخل في النقاش لكي أعبر وأقول كل انشغالاتي بخصوص مستقبل بلادنا، هذا لأنني رأيت أن الجو لم يكن مواتيا من جهة ولكوني لم أكن أريد أن أبدو مستفزا أو مجنونا أو أُدمج مع معارضة ما من جهة أخرى.

ذلك هو السبب الذي جعلني أرسل لفخامتكم برسالتين مؤرختين في 30 جانفي و15 ديسمبر 1986 أطلب مقابلتكم لأطرح عليكم رأيي في الموضوع ولكن عبثا حاولت.

بعد سنتين ونصف من الانتظار وبالرغم من نداءاتي المتكررة عند أمانة الرئاسة لم أتلق أي جواب على طلبي. لهذا أتوجه إليكم سيدي الرئيس عشية المؤتمر القادم لأقول لكم الضرورة الملحة والمطلقة في ترقية ترسيخ ديمقراطية كاملة وشاملة في

بلادنا إذا كنا لا نريد أن نخون مرة أخرى وإلى الأبد الأمل الذي أوجده حدث وصولكم إلى السلطة.

في ديسمبر 1985 ناقش المؤتمر مراجعة الميثاق الوطني لسنة 1976؛ واليوم، تبقى المشاكل ذات الطابع الهيكلي والاقتصادي والمالي والإداري المتعلقة بالزراعة والصناعة هي الموضوع الأهم لهذا المؤتمر. في حين أنه منذ 26 سنة تتالت عدة مؤتمرات بينما مافتئت الأمراض التي تمس المجتمع ومجمل حياة البلاد تتفاقم. بالطبع، هناك تقدم أنجز في عدة مجالات ولكنه لم يتم دون أضرار كبيرة، وبإشراكنا الكامل لكل المواطنين بدون أي قيد وبتأييدهم المبني على الثقة المسترجعة يمكننا أن نفعل أحسن بكثير.

يكفي إذا أن نرجع إلى مخيلتنا الخاصة آخذين بعين الاعتبار تجربة ذلك الكم من سنوات الكفاح وثقافتنا الخاصة وتقاليدنا بدون أن نكون في حاجة إلى أن نأخذ مرجعا من أي نظام أجنبي مناف لطبيعتنا.

عشية انطلاق الثورة المسلحة كان من الضروري مثلا فرض حزب واحد (حزب جبهة التحرير الوطني) يجمع كل الحركات السياسية الوطنية الموجودة كإجراء استراتيجي؛ هذا ماسمح لنا بدمج عملنا في الكفاح ضد العدو لنضمن الانتصار النهائي.

عند استرجاع الاستقلال لم تبق حجة لبقاء جبهة التحرير الوطني؛ وجاء الدليل على ذلك ابتداء من الأيام الأولى حيث انكسر الإجماع الوطني نتيجة أزمة ثقة تعود أصولها للبعيد.

وبالتالي فمن غير الطبيعي بالنسبة إلينا أن نستمر في نفي البداهة ومواصلة حمل، على شق الأنفس، وبوسائل كبيرة حزب لم يبق له رابط حقيقي مع الشعب؛ ولايمكن أن يكون له ذلك لأنه لايتحاور سوى مع نفسه عبر هيئات من اختراعه: مجمل النقابات والتنظيمات وجمعيات جماهيرية تدور في فلكه مشكلة مجرة لعالم آخر بعيد عن واقع البلاد وتستمر بإعلان انتمائها لأنهج واختيارات أساسية قررها مؤتمر طرابلس سيء الذكر. خلاله وفي الظروف التي نعرفها تجاوزت التيارات بعضها بعضا في الديماغوجية مستعملة كل الوسائل الممكنة لتكون في الصف الأول

قصد الاستيلاء على السلطة. وهو ما أوصلنا للأسف إلى أول انقلاب لذلك الذي يصر إلى اليوم على تعليمنا الديمقراطية.

يشبه نظامنا الحالي للحزب الأوحد بطريقة غريبة في هياكله التنظيمية والإدارية نظاما معروفا جدا : كان يرتكز على تاريخ هؤلاء الشعوب التي كان لها رد فعل شرعي ضد البؤس والظلم الذي كان يفرضه عليها إقطاع منبعث منها، مستغل بصورة بشعة ودون شفقة. ونتجت من هذه الوضعية عندها، كرد فعل، ثورة فرضت ديكتاتورية البروليتاريا المؤدية إلى صراع الطبقات.

أما نحن، فتاريخنا مختلف جدا؛ عانى شعبنا مائة وثلاثين سنة من الاستعمار تحت نير عدو أجنبي احتل بلادنا نتيجة حرب طويلة وبعد عدة ثورات تم قمعها بالدم. بلادنا حرة اليوم بفضل الكفاح الذي قام به كل الشعب الجزائري بكل فئاته الاجتماعية : رجال ونساء، كبار وصغار دون استثناء. لم تسلم أية عائلة جزائرية من آثار الحرب أو لم تعط نصيبها كمساهمة.

ما الذي يجمع إذا تجربتنا وتلك البلدان حتى نأخذها كنموذج؟

لقد تبنينا نظامهم وأخذنا على عاتقنا كل طرق عيشهم بكل المساوئ التي يحتويها وهو نظام أصبح أصحابه يناقشون اليوم كيف يخرجون منه. ونحن نريد أن ندخل فيه بشكل أعمق.

لقد حان الوقت لكي نثب بشجاعة وثقة في أنفسنا وفي العبقرية الخلاقة لشعبنا التواق إلى العدالة والحرية والكرامة والذي عانى كثيرا. بثقته المسترجعة ومساهمته السخية والتلقائية سنحقق حلم شهدائنا الذي يتمثل في مجتمع سعيد في جزائر يطيب فيها العيش للجميع.

ولكي نسترجع ثقة شعبنا ليس هناك غير طريق الديمقراطية التي لها مصداقية وتحمل الأمل. الذي يخشى الديمقراطية يخشى حكم الشعب. لماذا أصبحت إذا مقولة من الشعب وإلى الشعب مجرد شعار؟ ولماذا لا يكون هذا المؤتمر، هذه المرة، من أجل إرساء الديمقراطية؟

لكل هذه الأسباب يبدو لي من فائق الحكمة وضروري جدا بلورة مشروع ميثاق من أجل إرساء وممارسة والدفاع عن الديمقراطية؛ ميثاق تعلن فيه قواعد أخلاقيات

السلوك السياسي بالنسبة للمواطنين ومجمل الهيئة السياسية. ويمكن لهذه الأخيرة أن تتشكل من ثلاثة أحزاب تبرز عبر انتخابات حرة في كل البلاد لمدة عشر سنوات مثلا، وفيما بعد مع استعمال القواعد الديمقراطية المكتسبة يمكن للشعب أن يستشار عن طريق استفتاء من أجل إعادة تأكيد القاعدة التي سنتها الأحزاب الثلاث أو لإقرار قاعدة جديدة.

في صياغة قواعد الأخلاقيات سأقترح بعض التوصيات التي يمكن أن تقدم :

1 ـ النبذ القاطع لاستعمال الكذب والغش والقوة لحل مشاكل المجتمع.

2 ـ أن تكون لنا مناعة ضد عوامل التفرقة المتمثلة في الأصولية والجهوية التي لايمكن أن تؤدي بنا إلا إلى الحرب الأهلية والفوضى وعدم استقرار الأمة.

وهكذا دواليك لتوصيات أخرى.

ولهذا الغرض سيكون من الضروري إنشاء هيئة مؤسساتية مشكلة من عدد من الشخصيات عالية التأهيل بمعرفتهم وميزاتهم الأخلاقية غير المشكوك فيهم والمتفانين والنزهاء. تكون مهمتهم الوحيدة هي السهر بصرامة على احترام القاعدة الأخلاقية المسنة والتي يمكن أن يساهموا فيها ويثرونها كحراس لها.

وهكذا عن طريق سير هذه الديمقراطية، لا يتبقى لنا أي درس نتلقاه من أي طرف كان أو من أي نظام أجنبي كان، وسنبرز للعالم أن الجزائر قادرة على ابتكار ديمقراطية جديرة بأن تقدم كمثال.

في انتظار أول نوفمبر جديد في كنف الوحدة والثقة المسترجعة أرجو أن تتقبلوا سيادة رئيس الجمهورية والأمين العام لجبهة التحرير الوطني مشاعري الأخوية وموفور إخلاصي واحترامي العميق.

ملاحظة : لن تنشر هذه الرسالة قبل أن تصل إلى معالي المرسل إليه وفي ظرف محدود سيتم تسليمها للصحافة للنشر حتى يمكن أن تشكل أساسا لفتح نقاشات بين المؤتمرين القادمين.

بارن في 21 ماي 1976

رسالة متعلقة بالنقاش حول الميثاق الوطني لسنة 1976

بقلم محمد مشاطي

إلى السيد وزير الشؤون الخارجية ـ الأمانة العامة ـ الجزائر

كوني لم أتمكن من حضور النقاشات التي دارت على مستوى سفارتنا بسبب المرض وظنا مني أنه من واجبي أن أطلعكم على أرائي في الموضوع لي الشرف أن أطلب منكم أن تأخذوا بعين الاعتبار مايلي :

موافق على الاشتراكية كإيديولوجية لترقية وتحويل المجتمع في اتجاه التقدم والأنسنة. لهذا أؤيد مشروع الميثاق الوطني وأصفق بكل قواي لفصله الثاني : الحزب والدولة، والذي أعتبره كالجزء الأساسي من الكتيب.

تبقى معرفة من الذي يقوم بتطبيق هذه النصوص؟ يجب أن يكون اختيار الرجال موافقا بالضرورة للسياسة المحددة.

غير أنه لدى قراءة هذا الميثاق (لايمكننا أن لانفكر : هذا أجمل من أن يكون حقيقة، سيكون ذلك رائعا تقريبا) يبقى شيء غير مؤكد والمتمثل في تطبيقه لأن سوابق سيئة ماتزال في الذاكرة لكي تثبط الحماس .

على المستوى النظري كل شيء جيد، على المستوى التطبيقي ستكون الأمور بالطبع مختلفة تماما إذا لم نحترس ككل مرة سيكون هناك فجوة بين الرغبات والواقع.

وبالفعل لو تفحصنا كل النصوص السابقة (مواثيق، إعلانات، قوانين ونظم أخرى) لايمكننا سوى أن نكون مرتابين بخصوص النتائج التي ستعرفها هذه الأخيرة، وسنلاحظ بحزن الهوة العميقة بين النظرية والتطبيق.

وبالفعل ماذا بقي من هذه النصوص؟ كلمات. كلمات فقدت كل معناها وأصبح كل شيء مشكوك فيه منذ ذلك وهو السبب الذي يجعل كثير من الناس لايؤمنون بشيء.

هل تم في يوم ما البحث عن أسباب هذه الهوة بين النظرية والتطبيق؟ هل الأسباب هي نتيجة لقلة قناعة أم لعدم قدرة الرجال المسؤولين المكلفين بتطبيق هذه النصوص؟

عندما نعلم أن اختيار الرجال كان دوما سبب النجاح أو الفشل. كيف تم العمل حتى يومنا هذا للقيام بهذا الاختيار؟ وكيف علينا أن نعمل اليوم مستخلصين العبر من تجربة الماضي؟

وللإجابة على السؤال الأخير الذي هو مفتاح المشكل، يخطر سؤالان أساسيان على البال :

1 ـ من هم الرجال الذين يتم اختيارهم لتطبيق هذه النصوص الجديدة؟

2 ـ من هو الشخص المؤهل لكي يقترح المرشحين الذين سيختارون لتطبيق هذه النصوص؟

يقال لنا : الحزب. (في مقدمة الفصل الثاني من الميثاق)

أي مصداقية يمكن أن يمنحها الشعب لمرشحين من طرف حزب، الذي في شكله الحالي، لايلبي الشروط الأساسية المحددة في الفصل الثاني للقيام بالدور الطليعي للثورة؟

لهذا أنا غير متفق مع الاقتراحات التي يمكن أن يقدمها الحزب في هذه الظروف ومادام أنه لم يصل مرحلة النضج ليقوم بهذا الدور كاملا كما هو محدد جيدا في الميثاق.

لهذه الغاية أقترح أن كل مواطن ومواطنة يتمتع بحقوقه يمكن أن يقدم بصفة حرة ترشحه لكل الانتخابات.

أما الحزب وفي انتظار إعادة بعثه من طرف مؤتمر ديمقراطي ومفتوح بصفة واسعة يمكنه فقط إعطاء توصية إلى مناضليه لكي يصوتوا مع أو ضد هذا المرشح الحر. وفي هذه الحالة عليه أن يشرح علنيا سبب خلافه ويسمح لهذا المرشح بالدفاع عن نفسه.

وعلى كل حال أظن أنني قد ساهمت بحصتي المتواضعة في هذا النقاش الأساسي لفهم المشاكل الحقيقية للبلاد.

الجزائر 11 نوفمبر 1990

مداخلة في مؤتمر قدماء المجاهدين

أيها الإخوة المجاهدون، أيتها الأخوات المجاهدات

إننا نجتمع اليوم في ظرف مختلف تماما عن الذي كان يسود بلادنا عند نهاية حرب التحرير الوطني.

بدل الحماس والعزة بتحرير البلاد مقابل تضحيات جسام والقناعة بأن عهدا جديدا سيفتح لشعبنا عهد الحرية والعدالة ووحدة الشعب والرفاه الممكن بفضل المجهود المشترك، حلّ عند شعبنا التشاؤم والشك بخصوص إمكانياتنا في تحسين وضعية بلادنا والقناعة بأن ليس هناك ما يحرك القيادة غير مصالحها الشخصية.

لهذا يمكننا أن نرتاح اليوم لإمكانية عقد جمعية تمثل أولئك الذين كافحوا من أجل تحرير البلاد، لايمكننا إلا أن نكون منشغلين وممتلئين قلقا جراء وضعية الأزمة العامة التي تعيشها بلادنا.

أمام هذه الأزمة العامة ماذا علينا أن نفعل؟ لقد سخرنا كل شبابنا لخدمة تحرير البلاد فقط، الذي سقط من أجله مئات الآلاف من أهلنا.

ولأننا نعتقد أن الأزمة هي أزمة أخلاقية قبل كل شيء يبدو لنا أن دورنا لايمكن أن يطبق إلا إذا طهرنا صفوفنا وقدمنا وجها جديدا للشعب الذي ينظر إلينا ويحكم علينا.

وإذا كانت صورة المجاهد قد اختلت عند جزء من شبابنا وشعبنا فهذا يرجع إلى أن الكثير منا من الذين شاركوا في صراعات العصب التي سهلت بروز قوة انتهازية. وعلى الخصوص أيضا كثير من الذين يديرون ظهورهم للطابع الشعبي لجبهة التحرير

الوطني وجيش التحرير الوطني ـ لم يكن لهم من هدف منذ 1962 سوى المتاجرة بمشاركتهم في حرب التحرير حيث أصبح بعضهم من أصحاب المليارات .

لهذا نرى أن كل أعضاء القيادة التي سيتم انتخابها لتمثيلنا يجب أن يطرح عليهم السؤال التالي ويعطى الجواب العلني عنه : من أين لك هذا؟

إننا مقتنعون أنه لايمكن لغير أولئك الذين كانت أملاكهم ثمرة عمل شرعي أن يلعبوا دورا على رأس منظمتنا.

بالقيام بهذا النقد الذاتي وهذا التطهير سنسمح لمنظمتنا أن تضطلع بالوظيفة الأخلاقية التي من حقها أن تطمح إليها بسبب الدور الحاسم الذي أداه أعضاؤها في استرجاع سيادتنا الوطنية.

إذا كان بضع مئات من الرجال الذين فجروا الكفاح المسلح في أول نوفمبر تمكنوا بصفة سريعة أن يجمعوا حولهم كل شعبنا فهذا راجع إلى نزاهتهم وروح تضحيتهم أي بكلمة بسيطة يعود ذلك إلى خصالهم الأخلاقية.

وهكذا، فكما تطلب منا ماضينا، نريد أن نلعب دورا حاسما في إعادة تجديد بلادنا، علينا أن نوحد صفوفنا حول قيادة لايمكن أن يطعن فيها أخلاقيا والتي يمكنها أن تتكلم بكل حرية في المشاكل الخطيرة التي تواجهها البلاد والتي بإمكانها أن تدين أية قوة سواء كانت من السلطة أو من خارجها، التي تشكل خطرا على إعادة تجديد بلادنا.

وبالعمل بهذه الطريقة يمكننا أن نطالب بأن يطرح على كل مسؤولي البلاد وفي مقدمتهم أعضاء قيادتها السياسية السؤال الأساسي : « من أين لك هذا؟ ».

لايمكن تحقيق ذلك دون إدانة الفساد على كل المستويات والمطالبة بعقوبات مثالية ضد كل المرتشين حينها سيمكننا رفع الحاجز الأول الذي يعترض استعادة الثقة الشعبية.

لايمكن التصدي لهذا الشر الذي زعزع استقرار مجتمعنا إلا بالمواجهة المفتوحة، حتى تسترجع منظمتنا رصيدها الأخلاقي والعمل على خلق التجمع الضروري لكل الأحزاب السياسية قصد إيجاد إجماع يسمح لبلادنا بأن تستعيد سيرها نحو الأمام في أحسن الظروف.

محمد مشاطي

تحليل المذكرة

تعطيني دراسة هذه الوثيقة الفرصة لإبداء بعض الملاحظات والاقتراحات بخصوص الفصول التالية

الفصل 1 : المقدمة.

أصول الأزمة ونتائجها

تعيش الجزائر حاليا أزمة خطيرة أدت أصولها البعيدة إلى خلق ضرر جسيم وآلام مبرحة داخل صفوف الشعب. إن أصل الداء معروف جيدا ويجب أن يسمى بدون لف ولا دوران. كما قيل ذلك كثيرا، إنها أزمة متعددة الجوانب بالطبع ولكنها قبل كل شيء سياسية، أي أنها أزمة ثقة كاملة عند الشعب الذي أصبح لا يؤمن بشيء : لا في المؤسسات التي فرضت عليه بدون رضاه ولا في قادته الذين لم يكونوا أبدا في مستوى الأحداث المعيشة. بالفعل رجال متعطشون للسلطة مستندون إلى الشعبوية والديماغوجية أفسدوا على الجزائر عدة فرص للوصول إلى مستوى إرساء الديمقراطية التي كان الشعب الجزائري المتعطش للعدالة والحرية مستعدا لممارستها والدفاع عنها بكرامة.

إنه وضع قائم في الأصل، وهو نتاج لسلسلة من الانقلابات كانت نقطة انطلاقها المؤتمر المشؤوم الشهير للمجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس الذي أطلق العنان للأهواء ليس دفاعا عن أفكار سخية جديرة بالثناء ولكن من أجل صراعات شخصية وعصب. عند الاستقلال كان انقلاب بن بلة على الحكومة المؤقتة للجمهورية

الجزائرية ثم الإطاحة بهذا الرئيس الأول بفعل انقلاب بومدين في 19 جوان 1965 وأخيرا الإبقاء على بن جديد بعد تمرد أكتوبر 1988.

عشنا منذ 1962 في انعدام كامل للشرعية في المؤسسات، وهو ما يفسر الفوضى التي سادت شيئا فشيئا، وتعسفات السلطة من كل الأنواع وتصفيات الحسابات بين العصب التي استمرت ضمن نظام شمولي منع الشعب من التعبير والممارسة العادية لتسيير شؤون بلاده.

اليوم، ولأول مرة في تاريخه، عبر الشعب الجزائري بحرية وانتخب رئيسا من بين الذين تقدموا إليه في 16 نوفمبر 1995. وهكذا، فإن المسار العادي من أجل إرساء ديمقراطية حقيقية قد انطلق لحسن الحظ. وإنه لمن واجب كل الجزائريين والجزائريات المتعطشين للسلم وحب هذه البلاد أن يساعدوا في تحقيق هذه الغاية التي قدمت لها تضحيات جمة حتى تعيش الجزائر حرة وسعيدة.

لهذا ونظرا للتاريخ المعاش والتجارب قبل وبعد 5 أكتوبر 1988 يتعين العمل في الشفافية والوفاء في كل الظروف، وأن تكون هناك قطيعة واضحة مع أساليب النظام البائد الذي استعمل الكذب والتزوير والمناورات من كل نوع جعل الجزائر تخسر أحسن المواعيد مع التاريخ لكي تتقدم نحو الأفضل.

إن انتخابات 1990 و1991 هما مثال ملموس لانحراف هذا النظام. لذلك وقصد تفادي فوضى متمثلة في عديد من الأحزاب الوهمية التي تزيد في تعقيد الوضع من جهة وقصد جعل البلاد تستفيد من فترة راحة ليتسنى لها الاضطلاع بثبات بإعادة البناء والقيام بعمل ملائم لحل الأزمة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية السائدة من جهة أخرى أقترح :

أ ـ حل كل الأحزاب السياسية الموجودة لصالح ثلاث تجمعات تعددية تعبر في داخلها مختلف التيارات أو الحساسيات التي تشكل الصورة المستقبلية للمجتمع المدني والهيئة السياسية للبلاد.

ب ـ ستكون لهذه التجمعات الثلاثة مهمة يكلفها بها مؤتمر الوفاق الوطني والمتمثلة في تنظيم انتخاب مجلس وطني مؤقت ينتخب لعهدة محدودة بثلاث سنوات غير قابلة للتجديد[30] قصد :

1 ـ تقديم مشروع لمراجعة الدستور الذي سيقدم للاستفتاء

2 ـ القيام بمراجعة قانون الأحزاب السياسية.

3 ـ القيام بمراجعة قانون الانتخاب

4 ـ القيام باستكمال المسار الديمقراطي عن طريق انتخاب المجلس الوطني القادم الذي سيتشكل من منتخبين جدد قادمين من الأحزاب السياسية المشكلة حديثا.

5 ـ ينتخب رئيس الجمهورية من طرف الشعب السيد، وهو بالتالي رئيس كل الجزائريين، وبهذا الصدد يتعين عليه إجباريا أن يستقيل من الحزب السياسي الذي ينتمي إليه ومن كل مؤسسة أخرى عامة أو خاصة لا تدخل في إطار مهامه الموكلة إليه من الدستور وذلك كي يكون فوق الجميع وخاضعا للقانون كالجميع.

الفصل 2 : مراجعة الدستور.

أ . التعديلات المتعلقة بالديباجة

ـ هناك مفهومان يجب أخذهما بعين الاعتبار وفصلهما بصفة واضحة عن بعضهما بعضا. هناك مفهوم الهوية العرقية التي تستند إلى الدين واللغة والأصول؛ واتخاذها كمرجع يؤدي بالضرورة إلى انحرافات خطيرة وسجالات عقيمة. إنها حالة فينا، كأنك تقتحم بابا مفتوحا. وهناك مفهوم الهوية الوطنية الذي مرجعه المواطنة، والذي يتطلب أن يعرّف بوضوح من طرف قانونيين مختصين في المجال بناء على مجمل معطيات معروفة عبر العالم.

ـ وهناك أيضا العنف، إنه لايمكن أبدا أن يحل مشاكل المجتمع ويجب أن يُرفض ويدان بصرامة.

ب . المتعلق بالمسائل الأساسية

نقطة 21 و22 : متفق مع المشروع المقدم.

30 ـ خلال هذه المرحلة سيكون لهذه الأحزاب السياسية الوقت الضروري الكافي لكي تعيد تشكيلها وتنتظم بتوافق تام مع القانون الجديد حول الأحزاب السياسية.

نقطة 23 : يجب أن تكرس المواطنة بدون تمييز عرقي أو ديني.

جـ : المتعلق بسلطة رئيس الجمهورية.

متفق مع المشروع

د. المتعلق بتنظيم السلطة التنفيذية.

متفق مع المشروع

هـ . المتعلق بالسلطة التشريعية :

متفق مع المشروع

و . المتعلق بالسلطة القضائية :

متفق مع المشروع

ز. تعديلات متعلقة باقتراحات أخرى

نقطة 34 : متفق مع الموضوع.

نقطة 35 : أخذ رأي مختص في المجال

نقطة36 : إرساء قواعد أخلاقيات السلوك بخصوص الأحزاب السياسية وأيضا المواطنين (أنظر ب : نقطة 22 أيضا). 37 و38 : موافق.

نقطة 39 : متفق مع المشروع.

الفصل 3 : مراجعة القانون الخاص بالجمعيات ذات الطابع السياسي.

نقطة 40 : متفق مع الموضوع.

نقطة 41 : توخي الحذر مع طبيعة القانون والانحرافات الناتجة عن عدم التدقيق.

نقطة 42 و43 و44 : متفق مع المشروع.

1. عن إنشاء حزب سياسي

نقطة 45 ويتبع حتى 49 : متفق مع الموضوع.

ب . تسيير الأحزاب السياسية

نقطة من 50 إلى 57 :متفق مع الموضوع

نقطة 58 : (انظر اقتراحي)

بخصوص القانون الانتخابي

نقطة من 59 إلى 70 : متفق مع الموضوع
مسعى عام لندوة من أجل الوفاق الوطني
نقطة 74 : (أنظر تحليلي في المقدمة)
نقاط من 75 إلى 80 : متفق مع الموضوع
على المستوى العملي
النقاط 81 إلى 85 : متفق مع الموضوع
الرزنامة المقترحة لاستكمال المسار الانتخابي
النقاط من 86 إلى 90

ملاحظات نهائية

نقطة 91 (أنظر اقتراحي)
النقاط من 92 إلى 97 : متفق مع الموضوع
الجزائر في 1 جوان 1996

ملاحظة :

• خلال هذه المرحلة سيكون للأحزاب السياسية الوقت الضروري والكافي لإعادة تشكيلها وإعادة تنظيمها بتوافق كامل مع القانون الجديد الخاص بالأحزاب السياسية.

الحوار الوطني

استقبل رئيس الجمهورية السادة محمد مشاطي، عبد الحق بن حمودة، عبد القادر النعيمي والطاهر بن بعيبش.

مواصلا المحادثات التي يجريها حاليا في إطار الدعوة المرسلة في 30 مارس الماضي إلى الشخصيات الوطنية وقادة الأحزاب السياسية والمنظمات الوطنية لغرض القيام بتبادل الآراء المتعلق بترقية الحوار الوطني.

استقبل رئيس الجمهورية السيد ليامين زوال على التوالي في صبيحة يوم الخميس بمقر رئاسة الجمهورية السادة محمد مشاطي وعبد الحق بن حمودة . كما استقبل رئيس الجمهورية أيضا في المساء السادة عبد القادر النعيمي والطاهر بن بعيبش.

السيد محمد مشاطي (عضو مجموعة 22).

« ديقراطية فعلية، الوسيلة الوحيدة للخروج من الأزمة »

أكد السيد محمد مشاطي عضو اللجنة التاريخية لـ22 يوم الخميس « أن الوسيلة الوحيدة للخروج من الأزمة تكمن في تمتين ديمقراطية فعلية منبثقة من مبادئ ثورة أول نوفمبر » ودعا في تصريح للصحافة بعد اللقاء الذي خصه به رئيس الجمهورية « الأحزاب السياسية والصحافة وكل القوى الوطنية للعمل على تجسيد قيم ومبادئ أول نوفمبر التي مازالت صالحة لمعالجة مجمل مشاكل البلاد. ورافع السيد مشاطي من جهة أخرى من أجل التكفل بمشاكل الشباب والمرأة عبر مكافحة ظاهرة التهميش والبطالة. ويدخل اللقاء الذي خص به السيد مشاطي في إطار الدعوة التي وجهها الرئيس زروال في 30 مارس الماضي إلى الشخصيات الوطنية قصد القيام بتبادل الآراء حول ترقية الحوار الوطني.

من أجل كتابة نزيهة وشجاعة لتاريخنا

تفرض علينا إشكالية كتابة التاريخ بعض الأسئلة الأساسية : لماذا نكتب التاريخ؟ ومن هو مؤهل لكتابته؟ وكيف نكتبه؟

هذه الكتابة ليست مجرد نتيجة لتصفيف أو سرد للوقائع أو مجمل الأحداث المعاشة في مرحلة ما في بيئة معينة، إنها أيضا وفي الأساس تجربة يجب أن تحفظ ودروس يجب أن تستخلص.

وهكذا، علينا إذا وصف ماضينا بدون مجاملة لنفهم الحاضر ونتفادى تكرير نفس الأخطاء لكي نكّون تصورا أحسن للمستقبل (كما يقول المثل السويسري الألماني : الرجل غير الذكي يقوم دوما بنفس الأخطاء أما الذكي فيقوم دوما بأخطاء جديدة).

شاهدنا منذ الاستقلال إلى يومنا هذا كتابة للتاريخ محورة عن قصد، حيث أهملت وقائع بينما زينت أحداث أخرى بطريقة مبالغ فيها من طرف السلطة القائمة.

لقد ارتُكبت أخطاء جسيمة اتجاه الأجيال القادمة. وتم إخفاء الحقيقةعمدا، بحجة أن الوقت لم يحن بعد لكشفها؛ وقد تم تشويهها بدون خجل لصالح السلطة.

في بعض الأحيان تمت الإشارة إلى أعمالنا أو أعمال أسلافنا بصفة عبثية وبمبالغة يؤسف لها. فلشدة ما نحاول الإقناع بنبل وبطولة أصالتنا نصل دائما إلى إدخال الشك في العقول. نعم علينا أن لانشد كثيرا على خيط التفاخر، ولنتذكر الكلمات العربية لتلك الشخصية التي قالت : « كن ابن من شئت واكتسب أدبا/ يغنيك فضله عن النسب / / إن الفتى من يقول ها أنا ذا/ ليس الفتى من يقول كان أبي ».

فلنكف إذا عن أن نسلك سلوك الأطفال الذين يتكلمون عن أنفسهم : « إننا الأكبر، إننا الأقوى، إننا الأشجع... » ولنكف عن قذف أولئك الذين لايفكرون مثلنا قبل أن نحاول فهمهم. بالفعل إننا لانقبل إلا بالذي يرضينا ويرضي كبرياءنا ونرفض بصفة قطعية وبدون سبب مالا يعجبنا. وهكذا لانريد أن نرى في أبطالنا (كما في أنفسنا) إلا الجانب الجميل، جانب العظمة ونغطي عمدا جانب الضعف. إننا ننسى بأنا لانعيش في مكان مغلق وأن العالم يرانا. وإذا لم نقل الحقيقة عن أنفسنا فسيقوم الآخرون بذلك وعندها ستكون أكثر إيلاما.

المثل الذي يتبادر إلى الذهن فورا عن وجه رمز تحول إلى أسطورة هو شخص الأمير عبد القادر، عند قراءة ماكتبته صحافتنا في عدة مناسبات نصدم في نفس الوقت بالمبالغة والإخفاء. إنني أؤيد ماقيل وكتب عن حياة الأمير كقائد للمقاومة ضد المحتل الفرنسي. كما أحترم بُعدَه كرجل دين وكاتب وفيلسوف إنساني وروحاني عظيم. ولكنني أتساءل عن الخلط بين الجزء البطولي من حياته مع مرحلة اعتقاله ونفيه. فبالفعل ففي الأسطورة التي تقدم لنا بإلحاح لايظهر سوى الجانب البطولي للشخص بينما يتم التكتم عن شبهات سلوكه بعد استسلامه في فرنسا وسوريا. يمكن أن نتساءل بموضوعية عن الأسباب التي جعلت الحكومة الفرنسية تخصص له منحة والتي يبدو أن أحفاده مازالوا يستفيدون منها إلى يومنا هذا. هل استعمله الفرنسيون بدهاء؟ هل سمح الأمير بذلك باسم الكلمة التي أعطيت بأن لايقوم بأي شيء ضد فرنسا؟ هل كانت له شخصيتان : البطل الذي فيه (من 1832 إلى 1847) قاوم وحارب ببسالة المستعمر. وذلك الرجل الذي هزم بالسلاح وانجر إلى التنازل والقبول النهائي بالهزيمة؟

نستخلص أنه من الضروري اليوم القيام بمجهود نقدي وغير متحمس في كتابة التاريخ. هناك أيضا مثل نموذجي يتعلق بمصالي الحاج. بعض الكتاب، عن جهل أو عن مصلحة أو ببساطة عن غياب شجاعة أدبية، يريدون أن يحافظوا على الهالة المحيطة بكفاحه الأول مع التقليل من الطابع المعادي للوطن لعمله النهائي والذي وصل به إلى حد التعاون الواعي أو غير الواعي مع الحكومة الفرنسية في وقت حرج من تاريخ بلادنا. لقد كان، أراد ذلك أم لم يرده، سبب تمزق الحركة الوطنية وصراع

الإخوة والتقتيل الذي تلى ذلك سواء داخل المنظمة في المهجر في فرنسا أو في الجزائر حيث أن الآلاف من المناضلين من نفس الحزب تقاتلوا بنفس القناعة بسبب قائدهم.

من أجل كتابة التاريخ، يتوجب علينا تجنب الأخطاء التي ارتكبت في الماضي. ولنكن متفطنين لما كتب من طرف بعض الكتاب الأجانب، والذي تتمثل غايته البديهية في تبرير الواقع الاستعماري؛ أو الذين ساهموا في إعطاء السلطة القائمة في ذلك الوقت وفي كل المراحل دعما غير منتظر لسياسة مسيئة للشعب الجزائري، وهم أصدقاء للجزائر ولهم نوايا طيبة ولكنهم كانوا كثيري المجاملة.

ولتفادي كل تضليل، يجب أن يكتب التاريخ في الجامعة من طرف أخصائيين على أساس وثائق ذات مصداقية وشهادات مقبولة مكتوبة أو صوتية لشهود مازالوا على قيد الحياة.

بالنسبة للجيل الحالي المتعطش للمعرفة فالتاريخ المعاصر هو الذي يهمه أولا، لأنه هو الذي تعرض إلى أكبر التحويرات بغاية تبرير وتدعيم الحزب الواحد وممثليه.

هناك ثلاث مراحل أساسية يمكن تطويرها :

1 ـ كفاح الشعب الجزائري ضد المحتل الذي قام به الأمير عبد القادر.

2 ـ المرحلة الاستعمارية التي تخللتها عدة ثورات متتالية.

3 ـ مرحلة ولادة الحركة الوطنية مع بداية العشرينيات ومختلف الأزمات التي مستها خلال فترة وجودها إلى غاية انطلاق الكفاح المسلح وحتى الاستقلال.

في الخلاصة، لكي نتفادي أن يقوم الشباب الجزائري والأجيال القادمة ببناء تاريخنا على أساطير ومخادعات أصابتنا بكثير من الضرر في الماضي، فأهمية واجب قول الحقيقة يفرض علينا بقوة العمل على توضيح شاف وشجاع ونزيه وصارم لكتابة تاريخنا.

الجزائر مارس 2000

ليبرتي ليوم الجمعة 12، السبت 13جانفي 2001
لاتريبون ليوم الجمعة 12، و السبت 13 جانفي 2001

عن الخروج من الأزمة ومعايير الهوية الوطنية

لن نخرج من الأزمة الناجمة عن النظام ومنه طالما بقي في السلطة رجال أوجدوا هذا النظام. إنه نظام نشأ نتيجة أول انقلاب لقيادة أركان جيش الحدود ضد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بدعم مصلحي من بن بلة. نما وتقوى مع انقلاب بومدين والمتواطئين معه في 19 جوان 1965. منذ ذلك الحين غزا جيش الحدود المجال السياسي كليا بدعم ذليل وانصياع حقير من جبهة التحرير، ليست جبهة التحرير الوطني التي، كما يشير اسمها، هي التي قادت وأكملت مهمة تحرير البلاد واسترجاع السيادة المسلوبة، بل تلك التي استحوذ ت دون وجه حق على السلطة وعلى العنوان المشرف ل(جبهة التحرير الوطني) لتصبح بالتالي ونتيجة سياسة الغش التي اتبعتها (جبهة التصفية الوطنية). فهي كمؤسسة سياسية المسؤول الأكبر (قبل المؤسسة العسكرية) على المأساة الوطنية الحالية. وستكون حاجزا لكل عمل ممكن للخروج من الأزمة مخافة أن تتحتم عليها غدا الإجابة أمام الشعب عن مسؤولياتها السياسية التي أوصلت البلاد من الاستقلال إلى الأزمة الحالية والحرب الأهلية.

إذا فالقطيعة مع هذا النظام المافياوي ضرورة مطلقة لاستعادة ثقة الشعب التي تسمح بالتعبير الحر عن إرادته وتضمن خروجا حقيقيا من الأزمة. ودون ذلك، سنواصل الغش والضحك على الثقة الشعبية بدون أخلاق ولا تأنيب ضمير. من جهة أخرى فإن (جبهة التحرير الوطني ـ نظام) هي التي ابتدعت شعارا جديدا يطري الحساسية الشعبية (ومثريا ترسانة الشعارات التضليلية لاستراتيجيتها السياسية المعتادة) والذي عينته تحت اسم « ثوابت الهوية الوطنية » أي الإسلام

والعروبة والأمازيغية. فما فتئت تشهرها في كل اتجاه إلى درجة أن أحزابا أخرى قررت بسبب الديماغوجية والجري وراء السلطة أن لاتتخلف عنها وتبنته بدورها.

إن مفهوم « الثوابت » هذا، إسلام، عروبة، أمازيغية الذي يراد لنا أن نكتشفه ليس ملائما ليكون مرجعا لهويتنا الوطنية. إنه يعين بصفة واضحة هوية عرقية تنتمي إليها الجزائر كمجمل البلدان العربية. في حين أن المعايير الحقيقية التي تتميز بها بلادنا الجزائر بالتدقيق مقارنة مع البلدان العربية والإسلامية هي روح المقاومة التي كانت ثابتا في كل الأزمنة لكل الغزاة ومنهم الفرنسيون في 1830 الذين واجههم الأمير عبد القادر وأحمد باي بمقاومة شرسة لسنوات طويلة وتلتها ثورات متتالية خلال كل سنوات الاحتلال؛ الروح الوطنية وليس الشوفينية بمعنى خدمة بلاده بحب؛ روح التضحية بمعنى وهب الذات (تخدم ولاتستخدم لصالحك) بمعنى التفاني للوطن؛ وأخيرا حب العدالة والحرية. تلك هي المعايير التي تمثل « الثوابت » المطلقة لهويتنا الوطنية.

في أصول أول نوفمبر 1954

إن تاريخ أول نوفمبر 1954 ليس حدثا عرضيا فهو قبل كل شيء تاريخ حركة التحرير الوطني : حزب نجم شمال إفريقيا/ حزب الشعب الجزائري/ حركة انتصار الحريات الديمقراطية/ المنظمة الخاصة. هذا الحدث نشأ في وضعية من التوترات الكبرى داخل تلك الحركة. توترات كانت نتيجة لأزمات متتالية وخلاف كلي بين قادته.

وأدت بمصالي الحاج أن يدعو في رسالة علنية القاعدة إلى التمرد ضد أعضاء اللجنة المركزية مما أدى إلى انفجار داخلي للحزب الذي انقسم إلى عدة تيارات (مصاليين، مركزيين، حياديين) فاتحا الباب هكذا على مشاجرات بين المناضلين واستعمال القوة لاسترجاع المقرات ومال الحزب في كل مكان، سواء كان ذلك في فرنسا أو في الجزائر. وولد تمزق الحزب هذا إحساسا بالتمرد والغيظ واليأس. كان هناك إحساس بأزمة ثقة شاملة اتجاه القادة.

في جو الغموض هذا وأزمة الثقة تقرر، بالتشاور مع اللجنة المركزية، أولا إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل؛ كانت مبادرة طيبة فشلت للأسف نتيجة تعنت مصالي. وأمام هذا الفشل قام محمد بوضياف وهو آخر مسؤول للمنظمة الخاصة قبل حلها من طرف الحزب سنة 1951 بجمع العناصر المشتتة للمنظمة الخاصة ليشكل مجموعة الـ « 21 » الشهيرة والتي سميت ب« 22 »خطأ نتيجة لخطإٍ وقع فيه إيف كورييز في كتابه « أبناء لاتوسان »، حيث ذكر حاج بن علة على أنه حضر الاجتماع في حين أنه لم يُدْعَ أصلا لذلك. فهو مازال حيا، حمدا لله من أجله ومن أجلنا ويمكن طلب شهادته.

خلال هذا الاجتماع أعلم بوضياف المجموعة أن كل المساعي التي تمت اتجاه هؤلاء وأولئك لإعادة الوحدة قد باءت بالفشل للأسف. وأمام هذه الوضعية المأساوية بالنسبة لنا كمناضلين قدامى كان السؤال الذي يطرح نفسه علينا : ماعسانا نفعل؟ فالشعب عموما ومناضلو الحركة خصوصا لم يعودوا يتحملون القمع اليومي؛ وكانوا يطالبون بالسلاح حتى يصفون حسابهم مع السلطة الاستعمارية القذرة. كان الوضع السياسي الدولي مواتيا لنا؛ فعلى المستوى المغاربي انطلق إخواننا المغاربة والتونسيون في العمل. فهل علينا أن نبقى مكتوفي الأيدي؟

كان الجواب على هذا السؤال الأخير واضحا ودقيقا، جواب جامع ومتحمس من أجل انطلاقة الكفاح المسلح. بعد ذلك تقرر انتخاب قيادة، ولغرض ذلك طُلِب منا أن نختار شخصين من بين أعضاء المكتب الذين سيتولون بدورهم تعيين العناصر الأخرى المشكلة للقيادة. وأعطت النتيجة النهائية لهذا الاختيار منتخبين اثنين هما بن بولعيد وبوضياف مع مهمة مباشرة التحضيرات للانطلاقة.

غير أن المشاكل الأساسية تم تجاهلها عمدا خلال الاجتماع نتيجة للريبة اتجاه أولئك الذين طرحوا أسئلة جادة قبل، وبالخصوص، بعد هذا الاجتماع وهي على سبيل المثال : موضوع التمثيل الفعلي للمسؤولين على المستوى الوطني لكل منطقة من البلاد والتي تسمح باختيار قيادة لانزاع حولها. كان هناك أيضا مشكل الفترة الضرورية من أجل تحضير جيد؛ وكانت أيضا مسألة اختيار شخصية من أجل التمثيل على المستوى السياسي إلخ...

عن كل هذه الأسئلة الأساسية كان الجواب لا. جواب من نوع « امشي واسكت، أنا قائدك وأفكر بدلا منك » ديكتاتورية حقيقية. وقد خلق مصالي منافسين له في هذا المجال للأسف.

لهذا السبب لم تُعلَم مجموعة قسنطينة بالانطلاقة عقابا لها لتجرئها على طرح أسئلة محرجة. وقد اعتقل كل عناصرها غداة الفاتح من نوفمبر وحكم عليهم، وسيلتحقون بالجبال بعد تحريرهم حيث تمت تصفيتهم بحجة أنهم مصاليون أو مركزيون أو بكل بساطة كما قيل عن عبان رمضان بأنه سقط في ساحة الشرف خلال اشتباك مع العدو.

هانحن في نوفمبر 2004. خمسون عاما مرت على انطلاق الكفاح المسلح ضد السلطة الاستعمارية من أجل استرجاع السيادة الوطنية التي تمت في 1962. سنوات عديدة من الكفاح والتضحيات الجسام التي لايمكن أن تحصى تم تقديمها من أجل استرجاع الكرامة والحرية والعدالة.

واليوم بعد أربعين سنة من الاستقلال مع تسيير كارثي من طرف فريق الانقلاب لجيش الحدود ضد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية هناك سؤال مصيري يطرح : أين نحن؟ وإلى أين نحن ذاهبون؟ يمكن القول بدون تردد بأننا في وضع كارثي في كل المجالات. هناك حتى ماهو غير قابل للتصليح على المستوى الإنساني، وهو ما يعطينا صورة على المستقبل الغامض إن لم نقل الحزين اليائس.

وسيقوم المؤرخون الجديون والنزهاء والأجيال القادمة بإصدار حكم صارم على مسؤولي العهد الأخير هذا.

بخصوص إعلان أول نوفمبر 1954

هناك سوء تفاهم كبير يتطلب أن يوضح بسرعة، تحاول تخمينات مخجلة وغير نزيهة من طرف أولئك الذين يتجرؤون عند المناسبات أن يعلنوا انتماءهم لإعلان أول نوفمبر سواء من داخل السلطة أو من خارجها، يجب الآن إدانتها بقوة. كان يمكن أن يكون مرحبا بهؤلاء، لو لم يقترفوا الجرائم التي أدت إلى المأساة الوطنية، متسببين في ضياع الوقت وفي تضحيات جسام على المستويات المادية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وعلى الخصوص مالا يمكن إصلاحه على المستوى الإنساني.

نطلب منهم أن يعيدوا قراءة هذا التصريح الشهير جيدا وأن يلموا جيدا بمحتواه المثالي الذي كان هدفه الاستقلال الوطني، فهو يقول في نهاية نقطته1 : استرجاع الدولة الجزائرية السيدة والديمقراطية والاجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية (والتي يجب أن لا نخلطها مع بناء دولة إسلامية أو دولة أوتوقراطية تكون في تناقض كامل مع النقطة 2 : احترام كل الحريات الأساسية بدون تمييز عرقي أو ديني).

هذا هو الأساس في الإعلان. ولأن المسؤولين القادة الذين استحوذوا بدون وجه حق على السلطة ابتداء من 1962 استعملوا وبالغوا في استعمال الكذب والخداع حتى يبقوا فيها، حيث ذهبوا إلى درجة إعطاء تنازلات مجانية إلى المعارضة الإسلاموية الأصولية وذلك على حساب القانون الذي سطروه هم، لهذا السبب ظهر المرض واستفحل. سلوك غير مسؤول كنا قد أدناه في وقته في المقال التالي المنشور في مارس 1990 في جريدة المجاهد.

هاهو، إقرأوا :

الاعتماد الذي مُنح للجبهة الإسلامية للإنقاذ تنقصه الشفافية، كما يثير هذا الاعتماد نقاشا وتساؤلات كبيرة عند المواطنين.

وبالفعل فإن عنوان الجبهة الإسلامية للإنقاذ يُعرف بصفة واضحة جمعية ذات طابع ديني والتي لها الحق في الوجود بهذه الصفة مثلها مثل كل المنظمات المحددة في نصوص القانون خلافا لتلك الخاصة بالجمعيات ذات الطابع السياسي. وبالتالي من المنطقي أن لاتعتبر هذه الجمعية بشكل مختلف.

إنه لخطأ جسيم من طرف السلطات المسؤولة أن قبلت هذا الخرق للقانون. وإنه أيضا لسياسة سيئة أن نعتقد أنه يمكن إسكات الاحتجاج وكسب ثقة معارضة أيا كانت بإعطائها مزايا على حساب القانون والأحزاب السياسية الأخرى. وهكذا تضعف طريقة العمل هذه دولة القانون وتجعلها في وضع غير سليم.

ونتساءل في الأخير لماذا تم تأسيس مجلس دستوري أمام حالات كهذه؟ وإذا كان ينتظر حتى يستشار فوجوده مجرد وجود فلكلوري.

أما الإخوة المسؤولون عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ فلماذا يتعنتون في ممارسة السياسة بإلباسها ثوب الدين؟

الإسلام ملكنا كلنا بدون استثناء وبدون منازع، الله وحده له السلطة المميزة بين المسلمين الجيدين والسيئين منهم. إنه مجاله المطلق ولايمكن لأي إنسان أن يخلفه في ذلك.

لهذا فاستعمال الخلط (دين ـ سياسة)، (الواجبات أمام الله والواجبات أمام مواطنيه) أمور خطيرة ومن شأنها أن تحول الصراعات السياسية إلى فتنة (حرب أهلية)؛ والأمثلة التي لازمت تاريخ الإسلام والدول الإسلامية منذ وفاة الرسول (ص) إلى يومنا هذا كثيرة للأسف.

هؤلاء الإخوة من الجبهة الإسلامية للإنقاذ الذين لايشعرون بأنهم غير قادرين على مواجهة الأحزاب السياسية الأخرى للدفاع عن أفكارهم في صراع نزيه على المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية وأخرى، بحجج خاصة دون أن يلجأوا للوتر الحساس للمشاعر الدينية.

لسنا في زمن الوحي حيث تلقى الرسول محمد (ص) مهمة إرساء نظام جديد (الإسلام) في منطقة كانت تفرض فيها الجاهلية الظلم والعبودية وممارسات متوحشة تحول المرأة إلى مجرد شيء بدون حق وبدون حماية.

لقد أدى الرسول محمد (ص) هذه المهمة باستعمال التكتيك والإستراتيجية التي تستجيب لضرورات زمانه في محاربة أعدائه الذين أعلنوا عليه الحرب، لأنه كان يزعجهم في عاداتهم وتقاليدهم ذات السلوك غير الإنساني المبني على قانون الأقوى.

بالنسبة للمسلمين الحقيقيين والمؤمنين اليوم، والذين هم نحن، هناك مهمة روحية يجب القيام بها آخذين بعين الاعتبار ضرورات عصرنا الحالي؛ وتتمثل في استكمال العمل العزيز على الرسول (ص) من أجل ترقية الإسلام كوحي موجه للإنسانية جمعاء.

لهذا الغرض فالاجتهاد وحده والقراءة المتبصرة للقرآن والأحاديث كفيلة بمساعدتنا أن نظهر الإسلام للغير خارج حدودنا.

الكثير من رجال العلم في المشرق والغرب اكتشفوا الإسلام بأنفسهم وهذا ما جعل أحدهم وهو غوته يقول : إذا كان هذا الإسلام ألسنا كلنا مسلمين؟ هؤلاء الرجال عملوا ومازالوا يعملون على التعريف بالإسلام عبر كتاباتهم وأعمالهم التي تعلو بكثير على ما يقوم به الملايين من المسلمين الأصليين أليس ذلك عيبا علينا؟ بينما نواصل تمزيق بعضنا بعضا ونتقاتل (كما هو الحال حاليا في لبنان والعراق و إيران والسودان إلخ) باسم إسلام يريده كل واحد كما يشاء.

ماذا سيحصل غدا عندنا إذا قامت الأحزاب الأخرى بتقليد الجبهة الإسلامية للإنقاذ عبر إضافة تعبير إسلامي إلى عناوينها، سيكون لنا الجبهة الإسلامية للتحرير الوطني والجبهة الإسلامية للقوات الاشتراكية والحزب الإسلامي الاجتماعي الديمقراطي والحزب الإسلامي للتجديد الجزائري وهكذا دواليك لكل الأحزاب...

ولن يتوقف المثل عند مجرد هذه التسمية بل يتعدى إلى العمل على الاستحواذ على المساجد؛ فلأغراض السياسة، ولعطش السلطة ستؤدى صلاة بل أكثر.

أتوقف هنا، عن هذه الأمثلة المنذرة شؤما التي قد تنتجها الحيلة والشيطان وأطلب من الله أن يحمي بلادنا الجزائر من التمزق وأن لا يجعلني أعيش لأرى هذا الويل للحظة واحدة.

وفي الخلاصة لمن الواجب اليوم لأولئك وهؤلاء أن يعترفوا بالأخطاء وأن ينحنوا بنزاهة طالبين الاعتذار من كل الضحايا ولجميع الشعب الجزائري على كل المصائب التي سُببت لبلادنا الجزائر؛ ويكون هذا مقدمة لمصالحة وطنية حقيقية تسهل فيما بعد نقاشا علنيا لغاية إعداد مشروع مجتمع جدير بمثل ثورة نوفمبر 1954 وكل الشهداء الذين ضحوا من أجل جزائر حديثة في طليعة التقدم وفي طليعة زمانها.

يوم في مرسيليا : ملتقى نظمه المركز الجهوي للدراسات وملاحظة السياسات والممارسات الاجتماعية

سيداتي، آنساتي، سادتي، اسمحوا لي أن أقدم تحياتي إلى منظمي هذه التظاهرة بالمركز الجهوي للدراسات وملاحظة السياسات والممارسات الاجتماعية، التي استدعيت لحضورها. تحياتي أيضا لكل أصدقائنا الحاضرين هنا الذين كافحوا إلى جانبنا من أجل استقلال الجزائر. أقدم عبرهم تحياتي الصادقة إلى مدينة مرسيليا وسكانها، مرسيليا : تلك المدينة الجميلة التي تبعث في نفسي ذكرى مزدوجة سعيدة وحزينة في نفس الوقت.

سعيدة، نتيجة مشاركتي في صيف 1944ـ وكنت في الثالثة والعشرين بصفتي جندي جزائري مستعمَرـ في تحرير مدينة مرسيليا وسكانها الذين عاشوا تحت نير الاستعمار النازي لمدة قصيرة من حياتهم ـ أقول مدة قصيرة مقارنة مع احتلال بلادي الجزائر الذي دام أكثر من قرن ـ لقد حضرت إذا بهجة التحرير وفرح الحياة عند شعب كان سعيدا باسترجاع حريته.

الذكرى الثانية، الحزينة؛ فانطلاقا من نفس المدينة مرسيليا حيث كان الفيلق السابع للمشاة الجزائريين والذي أدى مهمته في تحرير فرنسا كلها يستعد للعودة إلى الجزائر، فمن هنا من مرسيليا سمعت مع أصدقائي عن الأحداث المأساوية للثامن ماي 1945 ببلادنا، في الوقت الذي كنا فيه نفرح في كل الأماكن في فرنسا وفي العالم بنهاية الحرب وانتصار فرنسا وحلفائها، فرنسا التي استرجعت حريتها ومكانتها بين أمم العالم بمشاركة الكثير من الجزائريين الذين ماتوا من أجلها.

اليوم بعد سنوات طويلة من الكفاح والألم، بلادي الجزائر حرة ومستقلة بفضل تضحيات جسام قدمها كل شعبها والذي، وإن قلب صفحة الحقبة الاستعمارية، فهو يحتفظ في ذاكرته بالآلام والظلم الذي عاناه. وهو أيضا لن ينسى المساهمة المخلصة لأصدقائه الذين كانوا إلى جانبه للدفاع عن القيم الإنسانية الحقيقية للحرية والعدالة والكرامة.

تلك هي الأسباب التي تجعلنا نحب فرنسا ما، كنا قد آمنا بها دوما، فرنسا حقوق الإنسان والمواطن.

إلى السيد مدير الجريدة الأسبوعية الثورة الإفريقية

سيدي المدير،

لقد انتهيت من قراءة أبناء لاتوسان الذي قدمتموه لنا في العدد 273 من الثورة الإفريقية المؤرخ في 9 ماي 1969 على أنه « كتاب تم بوعي عميق من طرف كاتبه والذي كانت معلوماته دقيقة بشكل كبير ».

لهذا الغرض لي الشرف أن أطلب منكم أن تنشروا في عددكم القادم التعقيب المرفق بهذه الرسالة.

تقبلوا سيدي المدير فائق الاحترام.

سيدي المدير،

كمناضل جزائري رأيت أنه من واجبي أن أعطي بعض التوضيحات بخصوص الكتاب الذي أصدره السيد إيف كوريير حول بدايات الثورة الجزائرية والذي جاء ذكري فيه.

لهذا السبب أكتب لكم لأبلغكم عن :

ـ الأخطاء التي سجلتها

ـ دهشتي في كوني اتهمت من طرف الكاتب دون أن يستمع إلي مسبقا مع أنني مازلت على قيد الحياة.

الأخطاء

كمشارك في هذه الأحداث، سجلت من جهتي الأخطاء التالية :

ـ بخصوص الفرار من بونة ـ الصفحة 67 ـ كتب المؤلف : « تمكن بن بولعيد وزيغود هما أيضا من الفرار من سجن بونة والتحقا بالأوراس ». ليس صحيحا أن يكون بن

بولعيد قد هرب من سجن بونة لسبب بسيط أنه لم يتم اعتقاله خلال القمع ضد المنظمة الخاصة في 1950. في حين أن فرارا قد تم بالفعل من سجن بونة لزيغود رفقة بن عودة وبركات سليمان وعبد الباقي. مع أنه في صفحة 109 يكتب المؤلف « بن بولعيد، مع أنه كان مطاردا في مرحلة المنظمة الخاصة تمكن أن يبرئ نفسه وأن يعيش حياة تقريبا عادية بين باتنة ولامبيز » ألا ترون أن هذه الوقائع فيها نوع من التناقض؟ وإلا كيف يمكنه أن يفسر لنا أن الشخص الذي اعتقل وحكم عليه يمكن أن يبرئ نفسه بعد أن يكون فر من السجن؟

الصفحة 86 بخصوص اللقاء الأول بين كريم وأوعمران مع ديدوش كتب : « بن بولعيد تأسف لكونه لم يحضر هذا الاتصال الأول لأن ديدوش، المندفع بشبابه ورغبته في الحفاظ لصالح أولئك الذي يعتبرهم مؤسسي اللجنة الثورية للوحدة والعمل بالمبادرة الكاملة للعمليات، استغل غياب القادة الآخرين للمجموعة كي « يتجاهل » القبائل إلخ... »

بالطبع للموتى ظهر مناسب لتعليق مانشاء عليه. يوحى إلينا بأن ديدوش يكون قد عمل بمفرده وبدون معرفة الآخرين. أنا أعرف ديدوش ولا أظن أنه عمل لوحده بهذه الطريقة بدون أن يكون قد تم تكليفه مسبقا من طرف هذه اللجنة.

من جهة أخرى فيما يخص استعمال الخداع والكذب ـ هذا التصابي ـ كما يقول الكاتب لم يكن، للأسف، سلاح استعمله ديدوش وحده ولكن وبالتأكيد كان يستعمل دوما وباحتقار من طرف ذلك الذي كان يريد أن يكون القائد الوحيد للمنظمة الخاصة.

صفحة 160 بخصوص المشاركين في اجتماع الـ22

أعطي توضيحا بخصوص ثلاثة أشخاص، ذكر اسمهم بصفة محرفة أو بأسمائهم الشخصية فقط. إنه ليس عبد الحق بل بن عبد المالك رمضان ومن جهة أخرى بوعلي سعيد وملاح رشيد (سقط الثلاثة في ساحة الوغى).

صفحة 162 و163 بخصوص انتخاب الخمسة.

ليس صحيحا أن الخمسة قد انتخبوا برفع اليد وبإجماع. لقد تقرر انتخاب شخصين بالاقتراع السري ولكن من ضمن مجموعة الخمسة فقط ؛ ويقوم بعد ذلك الاثنان

المنتخبان باختيار، عن طريق التعيين، الأعضاء الآخرين الذين يكونون في اللجنة، هذان المنتخبان الاثنان كانا بن بولعيد وبوضياف. وهكذا خلال هذا الاقتراع أعربت مرة أخرى عن اختلافي مع بوضياف معترضا على صفته كقائد بتصويتي لصالح بن بولعيد وبن عبد المالك، دون أن أخفي اختياري للاسمين اللذين كتبتهما على ورقة وأظهرتها بوضوح للذين كانوا معي لكي أثير نقاشا معهم حول الموضوع.

صفحة 186 بخصوص الحرب المزعومة التي يكون لحول قد شنها ضد اللجنة الثورية للوحدة والعمل عبر تنظيم اجتماع بقسنطينة قصد : « ثني العناصر المترددة والقابلة للتأثير عن اللجنة « .

قبل كل شيء لاأظن أن لحول كان يكافح بصفة خاصة ضد اللجنة الثورية للوحدة والعمل. كان يعمل أساسا على المحافظة على تحكمه فيما تبقى من مكتسب في المنظمة وتعزيز موقعه لمواجهة المصاليين الذين كانوا يهددون ولايترددون في استعمال العنف في أي مكان. ثم لا حباشي ولا العمودي ولا أنا حضرنا هذه الاجتماعات ولم نكن من المنظمة في قسنطينة. كانت هذه الأخيرة جد قوية ومسيسة جدا وحريصة على نضجها السياسي ومنضبطة، لأنه كان متحكم فيها جيدا من القمة إلى القاعدة من طرف كل المسؤولين القدامى للمنظمة الخاصة. لم تكن في حاجة لا إليّ، ولا لأي أحد لتحديد موقفها خلال أزمة الحزب. وهكذا كانت مؤيدة لفكرة اللجنة الثورية للوحدة والعمل ككل المناطق قبل ولادة هذه الأخيرة. وكانت قد أعلنت عن حيادها اتجاه المصاليين والمركزيين الذين كانوا يتعاركون على المنظمة على مستوى كل البلاد.

بالطبع كان التعاطف يذهب إلى اللجنة الثورية للوحدة والعمل، لكنه كان تعاطفا متحفظا بسبب التعاطف المعروف بين اللجنة الثورية للوحدة والعمل واللجنة المركزية، هذا هو السبب الذي جعل قسنطينة تتهم تباعا بالمصالية ثم بالمركزية. وهكذا تلام قسنطينة مجددا الآن لأنها كانت موالية للمركزيين بعد أن اتهمت بالمصالية.

بالفعل فخلافي الشخصي الأول وأيضا اختلاف قادة قسنطينة (الذي كنت مرتبطا بهم في الماضي لأني كنت أحد مسؤوليهم أيام المنظمة الخاصة) جاء نتيجة

أنني اتهمت بالمصالية من طرف بوضياف الذي لامنا على أننا لم نضرب ولم نطرد المسؤولين المصاليين الذين جاؤوا بدورهم لتفسير موقفهم أمام المنظمة بخصوص أزمة الحزب.

وأظن أن بوضياف لم يكن مؤهلا أن يطلق ذلك الكم من اللوم على الناس، لأنه هو نفسه مع إعلانه الحياد كان يواصل رعاية علاقة وطيدة مع المركزيين. لم يكن ذلك بالخطير لو لم يؤكد موقفه المشبوه كتابيا عبر أكثر من مقال في جريدته لوباتريوت. ومع ذلك كانت تلك هي الفرصة التي حذرته فيها ضد نتائج هذا السلوك قائلا له أنني أتفهم جيدا أنه هو بوضياف أو أي أحد منا يكون له ميول لتلك الجهة أو تلك ولكن لمصلحة الحركة واللجنة الثورية أن لايسلك هذا السلوك لأنه لن يكسب الدعم الكلي من قسنطينة.

آمل أن تتفهموا دهشتي في أن أكون متهما بهذه الطريقة من طرف السيد إيف كوريير لأنني أعتبر أنه (مادام يقوم بعمل المؤرخ) أن الكاتب أصدر أحكاما قيمية ليست لها علاقة بالموضوع الذي يجب أن تبقى له الصفة الأساسية للمؤرخ. وبالفعل كم قيل وقُوِّلَ اليوم الأموات وكم مازلنا نُقَوِّلُ بعض الأحياء.

هكذا ففي الصفحة 186 أرادوا أن أقول كلاما سخيفا وخاطئا : « أتفهم، قال مشاطي، ليس لنا حتى السكان معنا. ولن يكونوا معنا؛ لا تعتمدوا علينا. لن نتكلم، لن نقول شيئا ولكن سنترك الأمر ».

أؤكد بكل درايتي وبكل نزاهة أن هذا الكلام كاذب وأن الذي قولني إياه مس نزاهتي كمناضل. وللجواب عليه أفضل أن أذكر بمقولة شعبية من عندنا التي تقول : ما تقول أنا وأنا حتى يموت كبار الحومة ».

وفي هذه الحالة ليس سوى المناضلين الكثيرين الذين يعرفوننا نحن الاثنين يمكنهم أن يصدروا أحكاما علينا. نعم هم، سيكون حكمهم، موضوعيا حتما.

خلاصة :

بالطبع لم يكن هناك لاسلاح ولامال ولكن لم يكن ينقصنا التأييد الشعبي. بل كانت، وعلى الخصوص، الثقة في قادتنا السلاح الأساسي الذي كنا نفتقده كثيرا وفي كل مكان؛ هذه الثقة التي لم يتمكن ولم يعرف قادة اللجنة الثورية للوحدة والعمل كسبها نتيجة ممارسات خاطئة على مختلف المستويات ولضيق أفقهم أيضا.

وللأسف بسبب أزمة الثقة نفسها انطلقت الثورة على القدم الخاطئة وأضر بنا ذلك خلال كل الحرب ومازال يضر بنا إلى يومنا هذا.

« الثورة الإفريقية » رقم 280 أسبوع من 8 إلى 14 نوفمبر 1968

تلقينا من السيد محمد مشاطي سكرتير سفارة الجزائر بستوكهولم تعقيبا بخصوص التقديم الذي خصته الثورة الإفريقية لكتاب أبناء لاتوسان.

ننشر هاهنا بعض المقاطع لهذا التعقيب الطويل.

سيدي المدير، كمناضل جزائري رأيت أنه من واجبي أن أعطي بعض التوضيحات بخصوص الكتاب الذي أصدره السيد إيف كورييز حول بدايات الثورة الجزائرية والذي جاء ذكري فيه.

لهذا السبب أكتب إليكم لأبلغكم عن :

ـ الأخطاء التي سجلتها

ـ دهشتي في كوني اتهمت من طرف الكاتب من دون أن يستمع إلي مسبقا مع أنني مازلت على قيد الحياة.

بخصوص النقطة الثانية يكتب مراسلنا

كم قيل وقوّل اليوم الأموات وكم مازلنا نقوّل بعض الأحياء.

وهكذا ففي الصفحة 186 أرادوا أن أقول كلاما سخيفا وخاطئا : « أتفهم، قال مشاطي، ليس لنا حتى السكان معنا. ولن يكونوا معنا لاتعتمدوا علينا. لن نتكلم، لن نقول شيئا ولكن سنترك الأمر »

أؤكد بكل درايتي وبكل نزاهة أن هذا الكلام كاذب، وأن الذي قولني إياه مس نزاهتي كمناضل. وللجواب عليه أفضل أن أذَكر بمقولة شعبية من عندنا والتي تقول : « ماتقول أنا وأنا حتى يموت كبار الحومة ».

وفي هذه الحالة ليس سوى المناضلين الكثيرين الذين يعرفوننا نحن الاثنين يمكنهم أن يصدروا أحكاما علينا. نعم هم، سيكون حكمهم موضوعيا حتما.

ملاحظة من المحرر : نتمنى من جانبنا أن يأخذ كاتب أبناء لاتوسان بعين الاعتبار هذه المعلومات ويجعلنا نتفادى في المجلدات القادمة هذا النوع من المشاهد.

العروش، السلطة والمجتمع المدني

إن السلوك الأخرق للعروش وغباء السلطة خلق وضعية مؤسفة محيرة ومثيرة للانشغال لدى المجتمع المدني.

إن أصل المرض معروف جدا : عجز السلطة في تسيير مشاكل البلاد. كانت وفاة الشاب قرماح ماسينيسا بمقر الدرك ببني دوالة سبب انطلاق التمرد. وعدم الاعتراف بواقع الهوية الوطنية الأمازيغية خلال الحقبة الاستعمارية داخل الحركة الوطنية حزب الشعب الجزائري/ حركة انتصار الحريات الديمقراطية ظهر مجددا عشية الاستقلال داخل السلطة المنبثقة؛ ونذكر ذلك من انقلاب جيش الحدود بدعم من بن بلة. ديماغوجي وشعبوي لقد أعلن بدون بصيرة شعاره : « نحن عرب، عرب، عرب » ليعطي لنفسه « وقارا » بالنسبة لزملائه ومشيرا بغمزة مصلحية إلى سيده جمال عبد الناصر. كرس هذا التصريح، الذي في غير محله، صراعا سياسويا دفينا بين « بعثيين عروبيين » و« جزأريين » و« بربريست » ليخلق بذلك تركيزا على مشكل خاطئ. نعرف جيدا أن بن بلة ومن معه كما في القصة المعروفة عن الحيوانات الباحثة عمن أنجبها وكل واحد من هذه الحيوانات يجد بسهولة من أنجبه ليبقى في الأخير البغل الذي أجاب السائلين بأن خاله الحصان. حتى لا يقول أن أباه هو الحمار.

بعد أربعين سنة تقريبا، هاهو رئيس قادم (بوتفليقة)، وفي حملة انتخابية بالقبائل يأتي ليضع النار في الهشيم بجملته المستفزة المعروفة : « لن تكون تمازيغت أبدا لغة وطنية ». نشأت حركة العروش من كل هذا، لقيادة معركة الكرامة عبر العديد من المظاهرات في كل منطقة القبائل والتي عمدت الشرطة إلى قمعها بعنف، مكلفة العشرات من القتلى والجرحى من الشباب وفارضة على نفس الشخص المستفز الذي

أصبح رئيسا أن يعترف في الأخير بتمازيغت كلغة وطنية. منذ ذلك الحين مازال غليان العروش مستمرا غالبا مايكون أخرقا ومربكا بالنسبة للأحزاب السياسية التي أصبحت لاتعرف كيف تتصرف (الانخراط فيها لجلبها إلى جانبها أو على العكس؛ أو، إن عصي ذلك، إدانتها) .

هناك شيء مؤكد ومعروف وهو أن كل عمل يتقرر أحاديا من طرف أي حركة جهوية أو حزب سياسي لن يكون مصيره إلا الفشل. وهي لاتربك السلطة التي لها قانون حالة الطوارئ الذي يسمح لها باستعمال العنف بقوة وبدون اكتراث.

ليس هناك غير العمل المتفق عليه على المستوى الوطني من أجل هدف موحد وواقعي ومنقذ الذي يفرض على السلطة أن تستسلم وترضخ للمطالب الشرعية أو تتنحى عن مهمتها. إذن الذي يمكن أن يوصى به اليوم هو القيام بعمل مشترك داخل المجتمع المدني ـ خارج الأحزاب السياسية التي يمكنها أن تلتحق بالحركة ـ يبادر به مجموعة من الأشخاص المستقلين النزهاء والمخلصين قصد إنجاز الهدف الوطني الأساسي أي تكريس مبدأ التناوب على السلطة وإنجاز دولة القانون. وسيسمح هذا برفع كل الحواجز لحل المشاكل الثانوية وطنية كانت أم جهوية.

في هذا الصدد، نفهم لماذا لم تتبع المناطق الأخرى في البلاد حركة العروش. لقد شعرت بالتحقير أمام قرارات الأمر الواقع ولم تطق أن تجد نفسها في دور مجرد تابع عاجز. من الواضح أيضا أن العروش وبالنظر إلى طبيعتها الإثنية الممركزة، حيث أن الوحدة في العرش الذي هو غالبا منافس أو في بعض الأحيان عدو لعرش آخر. فالعروش لا يمكنها إذا أن تتبوأ قيادة حركة المواطنة إنها تمثل شيئا باليا يتناقض مع المواطنة؛ وهو السبب الذي يجعل حركة المواطنة لاتقوم من طرف العروش وإنما من طرف المواطنين. وأمام هذا الوضع الغامض وغير الصحي، يجد المجتمع المدني نفسه تائها ومشلولا وبلا أمل، خائبا نتيجة كل هذه الأكاذيب والمناورات من كل نوع الصادرة عن نظام منبوذ لازال يستعمل عن طريق أصحاب القرار المجرمين، وبتواطؤ مصلحي من حزب الدولة، عُصَبه وأمراضه المتأصلة الناجمة عن الشعبوية المدمرة. حزب الدولة هذا، الحاضن لكثير من المزورين المنافقين والمداحين، احتل دون وجه حق المجال السياسي منذ الاستقلال معارضا دوما بروز حركة جمهورية، ديمقراطية

واجتماعية التي كانت حلم الوطنيين والشهداء منذ 1954 . ومنذ الاستقلال لم يكف هذا الحزب عن تنظيم نفسه وإعادة تنظيم نفسه والعودة إلى النبع بدون نهاية .

هل سيكون اليوم، حزبٌ للشعب أصيل وصدقي، يعمل أخيرا من أجل المصلحة الوطنية وحامل مشروع مجتمع يتطابق مع تطور العالم حاضرا ومستقبلا؟ يجب الإبقاء على الأمل . ولكن كيف ؟

2 ـ عن جبهة التحرير، الحزب – الدولة

ممارسة الديمقراطية، جبهة التحرير الوطني، جبهات التحرير الوطني والأحزاب الأخرى التي تراهن في الظرف الحالي على المعركة من أجل السلطة السياسية

تتطلب ممارسة الديمقراطية الوضوح والوفاء والتسامح من طرف أولئك الذين يدّعون الانتماء إليها حقا. ويكون إرساؤها بسيطا وسهلا عندما نمارسها بشفافية، وهي تصبح أصعب أكثر فأكثر عندما نعقدها عمدا كي نحافظ فقط على المظاهر منها.

لقد تشكلت جبهة التحرير الوطني لنوفمبر 1954 آنذاك كحزب واحد، وذلك كإجراء استراتيجي للسماح بجمع كل القوى الحية للشعب ودمج عملها في الكفاح ضد العدو من أجل استرجاع السيادة الوطنية المسلوبة، وتحرير الشعب الجزائري حتى يمارس كليا حقوقه السياسية. لقد انتهت مهمتها الأساسية عند الاستقلال، ونجمت أزمة خطيرة في داخلها وتفككت ولم يعد هناك سبب مقبول لبقائها. فالمهم كان قد أنجز : استرجاع السيادة الوطنية.

تلتها منذ ذلك الحين جبهات تحرير وطنية في ثلاث مراحل من 1962 إلى 1965 ثم من 1965 إلى 1978 ومن 1978 إلى يومنا هذا. حاول الجميع أن ينتظموا أو يعيدوا تنظيمهم، هيكلة وإعادة هيكلة ليعطوا لأنفسهم صورة جبهة التحرير لـ 1954 التي يعلنون، بدون خجل، انتماءهم إليها والتي أدت نتائج أعمالهم بالبلاد إلى الإفلاس في كل المجالات. عاش الجميع في الدسائس وصراع العصب وتصفية الحسابات المعروفة والتي ميزت 26 سنة من تاريخ الجزائر.

مايزال حتى اليوم يُلوّح، باسم الوحدة الوطنية التي يراد صيانتها، بالخوف من الفوضى وتصفيات الحسابات قصد تبرير، إن لم يكن احتكار الحزب الواحد بالأمس، وضعية مسيطرة للحزب الحالي على الأقل، مع إدانة التعددية الحزبية متذرعين ب »عدم تفاهم » الأحزاب السياسية في اللعبة الديمقراطية.

مع أن الأحداث المأساوية لأكتوبر 88 قد قرعت أجراس الحزب الواحد مفندة بصفة قوية الأكذوبة الرهيبة.

لم يكن هدف الثورة الشعبية الاحتجاج على نقص الخبز والدقيق(لم تهاجم أي مخبزة خلال هذه الأحداث) ولا ضد حزب جبهة التحرير ذاته، ولا ضد الرجال الذين كانوا يمثلونه بل ضد النظام بأكمله بحزبه الوحيد والمنظمات التي تدور في فلكه وفلسفته الطوباوية وطرق عمله الفوضوية ومبادئ عمله وتنظيمه اللاديمقراطي. لم تكن أحداث أكتوبر في الواقع سوى نتيجة أزمة ثقة خطيرة جدا والناجمة عن كثير من الآمال المخيبة.

ماذا تم فعله لاسترجاع ثقة الشعب؟ إذا نظرنا إلى تزايد الوعود في خطب المسؤولين والنتائج التي وصلنا إليها لا يمكن أن نكون سوى مشككين. بالطبع تم، كيفما اتفق، إلباس دستور (الذي كان يتطلب أن يعاد النظر فيه من طرف جمعية مستقلة منتخبة بصفة حرة) ثوب « الديمقراطية » عن طريق بعض النصوص التي تعطيه شكلا جميلا محاولين الإقناع بأن هناك دولة قانون. غير أنه على المستوى العملي لم يتغير شيء ملموس في المناهج المستعملة عادة.

وبالفعل، فالسماح للمواطنين بممارسة حقوقهم (المادة 40) عن طريق التشكيل الحر للأحزاب السياسية دون إعطائهم الوسائل الضرورية لممارستها، أي فرصة ستكون لهذه الأحزاب الجديدة لتتنافس مع جبهة التحرير الوطني بهياكلها ومنظماتها التابعة؛ أداة السلطة منذ 26 سنة، ولها وسائل إعلامية وعقارية ومالية ومادية على المستوى الوطني سخرتها لها الدولة دوما.

ماتزال جبهة التحرير الوطني اليوم تتمتع باحتكار الحقوق المكتسبة خلافا للقاعدة الديمقراطية مما يفسر خيبة الأحزاب الأخرى التي ينزع عنها بيد ما سُلم لها بالأخرى. كما في الماضي، هناك غش متعمد لهدف غير معلن تمثل في ضمان احتكار السلطة

مع إعطائها هذه المرة صبغة الشرعية عبر النصوص وهذا ما يفسر التذرع بالاستمرار في الخطط بمفهوم دولة القانون.

إن جبهة التحرير الحالية، بعد إعادة هيكلتها التي تلت آخر مؤتمر لها، تقوم بالعمل في كل الاتجاهات للبقاء في السلطة التي لاتحتمل تقاسمها مع الأحزاب الأخرى دون أن يكون لها موقع المسيطر. كان يمكن أن يكون ذلك طبيعيا ومشروعا من جانبها في ظرف تكون للأحزاب الأخرى نفس الوسائل التي تتمتع هي بها، الأمرغير الطبيعي هو الدعم المتواطئ الذي تستفيد منه بلا حدود من طرف القادة والمسؤولين الحاليين عن تنفيذ النصوص الدستورية الجديدة التي تؤدي إلى الدخول في عهد ديمقراطي.

الأحزاب الأخرى : « السرية » سابقا (حزب الطليعة الاشتراكية والإسلامويون) والمولودون حديثا (عشرون وأكثر).

يعمل حزب الطليعة الاشتراكية، هو أيضا، في ميدان مكتسب منذ زمن وتأثيره غير المعروف مؤكد. يتمتع مناضلوه ورثة الحزب الشيوعي الجزائري بنية حسنة، وهم جد ممارسين ومتفانين ومتمكنين من استعمال الوسائل العصرية في التنظيم.

الإسلامويون الذين لا إيمانهم ولا تفانيهم في حاجة إلى إثبات مازالوا يبحثون عن أنفسهم على المستوى التنظيمي وعلى المستوى السياسي القابل أن يجلب إليهم المواطنين المؤمنين الممارسين أو غير الممارسين. لقد أساءت التجربة الإيرانية إلى صورة الجمهورية الإسلامية كثيرا، وكان ذلك في غير صالحهم.

أما الأحزاب الجديدة (التي ليس لها برنامج جدي معروف ولا هيكل تنظيمي، فإن نشاطاتها في الظروف الحالية لن توصلها إلى أبعد من نطاق الحي أو المنطقة الأصلية.

لقد انطلق الانفتاح الديمقراطي بطريقة سيئة، إن فرص المواطن في ممارسة حقوقه ليست متكافئة للجميع، و في هذه الظروف تبدو المادة 40 كعظم رمي للأحزاب الأخرى للتلهي، في حين تستحوذ جبهة التحرير الوطني على حصة الأسد.

على كل حال، إذا كنا نريد حقيقة استرجاع الثقة الشعبية وتفادي أزمات انحراف مسار الدمرقطة فإن عقد مؤتمر مفتوح للجميع ولكل تركيبات جبهة التحرير الوطني لنوفمبر 1954 هي الفرصة الوحيدة الممكنة، مؤتمر من أجل بلورة مشروع ميثاق إرساء

وممارسة والدفاع عن الديمقراطية يبدو الطريق الحكيم الوحيد ؛ ميثاق تدون فيه القواعد الأخلاقية وأخلاقيات السلوك السياسي للمواطنين ومجمل الهيئة السياسية. ويمكن أن تتشكل هذه الهيئة من ثلاثة أحزاب تبرز عن طريق الانتخابات الحرة عبر البلاد لمدة عشر سنوات مثلا في البداية. وبعد ذلك مع اكتساب ممارسة قواعد الديمقراطية يمكن للشعب أن يستشار عن طريق استفتاء من أجل إعادة تأكيد القاعدة التي سنتها الأحزاب الثلاث أو لإقرار قاعدة جديدة. وستكتشف هذه الأحزاب بعضها عن طريق التلاقي والاحتكاك فيما بينها، وسيتميز الواحد منها عن الآخر بالبرنامج والفلسفة السياسية داخل مجلس تأسيسي جديد يتشكل من نواب منتخبين بصفة حرة عبر كل التراب الوطني.

بهذه الطريقة نتجنب أن نسقط في التطرف المعاكس والذي هو بنفس سلبية الحزب الواحد والذي يتمثل بتزايد عدد الأحزاب مما يؤدي إلى الخلط وتيهان المواطنين بخصوص القيام بخيارهم وفق معايير بسيطة وليست مشوشة.

في صياغة قواعد الأخلاقيات سأقترح من ضمن التوصيات التي يمكن أن تقدم مايلي :

1 ـ نبذ استعمال الكذب والغش والقوة لحل مشاكل المجتمع إلى الأبد.

2 ـ أن تكون لنا مناعة ضد عوامل التفرقة من أي إيديولوجية كانت سواء كانت ذات التيار الإقصائي التي لاتؤدي بنا إلا إلى الحرب الأهلية والفوضى وعدم استقرار الأمة.

وهكذا دواليك لتوصيات أخرى.

ولهذا الغرض سيكون من الضروري إنشاء هيئة مؤسَّساتية مشكلة من عدد من الشخصيات عالية التأهيل بمعرفتهم وميزاتهم الأخلاقية غير المشكوك فيهم والمتفانين والنزهاء. تكون مهمتهم الوحيدة هي السهر بصرامة على احترام القاعدة الأخلاقية المسَنّة والتي يمكن أن يساهموا فيها ويثرونها كحراس لها.

وهكذا عن طريق سير هذه الديمقراطية، سنبرز أن مقولة « من الشعب وإلى الشعب » ليست مجرد شعار ظرفي بل اختيار واع في مستوى الجزائر وآمالها

المجاهد 19 أفريل 1989

الكلمات المسطرة تعرضت لمقص الرقيب

الجزائر 21 سبتمر 1991

جبهة التحرير الوطني رمز أم أداة

كثير من الناس يستعملون ويبالغون اليوم في استعمال انتمائهم إلى جبهة التحرير الوطني كما أن كثيرا من الآخرين صاروا يدينون بدون بصيرة هذا العنوان.

لأسباب مشبوهة مازال بعضهم يعمل على الخلط العمدي بين جبهة التحرير الوطني التاريخية و »جبهة التحرير » السياسية. لقد تم تصور جبهة التحرير التاريخية فقط كوسيلة ضرورية في جمع مختلف القوى الشعبية (مختلف الأحزاب السياسية آنذاك ومختلف الحساسيات الثقافية والاجتماعية والنقابية) في جسد مكافح واحد من أجل تأدية مهمة محددة أي ـ كما يشير إلى ذلك اسمها جيدا ـ التحرير الوطني، أي استرجاع السيادة الوطنية المسلوبة من طرف المحتل المستعمر.

لقد أعادت السيادة الوطنية المسترجعة للشعب الجزائري كرامته وحقه في الوجود بين أمم العالم. ويرمز العلم الوطني لهذه السيادة.

يجب الملاحظة أنه بعد الإسلام الذي كان دعما أخلاقيا وروحيا قويا ورمزا لمقاومة شعب مضطهد في لغته وعقيدته خلال 130 سنة من الليل الاستعماري يأتي الرمز الثاني وهو العلم الوطني. إنه رمز موحد لمجمل الشعب الجزائري، لكل تشكيلته، مهما كان انتماؤه العرقي والسياسي والديني (كثير منا يجهل أن كثيرا من اليهود والمسيحيين كافحوا إلى جانب مواطنيهم المسلمين من أجل أن تحيا الجزائر حرة).

أما « جبهة التحرير » السياسية فهي متعددة. فبعد جبهة التحرير الوطني التاريخية، أداة التحرير الوطني تلتها « جبهات تحرير » أخرى. إنها جبهات تحرير

وطنية سياسية أدوات للتضليل، كانت هناك جبهة التحرير 1962 إلى 1965 ومن 1965 إلى 1978 ومن 1978 إلى يومنا الحالي 1991.

منذ الاستقلال حاولت « جبهات التحرير » هذه أن تنتظم وتعيد الانتظام، وتتهيكل وتعيد الهيكلة لإعطاء صورة جبهة التحرير الوطني لـ 1954. الجبهات التي تعلن بدون خجل انتماءها إليها، والتي أدت نتائج أعمالها بالبلاد إلى الإفلاس في كل المجالات، وذلك رغم سنوات الوفرة الناجمة عن البترول والغاز الذي يسبب غيرة كثير من البلدان. كلها عاشت في الدسائس وصراع العصب وغانغارينا الجهوية والمحسوبية وتصفية الحسابات المعروفة والتي ميزت 30 سنة من تاريخ الجزائر المستقلة. وبالتالي فبعد الإسلام الحامي، الرمز الأول للمقاومة ضد الاحتلال الاستعماري فالرمز الثاني الموحد لكل الشعب الجزائري هو العلم الوطني الذي أعطى الكثير من الجزائريين أحسن ماعندهم من أجله.

فمن أجل حب الجزائر ومن أجل انتصار ديمقراطية حقيقية، على الإخوة في جبهة التحرير الوطني الحالية (والتي لي بها كثير من الأصدقاء) أن يغيروا اسم حزبهم وليجعلوا أنفسهم في نفس صف الأحزاب الأخرى وبنفس الوسائل لا أكثر. وليعيدوا للدولة ماهو ملك للجميع وليس لهم الحق في الاستحواذ عليه بصفة غير شرعية. بكلمة واحدة، حان الوقت لتحرير جبهة التحرير التاريخية التي هي رهينة لجبهة التحرير السياسية.

وإلا كيف يمكن أن نلوم ونحن صادقين مناضلي الفيس(الجبهة الإسلامية للإنقاذ والتي لي فيها كثير من الأصدقاء أيضا) على استعمال المساجد لأغراض سياسية بنفس الطريقة غير الشرعية؛ لأن أماكن العبادة مقدسة وهي ملك للجميع بلا استثناء.

وجهة نظر

هناك جبهة التحرير الوطني و«جبهة تحرير وطني»

كثير من الناس يستعملون ويبالغون اليوم في استعمال انتمائهم إلى جبهة التحرير الوطني كما أن كثير من الآخرين صاروا يدينون بدون بصيرة هذا العنوان.

لأسباب مشبوهة مازال بعضهم يعمل على الخلط العمدي بين جبهة التحرير الوطني التاريخية و »جبهة التحرير » السياسية.

لقد تم تصور جبهة التحرير التاريخية فقط كوسيلة ضرورية في جمع مختلف القوى الشعبية (مختلف الأحزاب السياسية آنذاك ومختلف الحساسيات الثقافية والاجتماعية والنقابية) في جسد مكافح واحد من أجل تأدية مهمة محددة أي ـ كما يشير إلى ذلك اسمها جيدا ـ التحرير الوطني، أي استرجاع السيادة الوطنية المسلوبة من طرف المحتل المستعمر.

لقد أعادت السيادة الوطنية المسترجعة كرامته وحقه في الوجود بين أمم العالم. ويرمز العلم الوطني لهذه السيادة.

تجب الملاحظة، أنه بعد الإسلام الذي كان دعما أخلاقيا وروحيا قويا ورمزا لمقاومة شعب مضطهد في لغته وعقيدته خلال 130 سنة من الليل الاستعماري يأتي الرمز الثاني وهو العلم الوطني. إنه رمز موحد لمجمل الشعب الجزائري، لكل تشكيلته مهما كان انتماؤه العرقي والسياسي والديني (يجهل كثير منا أن العديد من اليهود والمسيحيين كافحوا إلى جانب مواطنيهم المسلمين من أجل أن تحيا الجزائر حرة). أما « جبهة التحرير » السياسية فهي متعددة. فبعد جبهة التحرير الوطني التاريخية، أداة التحرير الوطني تلتها « جبهات تحرير » أخرى. إنها جبهات تحرير سياسية،

أدوات للتضليل، كانت هناك جبهة تحرير من 1962 إلى 1965 وأخرى من 1965 إلى 1978 وأخرى من 1978 إلى 1988 ثم الحالية من 1988 إلى يومنا الحالي (مارس 1998) .

منذ الاستقلال حاولت « جبهات التحرير » هذه أن تنتظم وتعيد الانتظام، وتتهيكل وتعيد الهيكلة لإعطاء صورة جبهة التحرير الوطني لـ 1954 . الذين يعلنون بدون خجل انتماءهم إليها .

وأدت جبهات التحرير هذه بالبلاد إلى الإفلاس في كل المجالات، وهي مسؤولة بشكل كبير عن المأساة التي لا اسم لها والتي تعاني منها البلاد منذ أكثر من عشر سنوات .

كل جبهات التحرير هذه عاشت في الدسائس وصراع العصب وغانغارينا الجهوية والمحسوبية وتصفية الحسابات المعروفة والتي ميزت 36 سنة من تاريخ الجزائر المستقلة .

ولكي يكف هذا اللبس حبا في الجزائر وانتصارا لديمقراطية حقيقية غير منحرفة؛ على الناس الصادقين من جبهة التحرير الحالية (والتي لي فيها كثير من الأصدقاء) أن يغيروا اسم حزبهم وليجعلوا أنفسهم في نفس صف الأحزاب الأخرى وبنفس الوسائل لا أكثر. وليعيدوا للدولة ماهو ملك للجميع (الأملاك المتحركة وغير المتحركة) والذي ليس لهم الحق في الاستحواذ عليه بصفة غير شرعية .

يكفي، حان الوقت لتحرير جبهة التحرير الوطني التاريخية من جبهة التحرير الوطني السياسية. التي تبين فعلا ولمصيبة البلاد الكبرى أنها جبهة للتصفية الوطنية .

الوطن 8 مارس 1998

مشروع تدخل في مؤتمر جبهة التحرير سنة 1985

عن ميثاق 1976 ونقائصه والتعديلات التي يجب أن ندخلها لإثرائه وجعله يتواكب مع الوضع الحالي والمستقبل.

في 1976 وعن طريق ملاحظات مدونة في رسالتي، والتي أُورِد هنا نسخة منها، كنت قد لفتت انتباه المسؤولين آنذاك لإعطاء رأيي حول القضية.

لم أكن الوحيد بالتأكيد الذي أدلى بملاحظات مماثلة آنذاك، ولو كان قد تم تقبلها بشجاعة لكانت بلادنا قد جُنبت كثيرا من الآلام.

نلاحظ اليوم، أن هذا الميثاق قد تجاوزته الأحداث وهو في حاجة إلى تعديل، وهانحن إذا مجددا في مستوى النقاش والتشاور، علينا أن نفكر بهدوء وبجدية ودون انفعال لإدخال التعديلات الضرورية.

أنشأنا ميثاق 1976 وصادقنا عليه وساهم في تشكيل الدولة والأمة، علينا أن نعترف اليوم بالحاجة إلى تعديله بعمق آخذين بعين الاعتبار الوقائع بروح براغماتية كما يقال. لهذا الغرض لابد أن نأخذ بعين الاعتبار أن أكثر من نصف شعبنا لم يعرف الاستعمار ولم يشارك في صياغة هذا الميثاق. إذن لقد حان الوقت لإعطاء الكلمة لهذا النصف الآخر منا والذي يشكل أكثر من نصف البلاد.

هذا الميثاق الذي كيفناه وجعلناه يسير وفق الحزب الواحد، علينا أيضا أن نعترف أن الذي كان ذو فائدة خلال العشرين سنة الماضية صار خطيرا؛ ويبرر بالتالي تحولا عميقا يعكس التعطش الكبير للديمقراطية. ويسمح ببناء دولة عصرية محترَمة ومحترِمة في الداخل والخارج. إذا كنا قادرين على القيام بهذا التحول سيمكننا أن نقول بالفعل أن الثورة الجزائرية هي ثورة حية ودائمة وأصيلة؛ ثورة لاتكتفي

بالشعارات ولاتحاول أن تعطي تعريفا خاصا لإيديولوجيات تجاوزتها الأحداث ولم تكلل دائما بالنجاح وعلينا :

1 ـ مواجهة مشكل الشباب آخذين بعين الاعتبار المكانة التي يعود إليها في المستقبل.

2 ـ إنهاء حالة الدولة رب العمل.

3 ـ أن نتجنب كل عوامل التفرقة من أصولية وجهوية، التي لايمكنها إلا أن تؤدي بنا إلى الحرب الأهلية والفوضى (معارضة سيئة).

4 ـ نبذ استعمال الكذب والغش والقوة لحل مشاكل المجتمع إلى الأبد.

5 ـ جعل الجيش يلعب دوره الحقيقي كحامي للأمة ضد نفسها وضد مبالغاتها.

لهذا الغرض أصبح من الضروري صياغة ميثاق من أجل إرساء وممارسة وحماية الديمقراطية (ميثاق ينص على قواعد أخلاقيات سياسية وسلوكية للمجتمع ولمجمل الهيئة السياسية) ويمكن لهذه الأخيرة أن تتشكل من ثلاثة أحزاب تبرز عن طريق انتخابات حرة عبر البلاد لمدة 10 أو 20 سنة في البداية مثلا، وبعد ذلك مع اكتساب قواعد الديمقراطية يمكن للشعب أن يستشار عبر استفتاء من أجل تأكيد القاعدة التي سنتها الأحزاب الثلاث أو لإقرار قاعدة جديدة .

وهكذا، عن طريق تسيير هذه الديمقراطية سنظهر أنه ليست هناك دروس نتلقاها من ذلك الشخص الذي كان أول من كسر عنقها عند الاستقلال في 1962.

«نبذ استعمال الكذب إلى الأبد»
عن الديمقراطية وأحداث أكتوبر 1988

لم يكن لأحداث 5 أكتوبر أن تحصل لو أن الرئيس الشاذلي بن جديد تفضل بالأخذ بعين الاعتبار مساهمتي المتواضعة التي كانت تعبر عن الطابع الملح والمطلق لضرورة ترقية إرساء ديمقراطية كاملة وغير منقوصة التي تحتاجها البلاد.

تبعا لطلب استقبال لم يلب وتحضيرا لمؤتمر معلن لنهاية 1988 كنت قد قررت كعضو سابق من المجموعة التي اختارت الكفاح المسلح من أجل التحرير الوطني أن أرسل له في النهاية « رسالة مفتوحة » بتاريخ 11 أفريل 1988. كانت صرخة إنذار بالخطر متنبئة بمخاطر كبرى. وهي رسالة تم تجاهلها تحقيرا من طرف مجرمين مسؤولين آنذاك، والتي كانت سياستهم، المتمثلة في الغرور والتملص، قد أنجبت أحداث أكتوبر 1988 التراجيدية، هذا نصها :

إلى السيد رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

والأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني الشاذلي بن جديد

فخامة سيادة رئيس الجمهورية الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني والأخ العزيز،

اسمحوا لمناضل قديم بدأ يعمل في خدمة استقلال الجزائر سنة 1936 عن عمر 15 سنة والذي أعطى ككثير من الآخرين أحسن ماعنده من أجل أن تحيا الجزائر حرة، أن أتوجه إليكم برسالتي هذه :

حضرت آخر مؤتمر في ديسمبر 1985 ولم أتمكن، كما كنت أريد، من التدخل في النقاش لكي أعبر وأقول كل انشغالاتي بخصوص مستقبل بلادنا، هذا لأنني

رأيت أن الجو لم يكن موات من جهة ولكوني لم أكن أريد أن أبدو مستفزا أو مجنونا أو أُخلَط مع معارضة ما من جهة أخرى.

ذلك هو السبب الذي جعلني أرسل لفخامتكم برسالتين مؤرختين في 30 جانفي و15 ديسمبر 1986 أطلب مقابلتكم لأطرح عليكم رأيي في الموضوع ولكن عبثا حاولت.

بعد سنتين ونصف من الانتظار وبالرغم من نداءاتي المتكررة عند أمانة الرئاسة لم يعط أي جواب لطلبي . لهذا أتوجه إليكم سيدي الرئيس عشية المؤتمر القادم لأقول لكم الضرورة الملحة والمطلقة في ترقية ترسيخ ديمقراطية كاملة وشاملة في بلادنا إذا كنا لا نريد أن نخون مرة أخرى وللأبد الأمل الذي أوجده حدث وصولكم إلى السلطة.

في ديسمبر 1985 ناقش المؤتمر مراجعة الميثاق الوطني لسنة 1976؛ وتعد اليوم المشاكل ذات الطابع الهيكلي والاقتصادي والمالي والإداري المتعلقة بالزراعة والصناعة هي الموضوع الأهم لهذا المؤتمر. فمنذ 26 سنة تتالت عدة مؤتمرات بينما مافتئت الأمراض التي تمس المجتمع ومجمل حياة البلاد تتفاقم. بالطبع هناك تقدم أنجز في عدة مجالات ولكنه لم يتم دون أضرار كبيرة، وبإشراكنا الكامل لكل المواطنين بدون أي قيد وبتأييدهم المبني على الثقة المسترجعة يمكننا أن نفعل أحسن بكثير.

يكفي إذا أن نرجع إلى مخيلتنا الخاصة آخذين بعين الاعتبار تجربة ذلك الكم من سنوات الكفاح وثقافتنا الخاصة وتقاليدنا دون حاجتنا إلى أن نأخذ مرجعا من أي نظام أجنبي مناف لطبيعتنا.

عشية انطلاقة الثورة المسلحة مثلا كان من الضروري فرض حزب واحد (حزب جبهة التحرير الوطني) يجمع كل الحركات السياسية الوطنية الموجودة كإجراء استراتيجي؛ هذا ماسمح لنا بدمج عملنا في الكفاح ضد العدو لنضمن الانتصار النهائي.

عند استرجاع الاستقلال لم تعد هناك حاجة لبقاء جبهة التحرير الوطني؛ وجاء الدليل على ذلك ابتداء من الأيام الأولى حيث انكسر الإجماع الوطني نتيجة أزمة ثقة تعود أصولها للبعيد. وبالتالي فمن غير الطبيعي بالنسبة إلينا أن نستمر في نفي

البداهة ومواصلة حمل، على شق الأنفس، وبوسائل كبيرة حزب لم يبق له رابط حقيقي مع الشعب؛ ولايمكن أن يكون له ذلك لأنه لايتحاور سوى مع نفسه عبر هيئات من اختراعه : مجمل النقابات والتنظيمات والجمعيات الجماهيرية تدور في فلكه مشكلة مجرة لعالم آخر بعيد عن واقع البلاد، وتستمر بإعلان انتمائها لأنهج واختيارات أساسية قررها مؤتمر طرابلس سيء الذكر.

في الظروف التي نعرفها وخلاله تجاوزت التيارات بعضها بعضا في الديماغوجية مستعملة كل الوسائل الممكنة لتكون في الصف الأول قصد الاستيلاء على السلطة. وهو ما أوصلنا للأسف إلى أول انقلاب لذاك الذي يصر إلى اليوم على تعليمنا الديمقراطية.

نظامنا الحالي للحزب الأوحد يشبه بطريقة غريبة في هياكله التنظيمية والإدارية نظاما معروفا جدا : كان يرتكز على تاريخ تلك الشعوب التي كان لها رد فعل شرعي ضد البؤس والظلم الذي كان يفرضه عليها إقطاع منبعث منها مستغل بصورة بشعة ودون شفقة. ومن هذه الوضعية نتجت عندها، كرد فعل، ثورة فرضت ديكتاتورية البروليتاريا المؤدية إلى صراع الطبقات.

أما نحن فتاريخنا مختلف جدا؛ فقد عانى شعبنا مائة وثلاثين سنة من الاستعمار تحت نير عدو أجنبي احتل بلادنا نتيجة حرب طويلة وبعد عدة ثورات تم قمعها بالدم. واليوم بلادنا حرة بفضل الكفاح الذي قام به كل الشعب الجزائري بكل فئاته الاجتماعية : رجال ونساء، كبار وصغار دون استثناء. لم تسلم أية عائلة جزائرية من آثار الحرب أو لم تساهم بنصيبها فيها.

ما الذي يجمع إذا تجربتنا وتلك البلدان حتى نأخذها كنموذج؟ لقد تبنينا نظامها وأخذنا على عاتقنا كل طرق عيشها بكل المساوئ التي يحتويها وهو نظام أصبح أصحابه يناقشون اليوم كيف يخرجون منه. ونحن نريد أن ندخل فيه بشكل أعمق.

لقد حان الوقت لكي نثب بشجاعة وبثقة في أنفسنا وفي العبقرية الخلاقة لشعبنا التواق إلى العدالة والحرية والكرامة والذي له ماعانى. بثقته المسترجعة ومساهمته

السخية والتلقائية سنحقق حلم شهدائنا المتمثل في مجتمع سعيد في جزائر يطيب فيها العيش للجميع.

لكي نسترجع ثقة شعبنا ليس هناك غير طريق الديمقراطية التي لها مصداقية وحاملة للأمل. الذي يخشى الديمقراطية يخشى حكم الشعب. لماذا إذا أصبحت مقولة من الشعب وإلى الشعب مجرد شعار؟ ولمَ لا يكون هذا المؤتمر هذه المرة من أجل إرساء الديمقراطية؟

لكل هذه الأسباب يبدو لي من فائق الحكمة ومن الضروري جدا بلورة مشروع ميثاق من أجل إرساء وممارسة والدفاع عن الديمقراطية؛ ميثاق تعلن فيه قواعد أخلاقيات السلوك السياسي بالنسبة للمواطنين ومجمل الهيئة السياسية.

ويمكن لهذه الأخيرة أن تتشكل من ثلاثة أحزاب تبرز عبر انتخابات حرة في كل البلاد لمدة عشر سنوات مثلا، وفيما بعد مع استعمال القواعد الديمقراطية المكتسبة يمكن للشعب أن يستشار عن طريق استفتاء من أجل إعادة تأكيد القاعدة التي سنتها الأحزاب الثلاث أو لإقرار قاعدة جديدة.

في صياغة قواعد الأخلاقيات سأقترح من ضمن التوصيات التي يمكن أن تقدم :

1 ـ نبذ استعمال الكذب والغش والقوة لحل مشاكل المجتمع إلى الأبد.

2 ـ أن تكون لنا مناعة ضد عوامل التفرقة المتمثلة في الأصولية والجهوية التي لايمكن أن تؤدي بنا سوى إلى الحرب الأهلية والفوضى وعدم استقرار الأمة.

وهكذا دواليك لتوصيات أخرى.

ولهذا الغرض سيكون من الضروري إنشاء هيئة مؤسساتية مشكلة من عدد من الشخصيات عالية التأهيل بمعرفتهم وميزاتهم الأخلاقية غير المشكوك فيهم والمتفانين والنزهاء. تكون مهمتهم الوحيدة هي السهر بصرامة على احترام القاعدة الأخلاقية المسَنة والتي يمكن أن يساهموا فيها ويثرونها كحراس لها.

وهكذا عن طريق سير هذه الديمقراطية، لا يبقى لنا أي درس نتلقاه من أي طرف كان أو من أي نظام أجنبي كان، وسنبرز للعالم أن الجزائر قادرة على ابتكار ديمقراطية جديرة بأن تقدم كمثال.

في انتظار أول نوفمبر جديد في كنف الوحدة والثقة المسترجعة أرجو أن تتقبلوا سيادة رئيس الجمهورية والأمين العام لجبهة التحرير الوطني مشاعري الأخوية وموفور إخلاصي واحترامي العميق.

هذه الرسالة التي بقيت دون نشر بسبب الرقابة والتي مازال محتواها صالحا في الأساس في العمق وفي الروح (بالرغم من تأخر دام 17 سنة ضيعت من عمر البلاد) تستحق انتباه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة الذي أقترح أن يقرر بشجاعة صياغة مشتركة لميثاق من أجل إرساء الممارسة والدفاع عن ديمقراطية كاملة غير منقوصة.

لأن ممارسة الديمقراطية هي المخرج الوحيد اللائق والملح لإخراج البلاد من الأزمة المستمرة؛ وهي تسهل في نفس الوقت كل سياسة صادقة للمصالحة الوطنية في كنف السلم المسترجع وبالمشاركة المتحمسة للشعب في ممارسة حقوقه السياسية دون صدام من أجل إعادة بناء البلاد في كنف الحرية والعدالة والكرامة هي الأهداف الأساسية لأول نوفمبر 1954 والتي من دونها لايمكن أن يكون هناك سلم ممكن أو متصور.

الوطن ـ الأربعاء 5 أكتوبر 2005

3 ـ من أجل الديمقراطية والحريات

« يجب أن يُنظَر إلى رابطتنا كسلطة مضادة »

محمد مشاطي لجريدة الجزائر الأحداث

السيد محمد مشاطي غني عن التعريف، فهو عضو سابق في المنظمة الخاصة، كان مناضل الساعة الأولى حتى قبل إنشاء المنظمة الخاصة.

تقلد عدة مناصب عليا بعد الاستقلال كان آخرها سفيرا في بودابست، وفي الوقت الذي كان يستعد فيه للتقاعد طُلِب منه أن يكون عضوا في الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان، وهو أيضا عضو في مجلسها التنفيذي.

ويجيب هنا على أسئلة الجزائر الأحداث.

الجزائر الأحداث : لأي أسباب انخرطتم في رابطة حقوق الإنسان؟

محمد مشاطي : ناضلت كل حياتي من أجل العدالة والحق في الحرية والكرامة البشرية سواء داخل الحزب في السرية قبل الاستقلال وبعده خارج الحزب أي في إدارتي. بخصوص انخراطي في الرابطة لقد طلب مني أصدقاء أن أشارك في إنشائها وقبلت. وقلت لنفسي إن كانت هناك فكرة أناضل من أجلها فستكون حقوق الإنسان. قبولي يحركه أمل كبير في أن أرى بلادي ترقى إلى مستوى دولة القانون بأتم معنى الكلمة.

قلت لنفسي أيضا، أنه بعد ربع قرن من الاستقلال يكون الشعب الجزائري قد اكتسب نضجا سياسيا كافيا وهو يتمتع بحقوق اجتماعية كاملة لم تكتسبها حتى بعض البلدان الغربية. حان الوقت لقادتنا أن يعترفوا للمواطنين الجزائريين عن طريق تطبيق إعلان حقوق الإنسان وبالحقوق السياسية التي يمكن أن يتمتعوا بها في المستقبل.

الجزائر الأحداث : كيف ترون العلاقات بين رابطة حقوق الإنسان والسلطة السياسية؟

محمد مشاطي : يجب أن ينظر إلى رابطتنا كسلطة مضادة ليس بمفهوم الحزب السياسي الذي يريد أخذ السلطة بل لتكون ثقل توازن للسلطة ولكي تكون صمام أمن وأمان ولكي تقي من كل التجاوزات التي تمس المواطن في كرامته وأمنه وسلامته الجسدية والأخلاقية. كان شعبنا متعطشا دوما للحرية والعدالة لذا علينا أن نعمل كي تكون العدالة فوقنا جميعا. فيما يخصني، إذا كان علي الاختيار بين أمي والعدالة فسأختار بدون تردد العدالة. على الرابطة أن تكون مستقلة تماما عن السلطة وباقي المجتمع.

الجزائر الأحداث : كيف ترون علاقات الرابطة مع المؤسسات المماثلة على المستوى الدولي؟

محمد مشاطي : لقد اندهشنا لدى قراءة تصريح رئيس الفدرالية الدولية لحقوق الإنسان الذي أصدر أحكاما قيمية على رابطتنا قبل ولادتها وقبل حتى أن يطلع على تشكيلتها وبالخصوص قبل أن يراها في المحك. لقد باشرنا العمل في الجزائر وهمنا أن نكسب شرعيتنا من شعبنا بفضل عملنا الذي سيفرض ثقة الجميع وأصحاب النوايا الطيبة.

نصالح من مع من ؟

بخصوص النداء لمظاهرة من أجل المصالحة الوطنية المعلنة ليوم 17 فبراير 1992 .

كعضو من المجموعة المسماة 22 التي قررت انطلاق العمل المسلح من أجل التحرير الوطني، أرى من جهتي أن هناك رعونة ناجمة عن سذاجة سياسية أو شيء آخر من طرف المنادين إليها. بالفعل أي فكرة للمصالحة هي طيبة لحل الخلافات بين الناس.

لكن هل للإخوة المبادرين فكرة واضحة عن الخلاف وعن الناس الذين تجب المصالحة بينهم؟

فمصالحة من مع من؟ وفي أي مسألة؟ وكيف الوصول إلى ذلك؟ تلكم هي الأسئلة المبدئية التي يجب طرحها قبل أن ننادي « الملايين » من الناس للتظاهر.

هل فكر الإخوة مليا لبعد مبادرتهم والنتائج التي قد تترتب عنها بفعل هذا العمل الأخرق؟

في السياسة يستدعى الناس إلى التظاهر من أجل مفاهيم دقيقة وواضحة وليس من أجل فكرة غامضة وفارغة مهما كان البعد السخي للكلمة التي نستعملها.

ألم يفكر هؤلاء الإخوة المبادرين في أن كل مصالحة تستوجب مفاوضة تتطلب تنازلات متبادلة بخصوص أهداف مطلوبة من طرف المعنيين الذين يستوجب الإصلاح بينهم.

كل الإشكال هنا. لهذا أطلب بتواضع من الإخوة ذوي النية الطيبة أن يعدلوا عن هذا النوع من التظاهر الذي لن يأتي بأي شيء ملموس للمشاكل التي تعيشها الجزائر في هذا الظرف.

كوتيديان دالجيري ـالأحد 9 فبراير 1992

تصويب :

في نشرتنا للأحد الماضي أعطينا سهوا لمحمد مشاطي عضو مجموعة 22 وصاحب مقال « نصالح من مع من؟ » وظيفة رئيس رابطة حقوق الإنسان. في الواقع كان يتوجب قراءة « نائب رئيس سابق للرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان.

كوتيديان دالجيري 14 و15 فبراير 1992

اكتساب الديمقراطية لاسترجاع هويتنا

لم تشكل الهوية البربرية للشعب الجزائري أبدا شكا ولو ضئيلا عند الأشخاص العقلاء والمثقفين؛ فالأمازيغية والعروبة والإسلام تشكل معا البوتقة الأساسية لهويتنا، فغالبية الناس الذين يجهلون ذلك هم في حاجة إلى تنوير لا إلى تضليل.

ولتوضيح عرضي سأستعير هذه المقولة الحكيمة لصديقي مبروك بلحسين : « العروبة والأمازيغية والإسلام صفحتان لورقة واحدة لايمكن تمزيق واحدة دون إتلاف الأخرى ».

المطالبة بالاعتراف بهذه الهوية والعمل اليوم على إذكاء فتنة كبيرة حول اللغة ماهو إلا ذريعة لإرضاء طموحات غير معلنة عند بعض المبادرين بهذا المطلب الذي يعود إلى أواخر الأربعينيات.

هؤلاء قاموا بتنمية، ومازالوا ينمون، ذاتية جهوية مبنية على خصوصية لغوية تخص منطقتهم، ويعملون على تغذيتها عبر خطاب مغالط يتمثل في القول بأن المستعمر الفرنسي عمل على تفضيل تنمية اللغة العربية على حساب اللغة البربرية (لم يتم تفضيل اللغة العربية من طرف المستعمر الفرنسي، كما أن هذه اللغة لم تفرض علينا من طرف حفنة من الغزاة العرب، لقد فرضت نفسها رويدا رويدا كلغة للحضارة المسيطرة آنذاك. حيث كانت كل أنشطة المعرفة وقيادة الأعمال والتبادلات تتم باللغة العربية. أمام ديناميكية هذه اللغة وأسباب متعلقة بالظرف الثقافي والاقتصادي تركت اللغة البربرية المكان شيئا فشيئا للغة العربية عبر كل البلاد مما

جعل أغلبية الجزائريين ينسون اللغة الأصل في حين أن أقلية بسبب الوضع الجغرافي الخاص ـ من بين أسباب أخرى تمكنت من المحافظة عليها) .

في ذلك الوقت، طرح المبادرون الأوائل على اللجنة المركزية مشكلا أساسيا يتعلق بالنقائص الأكيدة للحزب على المستويات التنظيمية والإيديولوجية . وكان من بينهم تلاميذ شباب من ثانوية بن عكنون بالجزائر، مناضلون نشطون في حزب الشعب الجزائري / حركة انتصار الحريات الديمقراطية المتأثرون بالحزب الشيوعي (كان هذا الأخير يعمل على زحزحة حزب الشعب الجزائري وخطف تأثيره ـ وذلك أمر طبيعي ـ في أوساط الشباب المثقف من طلبة وثانويين) .

مُحرَّكين فقط باندفاع وحماس شبابهم، قاموا بطرح المشكل بصفة خرقاء وتم قمعهم بصفة خرقاء أيضا ونبذوا من طرف الأكبر منهم سنا في اللجنة المركزية وتم فصلهم بتهمة نشاطات تخريبية والمسماة « بربيريست » .

ونتيجة لذلك ترك هؤلاء المعارضون الشباب المشكل الأساسي الأعمق (النقائص السياسية) الذي طرحوه في البداية ليتشبثوا بما هو ثانوي : الفكرة الذريعة للاعتراف باللغة البربرية كلغة وطنية ورسمية والتي جعلوا منها هاجسا منذ ذلك الحين إلى اليوم، مجرجرين وراءهم في هروب إلى الأمام جيلا جديدا . هذا الجيل ليس له اليوم علاقة بالخلافات السياسية لقدماء قادة الحركة الوطنية : حزب الشعب الجزائري / حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ولا بالمشاكل الداخلية لهذا الحزب (مشاكل كانت سبب انفجاره في 1954 وتمزقه بين المركزيين والمصاليين ونشطاء المنظمة الخاصة) . ولم ييأس الشباب المعارض آنذاك الذي خاب ظنه في حزب الشعب الجزائري والتحق بعضه في الأخير بالحزب الشيوعي الجزائري .

إنها وقائع من التاريخ، ويعود للمؤرخين المؤهلين استخلاص النتائج الضرورية لكتابته .

مفهوم الهوية واللغة، كما بالنسبة للدين، لايجب أن يكون مطية للمزايدة السياسية . وطرحها في الشارع وفي الساحة العمومية يؤدي لامحالة إلى ردود فعل عاطفية غير متحكم فيها تؤدي دوما إلى أصولية الواحد أو الآخر .

كما أنه هل من المنطق المطالبة بشيء نكسبه في أنفسنا من نظام نقوم بإدانته على أنه « غير شرعي وغير صدقي »؟ وما الفائدة إذا في تغذية هذا التشنج المقلق وغير العقلاني؟ (فمثلا الحث على إضراب الدراسة في منطقة القبائل هو من ضمن السلوكيات الخرقاء) .

لايمكن لهذا الموقف غير العقلاني إلا أن يثير الفرقة ويؤجج العواطف بين إخوة يتكلمون أو صاروا لايتكلمون بلغة الأجداد التي كانت دوما لغة شفهية وليست مكتوبة على حد علمي .

علينا أن نستمر كما في الماضي، التكلم بدون عقدة هذه اللغة أو تلك، وهذه وتلك وتفادي السقوط في الفخ الذي استعمله دائما العدو لزعزعة وحدتنا الوطنية والتحكم هكذا في مصيرنا .

بالطبع، فحق الاختلاف ضروري ومفيد والتشبث العاطفي بلغة الأجداد أمر مشروع . وتعود مسألة تعليمها ـ كيف تدرس وأين تدرس وكيف تدرس؟ـ إلى التقنيين كما هو الحال بالنسبة للغة العربية؛ فإذا على الهيئات المعنية (رجال العلم داخل الجامعات والهيئات المؤهلة الأخرى) التي يمكنها نقاش ذلك بكل هدوء في كنف المصلحة الوطنية .

لهذا علينا تفادي عرض هذا الموضوع لنقاش دقيق في الشارع، لأنه يرمي، للأسف، مباشرة أو بصفة غير مباشرة إلى التعكير على الغالبية العظمى للشعب الناطق بغير البربرية والذي يتساءل غالبا عن الموضوع الحقيقي لهذا التشويش العبثي (والذي يشكل الكابح الأساسي لوحدة الديمقراطيين) .

من الواضح أن كل مجالات السياسة العامة للبلاد (ثقافية أو غيرها) فرضت علينا من طرف سلطة استبدادية وفي هذا الصدد أسمح لنفسي أن آخذ هنا مقولة حكيمة للأخ سعيد سعدي : « في المجال الثقافي كما هو الحال في المجالات الأخرى، لايمكن تصور الحل الحقيقي للمشاكل خارج إطار ديمقراطي . في حين أن هذا الإطار الديمقراطي غير موجود في بلادنا، فإذا ؟ » (في كتاب الثقافة والديمقراطية، نشر بارانتيز) .

وبالتالي لاشيء يجب أن يلهينا ويفرض علينا أهدافا أخرى غير الهدف الأساسي المتمثل في قطع الطريق على نظام الأوليغارشية المسؤول عن كل هذا الخلط وعلى كل نظام ديكتاتوري يود استخلافه، وخوض كفاح مرير من أجل نيل حقوقنا كل حقوقنا بدون استثناء، وذلك عبر ممارسة الديمقراطية والدفاع عنها؛ ديمقراطية حقيقية وليست محرّفة، منفتحة على المستقبل هو الضمان الأوحد للتطلعات المشروعة للشعب الجزائري بأكمله وبتنوعه في كل المجالات، مما يسمح ببروز مشروع مجتمع يليق بالجزائر الجديدة وآمالها.

ملاحظة : أدعو بكل تواضع رجال العلم المؤهلين في هذا المجال أن يمسكوا بهذا الموضوع الشائك ويعالجونه على مستواهم حتى نسحبه من توترات تناقضات الشارع والساحة العمومية.

الوطن، الخميس 9 فبراير 1995

المأساة الجزائرية، أو المعضلة المستحيلة

إن التراجيديا الجزائرية هي نتيجة مفارقة داخل النظام الذي حمل دوما في طياته، في نفس الوقت، السلطة والمعارضة : تيارات الرأي من العصرانية إلى الأصولية التي يعلن المجتمع المدني انتماءه إليها كانت موجودة داخل جبهة التحرير الوطني الحزب الوحيد مصدر كل ويلات البلاد.

بالأمس كانت الصراعات السياسية تدور داخل هذا الحزب، أداة السلطة، والذي كانت لجنته المركزية ومكتبه السياسي تحت تأثير ممثلي الجيش (ج وش) المتحكم في السلطة الفعلية. لم يكن لِأَمر أن يُعقد أو يُحل دون تأييد هذا الأخير المتواجد في كل مكان داخل مؤسسات الدولة. كانت صراعات العصب داخل حزب جبهة التحرير الوطني من دون محتوى إيديولوجي حقيقي؛ وكانت العُصب تتنافس على رضا الجيش للوصول إلى دوائر الواجهة الخارجية للسلطة التنفيذية(حكومة) أو التشريعية (المجالس على كل المستويات). كان الجيش يدعم عُصبة ما ثم أخرى حسب الظروف ومصالح المرحلة. ولم يكن حدث 5 أكتوبر 1988 الذي زعزع البنية عرضيا بل كان بمثابة مناورة لعصبة فلتت من أيدي مدبريها مما أدى إلى ثورة شعبية غير منتظرة. قامت الحركة الأصولية في غياب معارضة ديمقراطية في الميدان بالاستحواذ عليها لصالحها. زعزع الأثر المأساوي لهذا الحدث النظام الذي أصبح غير قادر على التسيير كما كان، وكان عليه إعادة تشكيل نفسه : فالجيش الذي سحب ممثليه من قيادة جبهة التحرير الوطني ترك وراءه حزبا في شكل قوقعة فارغة يتنافس عليه عدد من الطامعين المتعطشين للاستحواذ على بقايا هذه الأداة. وهكذا فنظام الأمس الذي كان يسير مختبئا خلف لباس تسمية الحزب صار اليوم مكشوف

الوجه. فالصراعات السياسية انتقلت مباشرة إلى داخل الجيش في حين أنه بالأمس كانت تتم مع شبه مشاركة وتأييد من المجتمع المدني الذي يزعم أنه ممثل من طرف الجبهة. كانت مهمة أصحاب القرار في الجيش، بومدين والشاذلي، سهلة حيث أن قراراتهم تؤخذ دون صراعات ظاهرية. منذ أحداث أكتوبر 1988 وبما أن الذي كان يؤدي دور ماص الصدمات لم يعد موجودا فصراع العصب للحفاظ على السلطة أو للاستحواذ عليها بين البومدينيين والشاذليين والآخرين أصبح يتم بصفة مكشوفة داخل الجيش ـ (وهي مؤسسة يفترض أن تكون فوق الصراعات السياسية كضامن للوحدة الوطنية والمؤسسات الجمهورية وسلامة الوحدة الترابية والاستقلال الوطني) حيث، وهذه هي المفارقة، تجتمع وللمصيبة الكبرى للبلاد السلطة ومعارضتها بكل تياراتها (بما فيها الأصولية الإسلامية) سواء كانت حقيقية أو انتهازية. ويستعمل هاذان الأخيران سلطة ومعارضة نفس العناصر لكي يقوما بالمزايدات : الوطنية، الجمهورية، الديمقراطية، الاشتراكية، البربرية، العروبة، الإسلام إلخ... وهي شعارات محرفة وصارت مشبوهة في امتحان الواقع. ووجد المجتمع المدني ـ الذي يتألم ويدفع غاليا ثمن أخطاء قادته ـ نفسه رهينة حيث ليس له خيار خارج الطاعون والكوليرا (الإبقاء على النظام القديم أو إرساء الأصولية الدينية). أمام هذه المعضلة فإن تتويج رئيس منتخب في الاقتراع العام هي أولوية وضرورة للقيام بقطيعة كلية مع النظام القديم : قطيعة تسمح آنذاك بفتح باب ملائم للخروج من الأزمة الحالية وتعطي الفرصة لجيشنا ليضطلع بدوره الحقيقي كحامي للأمة بعيدا عن الألاعيب والمعوقات الخطيرة للسياسة لكي ينبعث من جديد الأمل في مستقبل أفضل في كنف السلم المسترجع.

الوطن ـ 19 أكتوبر 1999

في أصول الأزمة الحالية

ولد نجم شمال إفريقيا، الذي كان أصل الحركة الوطنية الاستقلالية، سنة 1926 في وسط إثني ـ إجتماعي من المهاجرين الذين ليست لهم مؤهلات ثقافية أو مهنية وتنحدر غالبيتهم العظمى من مناطق محرومة.

وكانوا في الغالب من مناطق القبائل والأوراس مشكلين ما تحت البروليتاريا في تركيبتهم (عامل يدوي، بائع خضر وصاحب تجارة أخرى صغيرة ليست ذات أهمية) يعيشون في وسط مختلف عنهم بتشكيلته الاثنية الاجتماعية ودينه وتاريخه وعاداته وأخلاقه وتقاليده إلخ... كانت تسمية نجم شمال إفريقيا التي أعطيت له ذات طابع لاسياسي، مما يظهر جيدا أن الحزب الشيوعي الفرنسي لم يكن يود أن يجعل منه غير أداة ودعما إضافيا لحزبه في كل التظاهرات السياسية أو النقابية.

من المعروف إذا أن الحركة المنبثقة عن نجم شمال إفريقيا تطورت في وسط يختلف عنها وهي بالتالي تأثرت وحملت كل التأثيرات السلبية للحزب الشيوعي آنذاك : الشعبوية ونشاط البروليتاريا من أجل صراع الطبقات.

وهكذا ولدت الحركة الوطنية (نجم شمال إفريقيا الذي أصبح حزب الشعب الجزائري / الحركة من أجل انتصار الحركات الديمقراطية/ المنظمة الخاصة / اللجنة الثورية للوحدة والعمل) بعاهة أصلية ومُعوِّقا يضر بها مدى حياتها لأنها لم تر النور لأول مرة في البيئه المغذية لأرض المنبت بل ولدت في بيئة أجنبية كغصن من فرع للعمال المستعمَرين داخل الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي أنشأ فروعا في الهجرة وسط عمال الأهالي القادمين من المستعمرات بناء على تعليمة من الكومينترن (الاتحاد السوفييتي).

بهذا الصدد وفي إطار نشاطاته آنذاك كان الحزب الشيوعي الفرنسي يستعمل شعارات تدخل في إطار استراتيجية لاتتطابق أهدافها مع واقعنا كمستعمَرين ومع أهدافنا التحررية.

مع مرور الوقت أدت هذه الاستراتيجية للحزب الشيوعي الفرنسي إلى تولد الوعي عند مناضلي نجم شمال إفريقيا، ثم جاء قرار التكفل بالذات عبر إنشاء حزب مستقل خارج تأثير الحزب الشيوعي، وذلك مع استمرار الكفاح مع الطبقة العاملة من أجل الحقوق الاجتماعية على التراب الفرنسي.

أعيد إنشاء نجم شمال افريقيا المحل سنة 1936 في 11 مارس 1937 تحت تسمية حزب الشعب الجزائري الذي قرر أن يستقر في الجزائر.

تم حله من جديد خلال الحرب العالمية الثانية وأعيد تشكيله بعد أحداث 8 ماي 1945 باسم »حركة انتصار الحريات الديمقراطية « مع إضافة المنظمة العسكرية في سنة 1947 كفرع عسكري.

تطورت، للأسف، الحركة الوطنية (حزب الشعب الجزائري/ حركة انتصار الحريات الديمقراطية/ المنظمة الخاصة) في وضعية من الأزمات المتتالية منذ نشأتها سنة 1926 إلى انفجارها سنة 1954 محدثة تمزقا دراماتيكيا في القاعدة النضالية (الخلاف بين مصالي والدكتور لامين دباغين في 1946)، ثم بين اللجنة المركزية والعناصر المسماة « بربريست » في 1949 ثم بين اللجنة المركزية ومصالي شخصيا في 1954.

باءت محاولة اللجنة الثورية للوحدة والعمل في المصالحة بين مصالي واللجنة المركزية بالفشل، وهذا ما أدى بعد ذلك لاجتماع مجموعة « 21 » المسماة « 22 » (أعضاء قدامى من المنظمة الخاصة) التي قررت انطلاقة الكفاح المسلح.

بادرت بهذا الكفاح جبهة التحرير الوطني المنشأة حديثا بدفع من اللجنة الثورية للوحدة والعمل والتي دعت كل طاقات الشعب الجزائري من كل المستويات الاجتماعية وكل الآراء السياسية وكل المعتقدات وكل الرجال وكل النساء التواقين لاستقلال بلادهم أن يقوموا بالكفاح مع كل التضحيات المترتبة عن هذا العمل، بالطبع، وأيضا مع كل المخاطر التي عرفتها الحروب الثورية.

أدت جبهة التحرير الوطني مهمتها التحريرية في هذا الاطار، والأزمة الحالية التي تعيشها الجزائر هي قبل كل شيء سياسية وأخلاقية قبل أن تكون اقتصادية واجتماعية؛ وهي نتيجة لنظام الحزب الواحد الذي فرض بالقوة في حين أن الشعب لم يُدلِ أبدا برأيه حول هذا الاختيار. فالنظام الحامل، في نفس الوقت كل عيوب الحركة الوطنية وعيوب الحزب الواحد المبني على مفاهيم أجنبية مناقضة لعاداتنا وتقاليدنا والنافية أيضا لأصول ولتاريخ شعبنا، لايمكن أن يصل إلا إلى وضعية الانسداد التي تتخبط فيها بلادنا الآن.

اليوم، مع العهد الجديد المتمثل في تعدد الرأي وتعدد الأحزاب، هناك أمل كبير مسموح في حالة ما إذا تمكن ديمقراطيون من تشكيل جبهة موحدة ضد الأصولية الظلامية الإسلاموية. إن إرساء ديمقراطية حقيقية غير محرفة الضامنة للتطلعات المشروعة للشعب الجزائري بأكمله وبتنوعه ستسمح بتثبيت مشروع مجتمع جدير بالجزائر الجديدة وآمالها من أجل مستقبل من العدالة الاجتماعية والتقدم والعصرنة قادرعلى إدخال البلاد في ديناميكية القرن الواحد والعشرين.

الوطن ـ 17 أكتوبر 1999

ثقة، عدالة ومصالحة

لماذا كل هذه المصائب والآلام في الجزائر ؟ هل هو قدر محتوم على شعبها؟ أم هل هو نتيجة لسوء سلوك قادته؟ أو سوء سلوك من الشعب نفسه؟ هل كان بالإمكان تجنب هذا القدر الكارثي أم لا؟ ماهو أصل الداء؟

بالطبع أصل الداء معروف جيدا؛ فهو آت من السلوك السيء لقادته خلال مؤتمر طرابلس كئيب الذكر سنة 1962 . فقد فتحت النتائج السلبية لهذا المؤتمر الطريق أمام اللهث وراء السلطة، وإلى أول انقلاب لجيش الحدود مع بومدين (الحليف المؤقت لبن بلة) عند الاستقلال ضد السلطة الشرعية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية . أما الشعب فقد أقام الحجة في الماضي وأظهر عزته وبأنه على مستوى النضالات السياسية وممارسة الديمقراطية داخل الأحزاب السياسية والمنظمات النقابية حتى خلال الاحتلال بالرغم من قمع السلطة الاستعمارية وأيضا خلال سنوات حرب التحرير مما أثار إعجاب العالم بأسره .

إذا القادة هم الذين أخلوا بواجباتهم وهم بالتالي مسؤولون بسبب أخطائهم عن المأساة الحالية .

فكثير من التضحيات قدمها الشعب الجزائري منذ احتلال البلاد في 1830، وخلال المقاومة الباسلة التي قادها أجدادنا (عبد القادر وأحمد باي) ثم الثورات المتتالية التي جاءت بعد ذلك، حتى المرحلة النهائية للكفاح المسلح من أجل التحرير من طرف جبهة التحرير الوطني / جيش التحرير الوطني 1954 ـ 1962 .

كل هذه الكفاحات أدت إلى كثير من القتلى وآلام لاتعد ولاتحصى .

يكفي، حان الوقت لكي تقال الحقيقة لهذا الشعب الشهيد إذا كنا نريد حقيقة خدمة الجزائر قبل كل شيء وتثبيت المخرج من الأزمة الحالية بشكل جدي. ولكي تكون هناك مصداقية فهذا يتطلب شرطا أساسيا : استرجاع الثقة في مؤسسات الدولة ومسؤوليها. ويتطلب استرجاع الثقة هذه نقدا ذاتيا شجاعا ونزيها من أولئك وهؤلاء. النقد الذاتي من طرف المسؤولين السياسيين الذين أدوا بالبلاد إلى الانحراف ومن أولئك الذين قرروا استعمال العنف للوصول إلى السلطة.

استرجاع الثقة يتطلب أيضا الفصل الصارم والواضح بين الدين والسياسة وذلك من طرف الجميع سواء كانوا أحزابا سياسية أو سلطة.

ومن البديهي أن السلطة وجدت من السهل استعمال مادة الدستور التي تنص على « الاسلام دين الدولة » والتي تتحول فعليا إلى دين السلطة القائمة؛ كما أن بعضهم استعمل بصفة مغرضة المرجع إعلان أول نوفمبر 1954 المتعلق باحترام مبادئ الاسلام وهذا مخزي وغير لائق لأن أصحاب المبادرة وروح هذا الاعلان كان متوجها بصفة واضحة ودون لبس ممكن في اتجاه الانفتاح واحترام الاختلاف.

وبدون هذين الشرطين الهامين المتمثلين في1ـ النقد الذاتي للماضي. 2 ـ عدم استعمال الدين لأغراض سياسية لايمكن استرجاع الثقة ولا المصالحة الحقيقية والدائمة.

وستستمر مشاكل المجتمع كما في الماضي : البقاء في الحالات المعتادة « التغيير في ظل الاستمرارية »، وسنتحمل دائما غلو الخطاب الديني، خلط وتحريف سهل على الفئات الأكثر جهلا والمؤدي بالضرورة إلى « الفتنة ». تلك المأساة الكبرى التي لايزال المجتمع الاسلامي يعيش فيه منذ وفاة الرسول (ص).

الدين لله ولله وحده. لايمكنه أن يكون ملكا للدولة أو لأي شخص. وعلى الدولة أن تكون حيادية فهي ملك لمجمل الأفراد المشكلين للمجتمع. والمجتمع مسؤول عن صيرورة الدولة. أما الفرد فهو محاسب ومسؤول عن أعماله اتجاه المجتمع. وفيما يخص الدين لاأحد له الحق في مساءلة أحد في أي موضوع كان لأن كل شخص يتحمل وزره وحده أمام الخالق.

ولنؤكد مرة أخرى : الأزمة الحالية هي سياسية وأخلاقية قبل كل شيء « إنها نتيجة لنظام الحزب الواحد المفروض بالقوة عند الاستقلال ضد إرادة الشعب ».

أصحاب القرار المسؤولون عن التسيير لأكثر من 30 سنة من السلطة المطلقة لم يقدموا أدنى حساب إلى الشعب الذين يطلبون منه دوما صكا على بياض، مستعملين ومبالغين في استعمال ثقته التي تمت خيانتها كم من مرة. فعشرياتهم الثلاث في السلطة كانت كلها « سوداء » مثل سابقاتها.

وتتويج الرئيس ع . بوتفليقة اليوم ليس وليد صدفة، إنه ثمرة نضج طويل ناتج عن الصراعات الداخلية في الجيش. هذا الجيش الذي تذوق لذات السلطة تحت الحكم المطلق لقائده بومدين الذي عرف كيف يستعمله لفرض نفسه أمام الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية أولا ثم على القادة السياسيين الآخرين سواء من الجيل القديم أو الجديد جيل بوتفليقة حيث كانت النتائج الكارثية لمؤتمر طرابلس قد سهلت له المهمة.

إن بومدين هو الذي عرف في أول مؤتمر لجبهة التحرير في 1964 كيف يناور لتحسيس وكسب ثقة الضباط الفارين من الجيش الفرنسي وذلك بالدفاع عنهم قصد إدماجهم وإعطائهم ترقية شرعية داخل جيش التحرير الوطني الشعبي، مما جعل من أولئك الضباط سندا له بل مصدر تعبد لبعضهم.

هذا الجيش هو الذي كان قوته الأساسية ضد كل خصومه السياسيين بما في ذلك اعضاء مجلس الثورة الذين تخلص منهم الواحد بعد الآخر بمرور الوقت. كانت اللعبة سهلة بالنسبة إليه أكثر مما كانت لمن جاء بعده. ولكي يحافظ على مكانته كقائد كان هذا الميكيافيلي لايتردد أن يظهر بصفة سرية ميوله الحينية لهذا وذاك خالقا رغبات وبداية صراعات داخلية والتي كانت المقدمة لصراعات العصب.

منعت صراعات العصب للاستخلاف في السلطة عند موته سياسيين (الترشح الفاشل لبوتفليقة الذي عارضه يحياوي) من الوصول إلى الرئاسة وأعطت الذريعة الجيدة للجيش لكي يفرض رجله في شخص الشاذلي بن جديد الذي اختير بإجماع مهلهل من المسؤولين العسكريين. وهكذا تم إبعاد كل محاولة أخرى لاختيار رجل سياسي منبثق من المجتمع المدني على الساحة.

وأدى وصول الشاذلي بن جديد إلى تأجيج أكبر لصراعات العصب وتصفية الحسابات داخل السلطة والجيش. وأدت هذه الصراعات الداخلية مع مرور الوقت وتدهور وضع البلاد على كل المستويات إلى أزمة متعددة الجوانب وإلى انحلال السلطة العسكرية المسؤولة مع جبهة التحرير الحزب الواحد عن المأساة التي ليس لها اسم والمستمرة منذ 1988. ولنذكر أن أحداث أكتوبر 1988 كانت عملية مفبركة من عصبة ضد عصبة أخرى فلتت من تحكم أصحابها وأدت إلى مطلب إعادة النظر في السلطة ذاتها وفي أصحاب القرار.

فتحت هذه الوضعية غير المنتظرة الباب على ممارسة الديمقراطية والتعددية الحزبية في ظل الغموض والفوضى مما سمح للبعض باستعمال الديمقراطية لوأدها في المهد قصد إرساء نظام آخر عن طريق استعمال القوة، مرة أخرى : الأصولية الإسلاموية. المدان بنفس الحجم كالنظام القائم إن لم نقل أكثر. في حين أنه في الديمقراطية، الوصول إلى السلطة عن طريق الوسائل الشرعية يعطي الفرصة لكل مواطن ومواطنة للوصول إلى كل هيئات الدولة ليقوم بمهامه وفق قناعته.

ونتيجة لتدهور الوضع وبعد أن حاولوا كل شيء في الماضي لجأ المسؤولون العسكريون أصحاب القرار (الذين في مجالهم الدقيق أدوا واجبهم خلال وبعد ثورة التحرير) إلى استدعاء « الرجل المناسب في المكان المناسب » أي رجل سياسي محترف في شخص عبد العزيز بوتفليقة. وبالتالي علينا الآن أن نستخلص بشجاعة دروس التجربة المكتسبة لكي نعمل جميعا معا وبقناعة في اتجاه القيم الحقيقية، قيم الإنصاف والنزاهة التي هي وحدها تمكن للجهد والتقدم.

هكذا تعيش الجزائر وتخرج منتصرة ضد نفسها في ظل السلم المسترجع والمصالحة الوطنية المقبولة من طرف الجميع والمرجوة منذ مدة طويلة.

الوطن 16 فبراير 2000 ص 2

عن الأزمة الدائمة والانتخابات

تدوم الأزمة الكبرى التي تعصف بالجزائر منذ مدة طويلة، وهي ذات طابع أخلاقي أكثر منها سياسية واقتصادية واجتماعية؛ تعود أصولها إلى الخلافات التي مست بقوة الحركة الوطنية وأدت نتيجة المواجهة بين مصالي واللجنة المركزية إلى انفجار حزب الشعب الجزائري / حركة انتصار الحريات الديمقراطية،

وغياب الثقة والانسجام بين مناضليه.

مرتبطا ببروز اللجنة الثورية للوحدة والعمل، كان انطلاق الكفاح المسلح الذي تبع مايسمى باجتماع « 22 » اللحظة القوية لتجاوز التناقضات وركود الحركة الوطنية. اجتمع كل الوطنيين من حزب الشعب الجزائري / حركة انتصار الحريات الديمقراطية / الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري / الحزب الشيوعي الجزائري وجمعية العلماء حول جبهة التحرير الوطني للمبادرة الوحيدة التي كانت ذات معنى والتي أدت بالشعب الجزائري إلى التحرر. إذا كانت هذه القفزة النوعية قد أدت بإنجاز الهدف الأساسي الذي سطره الوطنيون فإن بداية مرحلة بناء دولة القانون والعدل التي كان يصبو إليها الجزائريون واجهتها باستمرار صراعات سلطة شرسة وبدون مبدأ، التي دارت بين قادة غير قادرين على دفن خلافاتهم لصالح مشروع دولة وتنمية تكون في مستوى التضحيات الجسام للشعب. هذه الصراعات بين قادة الثورة برزت بصفة مخزية في مؤتمر طرابلس حيث صدم أحمد بن بلة بكلامه البذيء الحضور وأفشل الاجتماع. سلوك غير لائق في العلن كان يشير لشراسة صراعات السلطة الدامية أحيانا، التي ستميز وتسود تاريخ الجزائر المستقلة. وأدى الركض دون جماح من أجل السلطة إلى الانقلاب ضد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الذي قامت به مجموعة وجدة »

وهي نواة من المغتصبين المدعومين من بن بلة الذي كان يريد إرضاء أطماعه فقط. ولنتذكر نتائجه في الأيام الأولى من الاستقلال. فقد أدى هذا الانقلاب ضد الشرعية إلى مواجهات دامية بين الاخوة من مقاتلين خرجوا لتوهم من الجبال والمتعطشين بعد حماس الانتصار للدخول في مرحلة جديدة من بناء الأمة.

منذ ذلك الحين يعيش الجزائريون المندهشون والمشمئزون والمحبطون في ظل تحريف القيم تميز بدخول أفراد متعطشين للسلطة إلى الساحة، في حين أن الذين صنعوا أول نوفمبر والذين قدموا له طردوا وقمعوا وحتى تمت تصفيتهم ليفسح المجال للديكتاتورية والنهب والمحسوبية والجهوية بدعم من مجموعات المزيفين. لقد تم تقاسم البلاد وتسخيرها لشهواتهم التي لاتشبع : ممتلكات كثيرة وأموال ضخمة باتت تشكل أساس عنجهيتهم.

باختصار، وبناء على هذه الممارسات المدمرة وهذا التحقير للشعب والخير والعدل الذي يرتكز عليها النظام المدان منذ 1962 إلى يومنا هذا، وهو نظام يستوجب استئصاله بصفة ضرورية ومطلقة حتى تتمكن البلاد من معاودة النهوض. هل تكون انتخابات الرئاسة لـ 8 أفريل القادم وسيلة لذلك؟

نعم، أنا أعتقد ذلك، فبالرغم من أن الثقة تمت زحزحتها باستمرار خلال الاستحقاقات الشعبية السابقة لأنها فبركت للمحافظة على السلطة القائمة وبالرغم من أن جبهة التحرير جزء من عمادة هذا النظام فالساعة خطيرة جدا وعلينا أن لانخطئ العدو.

فالرجل بن فليس المتشبث بمساره كرجل قانون وعضو مؤسس لرابطة حقوق الانسان، وفي ظل موازين القوة والرهانات الحالية هو المؤهل الوحيد الذي يمكنه قيادة التغيير الذي هو أكثر من ضروري : بل حيوي.

لوسوار دالجيري 2 و3 أفريل 2004 ص11

الوطن 2 و3 أفريل 2004

لوماتان 2 و3 أفريل 2004

من الحزب الواحد إلى التعددية الحزبية الأحادية

ماذا فعلنا لإعادة كسب ثقة الشعب؟ التظاهر بالدهشة أو الاندهاش جديا من غياب المعارضة منذ حصول آخر انتخابات رئاسية يعد من السذاجة الطفولية.

إن وجود معارضة حقيقية وسلطة مضادة تسمح بنشاط سياسي جدي على المستوى الوطني، تنتقد السلطة القائمة في ممارسة مهامها لإرغامها عن طريق اقتراحات جدية لبناء سياسة أخرى لم يتشكل أبدا. لم تكن هذه السلطة المضادة، التي كان يظن أنها ستمارَس مع وصول التعددية الحزبية وتعددية الرأي كانت توحي بانفتاح من أجل إرساء الديمقراطية التي تزيل نهائيا نظام الحزب الواحد، سوى خدعة.

إننا دوما تحت ديكتاتورية نظام تولدت من الحزب الوحيد والذي بعد تمرد أكتوبر 1988 وجد الجواب بتبني تعددية حزبية أحادية هي أيضا، وهاهو يحتل منفردا الساحة السياسية مع وليده التجمع الوطني الديمقراطي والمنظمات المعروفة التي تدور في فلكه، له وسائل ضخمة إعلامية ومادية وعقارية كاحتكار، حق مكتسب على مستوى التراب الوطني الذي لاتتمكن الأحزاب الأخرى مجتمعة أن تساويه.

ستقرأون فيما يلي بعض الفقرات المأخوذة من مقال صدر لي في الجريدة الوحيدة آنذاك أي المجاهد ليوم 18 أفريل 1989 والمندد بالتحايل المخزي والشيطاني في تطبيق قانون التعددية الحزبية عبر مادته 40.

إقرؤوا من فضلكم.. ستلاحظون أن لاشيء تغير في سلوك السلطة المخادعة إلى اليوم.

« ممارسة الديمقراطية وجبهة التحرير الوطني وجبهات التحرير والأحزاب الأخرى التي رهانها في الظرف الحالي يبقى متمثلا في المعركة من أجل السلطة السياسية.

تتطلب ممارسة الديمقراطية الوضوح والوفاء والتسامح من طرف أولئك الذين يدّعون الانتماء إليها حقا. ويكون إرساؤها بسيطا وسهلا عندما نمارسها بشفافية، وهي تصبح أصعب أكثر فأكثر عندما نعقدها عمدا كي نحافظ على المظاهر منها فقط.

لقد تشكلت جبهة التحرير الوطني لنوفمبر 1954 آنذاك كحزب واحد وكإجراء استراتيجي للسماح بجمع كل القوى الحية للشعب ودمج عملها في الكفاح ضد العدو من أجل استرجاع السيادة الوطنية المسلوبة وتحرير الشعب الجزائري لكي يمارس كليا حقوقه السياسية. لقد انتهت مهمتها الأساسية عند الاستقلال، ونجمت أزمة خطيرة بداخلها وتفككت ولم يعد استمرار وجودها بدون سبب مقبولا. فالمهم كان قد أنجز : استرجاع السيادة الوطنية.

منذ ذلك الحين تلتها جبهات تحرير وطني في ثلاث مراحل من 1962 إلى 1965 ثم من 1965 إلى 1978 ومن 1978 إلى يومنا هذا. حاول الجميع أن ينتظموا أو يعيدوا تنظيمهم، هيكلة وإعادة هيكلة ليعطوا لأنفسهم صورة جبهة التحرير لـ954 الذين يعلنون بدون خجل انتماءهم إليها والتي أدت نتائج أعمالهم بالبلاد إلى الإفلاس في كل المجالات. عاش الجميع في الدسائس وصراع العصب وتصفية الحسابات المعروفة والتي ميزت 26 سنة من تاريخ الجزائر.

واليوم مازال يُحرَّك باسم الوحدة الوطنية التي يراد صيانتها لتبرير إن لم يكن احتكار الحزب الواحد بالأمس على الأقل وضعية مسيطرة للحزب الحالي مع إدانة التعددية الحزبية متذرعين ب »عدم تفاهم » الأحزاب السياسية في اللعبة الديمقراطية. مع أن الأحداث المأساوية لأكتوبر 1988 قد قرعت أجراس الحزب الواحد مفندة بصفة قوية الأكذوبة الرهيبة. ولم يكن انفجار التمرد الشعبي هذا والذي كان مكبوتا لـ26 سنة في الواقع سوى نتيجة لأزمة ثقة جد خطيرة ناجمة عن كم كبير من الآمال المخيبة. ماذا تم فعله لاسترجاع ثقة الشعب ؟ إذا نظرنا إلى تزايد الوعود في خطب المسؤولين والنتائج التي وصلنا إليها لا يمكن سوى أن نكون مشككين. بالطبع تم، كيفما

اتفق، إلباس دستور (الذي كان يتطلب أن يعاد النظر فيه من طرف جمعية سيدة منتخبة بصفة حرة) ثوب « الديمقراطية » عن طريق بعض النصوص التي تعطيه شكلا جميلا محاولين الإقناع بأن هناك دولة قانون غير أنه على المستوى العملي لم يتغير شيء ملموس في المناهج المستعملة عادة.

وبالفعل، فالمادة (40) تسمح للمواطنين بممارسة حقوقهم عن طريق التشكيل الحر للأحزاب السياسية لكن دون إعطائها الوسائل الضرورية لممارستها، أي فرصة ستكون لهذه الأحزاب الجديدة لتتنافس مع جبهة التحرير الوطني بهياكلها والمنظمات التي تدور في فلكها؛ أداة السلطة منذ 26 سنة، ولها وسائل إعلامية وعقارية ومادية ومالية على المستوى الوطني سخرتها لها الدولة دوما. ماتزال جبهة التحرير الوطني اليوم تتمتع باحتكار الحقوق المكتسبة خلافا للقاعدة الديمقراطية مما يفسر خيبة الأحزاب الأخرى التي ينزع عنها بيد ما أعطي لها بالأخرى.

كما في الماضي، هناك غش متعمد لهدف غير معلن يتمثل في ضمان احتكار السلطة مع إعطائها هذه المرة صبغة الشرعية عبر النصوص وهذا ما يفسر التذرع بالاستمرار في الخطط بمفهوم دولة القانون. لقد انطلق الانفتاح الديمقراطي بطريقة سيئة.

إن فرص المواطن في ممارسة حقوقه ليست متكافئة للجميع، فالمادة 40 تبدو في هذه الظروف كأنها عظم رُمي للأحزاب الأخرى للتلهية في حين تستحوذ جبهة التحرير الوطني على حصة الأسد. بهذه الطريقة نتجنب أن نسقط في التطرف المعاكس والذي هو بنفس السلبية مثل الحزب الواحد والذي يتمثل في تزايد عدد الأحزاب مما يؤدي إلى الخلط وتيهان المواطنين بخصوص القيام بخيارهم وفق معايير بسيطة وليست مشوشة.

في صياغة قواعد الأخلاقيات سأقترح من ضمن التوصيات التي يمكن أن تقدم :

1 ـ نبذ استعمال الكذب والغش والقوة لحل مشاكل المجتمع إلى الأبد.

2 ـ أن تكون لنا مناعة ضد عوامل التفرقة من أي إيديولوجية كانت سواء كانت ذات التيار الإقصائي التي لاتؤدي بنا إلا إلى الحرب الأهلية والفوضى وعدم استقرار الأمة.

وهكذا دواليك لتوصيات أخرى.

ولهذا الغرض سيكون من الضروري لنا إنشاء هيئة مؤسَّساتية تتشكل من عدد من الشخصيات عالية التأهيل بمعرفتهم وميزاتهم الأخلاقية غير المشكوك فيهم والمتفانين والنزهاء. تكون مهمتهم الوحيدة هي السهر بصرامة على احترام القاعدة الأخلاقية المسنة والتي يمكن أن يساهموا فيها ويثرونها كحراس لها.

وهكذا عن طريق تسيير هذه الديمقراطية، سنبرز أن مقولة « من الشعب وإلى الشعب » ليست مجرد شعار ظرفي بل اختيار واع في مستوى الجزائر وآمالها.

الخلاصة إننا اليوم في نهاية 2004 وأحزاب ـ دولة جبهة التحرير الوطني / حزب التجمع الوطني الديمقراطي كالحزب الوحيد بالأمس مستحوذة على امتيازات مكتسبة بغير وجه حق تسيطر بصفة مطلقة وبدون خجل ولا تأنيب ضمير على المجال السياسي الحالي.

هذا هو السبب الذي لايسمح بأن تكون هناك معارضة ممكنة مضادة للسلطة مادام النظام الجديد مستمرا، نظام « التعددية الحزبية الأحادية وتبعاته والتي توصف بصفة غير نزيهة بالعنوان المجيد العائلة الثورية »

الوطن الأربعاء 8 ديسمبر 2004 ص 12

نداء استغاثة من أجل الجزائر

أيها المثقفون ورجال العلم، يا رجال الدين النزهاء، ويا ذوي الشجاعة الأدبية والأخلاقية تدخلوا !

إنه من واجبكم أن تفعلوا ذلك. لقد تألمت بلادنا الجزائر كثيرا، قولوا رأيكم في الخلط بين « الدين ـ السياسة » قولوا ذلك وأعيدوا قوله لتعليم وتحذير جاهل في هذه المادة.

فيا أيها المثقفون، لكم الواجب المطلق لكي تقولوا ذلك، فإن جعل الاسلام دينا للدولة أمر عبثي وخطأ جسيم يسمح عمليا بضمان الحق لمن هو موجود في السلطة باستعماله والمبالغة في ذلك بدون اكتراث. يجب أن لايكون الإسلام دينا للدولة. لايمكن أن يكون دينا للدولة، فالاسلام هو دين الله، هو دين محمد (ص) الإسلام دين الإنسانية، الإسلام ليس ملكنا سواء كنا دولة أو أفرادا بل نحن ننتمي إليه كأفراد. هل تم نسيان أن صحابة الرسول كلهم (باستثناء أبو بكر) اغتيلوا بسبب خلافات سياسية مستعملة المصحف (الدين). مرت قرون على ذلك الوقت ومازلنا نواصل العيش في الفتنة بينما يتقدم العالم ويزدهر دوننا، هذا هو السبب الذي يجعلنا نعمل على الفصل بين الدنوي والروحي بصفة مطلقة ومستعجلة إذا أردنا أن نتعايش مع بعضنا في تناغم جيد في سلم مع أنفسنا ومع الآخرين.

تستعمل السلطة، كما فعلت دوما، الدين لصالحها لاحتكارها أو البقاء فيها. انظروا ماذا تفعل السلطة اليوم؟ لم يكفها أنها استعملت المساجد وكل وسائل الدولة لنفسها فقامت بإعادة بعث الزوايا بل أنشأت زوايا جديدة بميزانية الدولة لأغراض تتعلق بسياستها والمتمثلة في البقاء في السلطة ضد الإرادة الشعبية المسلوبة. من

المؤكد أن الإسلام سيعيش وينمو في بلاد الغرب حيث حرية الفكر والتعبير (كما كانت أيام الحضارة العربية في إسبانيا) مضمونة ومحمية من دولة قانون والذي هو جد متقدم على البلدان المسلمة الأصلية بالطبع وبصفة أكيدة ولحسن الحظ لأن هذا هو المهم بالنسبة للإنسانية جمعاء.

الوطن ـ الأربعاء 14 سبتمبر 2005

4 ـ من أجل فلسطين

جمود عربي مخجل

بينما يتألم الشعب الفلسطيني ويكافح ينتظر العرب الآخرون من البلدان الأجنبية سلوكا أكثر عروبة منهم. ينتظر العرب الغرب الذي ينتظر العرب وهكذا دواليك ... إلى يوم الدين.

بينما الشعب الفلسطيني يتألم ويكافح يتكلم العرب. يتكلمون كثيرا ويبالغون حتى، ربما لحث البلدان الغربية على أن تفعل أفضل منهم في الدفاع عن الشعب الفلسطيني.

هناك من بين الشخصيات من لاتتردد في الإعلان عن مواقفها المؤيدة للغرب وتذهب إلى حد التصريح بأن بلدانها في الشرق الأوسط لها نفس أهداف الغرب : التصدي لتوغل الشيوعية. غير أنها تنسى أو تتناسى بأن البلدان الغربية لاتتحرك إيجابيا وبصفة فعالة إلا عندما يتعلق الأمر بالدفاع عن مصالح إسرائيل التي يعتبرونها في نفس مرتبة مصالحهم. لازال العرب لم يفهموا ذلك، أو هم يتظاهرون بعدم الفهم، هذا مخجل !

أما إسرائيل المدعمة بعدم اكتراث وجمود البلدان العربية فهي متأكدة كالعادة أنهم لن يتحركوا لتوقيف مجزرة الفلسطينيين وأنها ستنتهي بالتغلب على هؤلاء بإنهاكهم. وهي أيضا تعتمد على دعم الغرب وخاصة الدعم اللامشروط للولايات المتحدة الأمريكية. ولإسرائيل والولايات المتحدة مصالح مشتركة تدافعان عنها في المنطقة. وتستعملان لذلك استراتيجية محددة جيدا ومجربة جيدا وكانت دوما

جيدة الاشتغال. هذه الاستراتيجية هي نوع من السيناريو الموضوع لتلهية عالم البلهاء في الوقت المناسب وتتمثل في إبراز بعض النوايا الحسنة لجعل الناس يقتنعون بأن عندهم أو في هذا الحزب أو ذاك من هو مؤيد للتفاوض.

وبالتالي يتعين أن نحمي هذا الحزب بالسماح له بأن يتقوى على حساب الحزب الآخر الذي يفترض أنه أكثر تطرفا.

غير أنه يجب تفهم ذلك، هناك انتخابات قادمة وهي تربك، تارة في إسرائيل وتارة في أمريكا، إذا علينا الانتظار حتى تمر الانتخابات. والنتيجة : لقد ربحوا مزيدا من الوقت. وهناك أيضا لعبة المبعوثين الخاصين للرئيس الأمريكي المكلفين بتبليغ عرب المنطقة وإسرائيل رسالة ما تدعوهم كل على حدة إلى إعادة كامب دافيد. طلبت إسرائيل دوما منذ نشأتها التفاوض المنفصل مع كل واحدة من بلدان الجوار حتى يتسنى لها اللعب بمصالح بلد ضد بلد آخر. لهذا ترفض دوما فكرة المؤتمر الدولي.

إذا سارت الأمور فبها ونعمت وإن فشلت فبها ونعمت أيضا. فاللعبة بالنسبة لإسرائيل وأمريكا (على حساب العرب وعلى الخصوص على حساب الفلسطينيين الذين يتألمون) هي دوما كسب المزيد من الوقت والقيام بنفس السينما حتى يحين موعد الفيلم القادم.

ماذا ينتظر إذا هؤلاء العرب حتى يفهموا ويتحركوا أخيرا؟ عندما يحدث أن يقوموا بشيء فإنه لايتعدى أن يكون اجتماعات عادية للجامعة أو على مستوى القمة التي لاتسمن ولاتغني من جوع.

كل العالم يعرف في الأخير أنه لم يكن سوى كلام وكلام ثم كلام !! وتمر القافلة.

ماهي حقوق الإنسان الفلسطيني بالنسبة للغربيين؟ أين هي الكرامة بالنسبة للعرب؟ مخجل! مخجل!

على العرب أن يعلموا أن مسؤوليتهم أمام التاريخ وأمام الله ثقيلة إذا انتظروا من البلدان الأخرى سلوكا أكثر عروبة منهم. وليعلموا أن الصهيونية لها قوة اقتصادية ومالية وعلمية وإعلامية لاتقدر في الغرب وحتى خارجه. وليعلموا أنه في حالة ما

إذا حاول بلد ما بحسن نية أن يكون منصفا بين إسرائيل والعرب فهو لن يتمكن من ذلك. فلنتذكر سفن شيربورغ الشهيرة مثلا على أيام شارل ديغول العظيم الذي لم يكن لافي صالح القضية العربية ولا في صالح إسرائيل ولكن دوما خدمة للمصالح الخالصة لفرنسا.

إذا فلنكن واقعيين ولنكف عن الانتظار من الآخرين أن يكون لهم سلوك أكثر عروبة منا للدفاع عن مصالحنا. ولنقتنع أنه لا أحد يدافع عنك إن لم تدافع عن نفسك بنفسك.

علينا أن نتحرك بسرعة ضد الدعم اللا مشروط والمكرر للولايات المتحدة لإسرائيل عن طريق عمل جاد وملموس وأن لانضيع وقتنا بتمثيليتهم المعهودة.

للفلسطينيين أقول كونوا دوما موحدين للانتصار على العدو ولاتعتمدوا إلا على أنفسكم. إن نصركم لأكيد.

جان أفريك رقم 1430 ـ أول جوان 1988

من أجل أن تحيا فلسطين

يقود الشعب الفلسطيني كفاحا غير متكافئ منذ أكثر من نصف قرن ضد عدو وحشي، الصهيونية، ونظام حركته السياسية ذات الطابع العنصري والإجرامي والتوسعي والمهيمن.

كل يوم يمر على هذا الشعب الشهيد مُعلَّم بأعمال بربرية رهيبة لم يعرف مثلها في التاريخ حيث يقوم العدو بأعماله بكل ثقة وعنجهية دون الاكتراث بالصحافيين والشهود الآخرين في عين المكان وتغطيات التلفزيونات.

لاشيء يوقف عسكرهم عن القمع الشرس ضد شعب أعزل عاجز أمام آليات تدمير مساكنه وممتلكاته وقطع أشجاره المثمرة وتدمير الهياكل الناشئة. حتى قرارات تحقيق الأمم المتحدة ترفض بوقاحة (بعد مجزرة وتدمير مخيم جنين) حيث تجرأ شارون على التصريح باستخفاف : « لاأحد، أقول جيدا لاأحد له الحق في متابعة إسرائيل والشعب اليهودي أمام أية محكمة من شعوب العالم ». أثبت هذا النظام قدراته والتي هي كارثية على الشعب الفلسطيني قبل كل شيء وكذلك على بقية العالم أيضا. بطبيعتها تهدف الصهيونية إلى إبادة الشعب الفلسطيني الذي يمنع بمجرد وجوده تجسيد فكرة الهيمنة الإسرائيلية المتمثلة في إقامة مستوطنات والتوسع قصد بناء مشروع ذو مرجعية دينية يسمى ب »إسرائيل الكبرى ».

عمل الإبادة هذا ماهو إلا في بدايته، مع المساهمة المتواطئة والتي لاتقدّر للولايات المتحدة على المستويات السياسية والاقتصادية والمادية والمالية. أعمال البربرية هذه تتم يوميا تحت الأعين المفجوعة للعالم كله وعلى مايبدو بدون اكتراث من الغالبية

العظمى للشعب اليهودي مع أنه كان قد عاش في الماضي في أماكن أخرى وضعية مماثلة في حين أنه كان يعيش في سلم وحماية في البلدان العربية.

هذا السبب الذي يجعل إسرائيل تمنع عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم وتطلب منهم الاستقرار في البلدان العربية المجاورة. بهذه الطريقة سيفقدون هويتهم وسيكونون مجرد سوريين في سورية وأردنيين في الأردن وهكذا دواليك. حتى في إسرائيل لن يكونوا فلسطينيين بل عربا إسرائيليين. وهكذا يصبح الأمر واقعا، ولن يكون هناك حاجز الهوية الفلسطينية للمشروع الصهيوني.

وبالتالي إنه من الضروري على الفلسطينيين تكييف استراتيجية كفاحهم ضد الصهيونية بـ« الفلسطنة » مع إعطائها محتوى إيديولوجيا لكفاح ذي مدى بعيد يهدف إلى استرجاع الحقيقة التاريخية مع تفادي قيام أي خطأ من نوع فاشيستي كالذي تحمله وتفرضه الصهيونية. هذا لكي تعيش فلسطين ويعيش الشعب الفلسطيني مع جيرانه بما في ذلك إسرائيل إن أرادت ذلك.

ضد الصهيونية : الفلسطنة

كانت دولة إسرائيل، منذ نشأتها، وماتزال تشكل تهديدا مستمرا للسلم العالمي، مادام المجتمع الدولي، أي الأمم المتحدة، الذي أنشأ إسرائيل سنة 1947 لم يتحمل مسؤولياته.

لذا يقود الشعب الفلسطيني كفاحا غير متكافئ منذ أكثر من نصف قرن ضد عدو وحشي، الصهيونية، ونظام حركته السياسية ذات الطابع العنصري والإجرامي والتوسعي والمهيمن.

كل يوم يمر على هذا الشعب الشهيد مُعلَّم بأعمال بربرية رهيبة لم يعرف مثلها في التاريخ حيث يقوم العدو بأعماله بكل ثقة وعنجهية دون الاكتراث بالصحافيين والشهود الآخرين في عين المكان وتغطية التلفزيونات.

لاشيء يوقف عسكرهم عن القمع الوحشي ضد شعب أعزل غير قادر أمام آليات تدمير مساكنه وممتلكاته وقطع أشجاره المثمرة وتدمير الهياكل الناشئة. حتى قرارات تحقيق الأمم المتحدة ترفض بوقاحة (بعد مجزرة وتدمير مخيم جنين) حيث تجرأ شارون على التصريح باستخفاف : « لاأحد، أقول جيدا لاأحد له الحق في متابعة إسرائيل والشعب اليهودي أمام أي محكمة من شعوب العالم ». أثبت هذا النظام قدراته الكارثية على الشعب الفلسطيني قبل كل شيء وكذلك على بقية العالم أيضا. بطبيعتها تهدف الصهيونية إلى إبادة الشعب الفلسطيني الذي يمنع مجرد وجوده تجسيد فكرة الهيمنة الإسرائيلية المتمثلة في إقامة مستوطنات والتوسع قصد بناء مشروع ذو مرجعية دينية يسمى بـ « إسرائيل الكبرى ». عمل الإبادة هذا ماهو إلا في بدايته، مع المساهمة المتواطئة والتي لاتقدّر للولايات المتحدة على

المستويات السياسية والاقتصادية والمادية والمالية. أعمال البربرية هذه تتم يوميا تحت الأعين المفجوعة للعالم كله وعلى مايبدو بدون اكتراث من الغالبية العظمى للشعب اليهودي مع أنه كان قد عاش في الماضي في أماكن أخرى وضعية مماثلة في حين أنه كان يعيش في سلم وحماية في البلدان العربية.

هذا السبب الذي يجعل إسرائيل تمنع عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم وتطلب منهم الاستقرار في البلدان العربية المجاورة. بهذه الطريقة سيفقدون هويتهم وسيكونون مجرد سوريين في سورية وأردنيين في الأردن وهكذا دواليك. حتى في إسرائيل لن يكونوا فلسطينيين بل عربا إسرائيليين. وهكذا يصبح الأمر واقعا، ولن يكون هناك حاجز الهوية الفلسطينية للمشروع الصهيوني.

وبالتالي إنه من الضروري على الفلسطينيين تكييف استراتيجية كفاحهم ضد الصهيونية بـ« الفلسطنة » مع إعطائها محتوى إيديولوجيا لكفاح ذو مدى بعيد يهدف إلى استرجاع الحقيقة التاريخية مع تفادي قيام أي خطأ من نوع فاشيستي كالذي تحمله وتفرضه الصهيونية. هذا لكي تعيش فلسطين ويعيش الشعب الفلسطيني مع جيرانه بما في ذلك إسرائيل إن أرادت ذلك.

ملحق

رسالة عبد الرحمن غراس إلى مشاطي محمد

السكوت علامة الرضا، إنها مقولة تنطبق تماما على الوضعية التي تخصنا.

إذا كنا اعتقدنا حتى اليوم أن صمتا كريما هو أحسن جواب على افتراءات الذامين، فمن الحق القول أيضا أن سكوتنا أصبح لامبرر له اليوم.

وبالفعل كانت مجرد مسألة اختلاف رأي مع مسؤول حول مشكل أساسي والتي تم التكفل بها من طرف بعض أصحاب النوايا السيئة، وتم تأويلها بنية مبيتة للضرر بدأت حاليا تأخذ شكل افتراء بغيض.

هذه الإشاعة المصرة والمضرة في أكثر من جانب كان لها، على مايبدو، تأثيرا على بعض الأوساط الجاهلة بالموضوع وقد يضفى عليها غياب الرد من جانبنا مصداقية أكبر.

إنه من الضروري إذا من طرفنا بصفتنا فاعلين وشهود في الحدث محل الجدل أن نتدخل لنرد الوقائع إلى حجمها وحقيقتها.

بالفعل هناك في بلادنا أناس يعطون لأنفسهم صفة التاريخيين بينما كتاباتهم أو شهاداتهم لاتدور سوى حول أحداث صغيرة هامشية.

وعندما نعرف أنه حتى اليوم مايزال هناك فصل ثانوي من بين فصول أخرى ميزت مسار تاريخ الثورة يثير هذا الكم من التعاليق يجعلنا نفكر أن هذه المرحلة التاريخية من حياة بلادنا لم يكن فيها حدث آخر جدير بأن يبقى في الذاكرة.

إذا كان هذا الحدث التافه يبدو في أعين بعضهم أن له من الأهمية بحيث يستحق أن يجدد في كل فرصة فمن حقنا أن نطلب منهم أن يفسروا لنا أسبابه ونهاياته ولايكتفون بإعلان حكم ظالم ومجاني.

عما نتكلم بالتدقيق؟ بالتدقيق، عن مجموعة من المناضلين يلامون على أنهم أظهروا روحا استقلالية عندما طرحت عليهم مشاكل تتعلق بصلاحيتهم كما هو الحال للآخرين في مرحلة كان الانسياق سيدا.

إننا نفهم تماما مايحركهم. كثير من الذين كانوا بالأمس شخوصا ثانوية وأصبحوا اليوم من طلاب الشهرة يريدون إبراز أنفسهم ويتنافسون اليوم على الواجهة بوسائل غير شريفة. ليس في نيتنا أن نطعن في حق أي أحد في التعبير عن رأيه بخصوص واقعة يظن أنه يمتلك فيها جزءا من الحقيقة.

ولكن في هذه الحالة الدقيقة جدا يجب أن يترك التخمين المجال للموضوعية. للأسف في هذا المستوى من البحوث لايمكن تفادي تدخل شهادات مشكوكة غايتها الوحيدة إبراز الذات.

وبالفعل، فالتدخل في قضية لم نكن فيها حكما ولاطرفا، والمس بسمعة أشخاص نعرف أنها أكثر من محترمة يعود حسبنا إلى سلوك ذليل اتجاه أولئك الذين يُظن أننا ندعم قضيتهم. ويتعلق الأمر بمنظمة قسنطينة التي تكون حسب بوضياف قد تخلفت عشية انطلاق الكفاح المسلح.

إلى هذا المستوى هناك توضيح ضروري، نريد أن يُذكر لنا إسم مناضل واحد لم يلتحق بصفوف الثورة غداة أول نوفمبر؟ فحكم شخصي وضيق لبوضياف يجعل منا متخلفين أم لا، حسب قبولنا أورفضنا السير تحت إمرته. وهو أيضا تصور ديكتاتوري جعل منه قاعدة في علاقاته مع شركائه والذي لم يقبله منه بعض منا.

إن اختلافاتنا معه في نقاط التفاصيل المتعلقة بالمرحلة التحضيرية للثورة المسلحة كانت سبب إقصائنا من النقاش، وبعد ذلك أصبح الموقف النقدي والمسؤول لمجموعة من المناضلين الإطارات يصوَّر كأنه مجرد تهرب أمام الخطر.

ليس من الضروري، حسب رأينا، أن نذكر في هذه المناسبة أن نفس هؤلاء المناضلين المتهمين بهتانا كانوا رأس حربة مدة أربع سنوات في المنظمة الخاصة على المستوى الوطني، وفي نفس السياق نتساءل أيضا كيف يفسر هذا التحول عندما نعرف مقدار التضحيات التي قدمها هؤلاء لصقل هذه الأداة المسخرة خصيصا لهذه الثورة المسلحة التي لم يكفوا عن الإيمان بها ولو لدقيقة واحدة.

يجب الرجوع أبعد في مسار الأحداث لإيجاد الأسباب العميقة لاختلافاتنا الحالية مع بوضياف خصمنا الأساسي في هذه القضية وصاحب هذا الاتهام الشنيع.

نعود إلى مرحلة المنظمة الخاصة، منظمة شبه عسكرية كان هو المسؤول عنها والتي كانت تخضع إلى انضباط صارم. كان علينا آنذاك الطاعة في اتباع الأوامر وتنفيذها. في تلك المرحلة اكتسب بوضياف النزعة لكي يكون القائد الذي لا يناقش ولم يتمكن التخلص منها.

بعد ذلك بأربع سنوات تم تفكيك هذه المنظمة من طرف الادارة الاستعمارية. عن هذه المأساة سنترك للتاريخ دور تحديد قدر مسؤولية بوضياف التي تمكن إلى حد اليوم من إخفائها بدهاء. على كل حال، فالمأساة التي عاشها عدد كبير من المناضلين جراء هذا القمع هي ناجمة عن إحدى مبادراته الخرقاء.

وبالفعل، بين ليلة وضحاها وجدت العناصر المنتمية إلى هذه المنظمة السرية نفسها في وضعية الخارجين عن القانون، متروكين لأنفسهم مرفوضين من حزبهم الذي لم يعد يرى فيهم سوى خطرا بل تهديدا لوجوده الشرعي. بعد هذه المحنة الأليمة التي جعلتهم يعيشون الويلات، لم يعد يثق هؤلاء المناضلون، والذين لم يعد يربطهم بالحزب غير مُثُلهم، في مسؤول مهما كان.

بالفعل، فبعد التجربة، كيف يستمر إيمانهم في هذا العقد الأخلاقي الذي يفترض أنه يربط أعضاء حركة واحدة.

في هذه الحالة الدقيقة حيث كان يفترض أن يكون التضامن هو السيد شاهدنا إجراءات قمعية عمقت أكثر عزلتنا وبؤسنا الجسدي والمادي.

أصبحنا آنذاك بالنسبة لهؤلاء المسؤولين إرثا مُورِّطا. فإقصاؤنا من مجال نشاطاتهم صار ممرا ضروريا لاستراتيجيتهم الشرعية الجديدة.

في هذا الظرف كانت مسؤولية بوضياف كاملة. مع أنه كان يوجد في نفس الوضعية اللاشرعية التي كنا فيها عُين لكي يكون همزة الوصل بيننا وبين اللجنة المركزية غير أنه في الحقيقة كانت مهمته تتمثل في الحفاظ علينا بعيدا.

هذه الوضعية التي تميزه أدت به شيئا فشيئا إلى التماهي مع قادة الحزب حيث انخرط في سياستهم المتمثلة في التخلي عن العناصر المطاردة. ولم تكن حياة التشرد

التي كانت من نصيبنا لتحرك فيه ساكنا. وقد وصل بعض منا إلى درجة التسول لولا تضامن بعض المناضلين في القاعدة. تُرِك مرضى لمصيرهم، وكان يستقبل طلباتهم باحتقار والتي كان يفترض أن يبلغها نظرا لدوره كوسيط. تم تحقير كثير منا وجرحهم في كرامتهم بسلوكه المهين أو بتعاليقه المسيئة.

نظرا لهذه السابقة كان بوضياف قد فقد في أعيننا كل مصداقية. تواطؤه مع مسؤولي الحزب ودور الخديم (الخادم التابع) الذي اضطلع به إراديا كانت قد أقصته تماما.

خلال هذه الفترة، وصل انفجار الحزب ثم انقسامه إلى النهاية طارحا في نفس الوقت مشكل المرور إلى العمل المباشر خاصة بالنسبة للمناضلين القادمين من السرية.

كان لهذه الوضعية الخاصة، كتأثير حتمي، أنها أنهت كل سلطة وألغت كل السلالم وحررت كل واحد من أية وصاية. في هذا الظرف الخاص كان من البديهي أن يكون النقاش الذي سيفتح حاسما، وكذلك الحال بالنسبة إلى القرارات التي تتخذ والذي لايمكن أن تترك إلى تقدير رجل واحد أو مجموعة ضيقة.

غير أن بوضياف كان قد تصور مسبقا سيناريو يهدف حسب تخيله إلى إضفاء نوع من الشرعية حتى يستمر كما في الماضي، أن يقرر بصفة أحادية بالنسبة للجميع.

ولهذا الغرض جمع مجموعة من العناصر، الذين كانوا في الأغلب غير معنيين مباشرة بالقيام بتصويت، لتعيين خمسة مسؤولين، خلال هذه المسخرة التي كان يفترض أن تقوم بشبه انتخاب (كما نرى التأثير البسيكولوجي المنشود كان بديهيا) وحتى يؤثر على اختيارهم تحوط بانتقاء أربعة عناصر أخرى سبق أن اختارهم لترأس الاجتماع.

من جهة أخرى وبما أن التصويت كان سريا قام بوضياف بفرز الأصوات لوحده بدون مشاركة الحاضرين وأعلن نفسه ورفاقه الأربعة منتخبين بالطبع. بهذه الوسيلة التي لايمكن إلا أن ننعتها بغير الشريفة أظهر مرة أخرى غياب أي تقدير اتجاه شركائه.

وقام بتظليلهم، وبعض من هؤلاء ممن أدانوه فيما بعد هم اليوم متهمون بأنهم افتقدوا الشجاعة الكافية.

في الواقع كانت إرادتنا صلبة من أجل إنهاء الممارسات الناجمة عن مرحلة السرية، غير أن رفضنا القطعي لقبول الأمر الواقع رافقته اقتراحات تهدف إلى إدخال تصحيح بسيط في هذه اللجنة عبر توسيعها.

فنيتنا إذا لم تكن إعادة النظر في تشكيلتها كليا، والتي يستحق بعض من أعضائها كل التقدير، وإنما حتى يقبل فيها ممثلو المناطق الذين من الضروري أن مخطط الثورة يعنيهم؛ ومن بينهم منظمة قسنطينة ومنطقة الشمال القسنطيني. كانت اقتراحاتنا إجابة أيضاعلى خلفياته التي كنا نعرفها جيدا والتي كانت تهدف إلى إزالة كل قسنطيني من طريقه. وجعل الاقتراح الخاص بالشمال القسنطيني من زيغود يوسف مشبوها بأنه متواطئ معنا. ولأنه كان من الصعب إقصاؤه نظرا لتأثيره في المنطقة تم إلحاق ديدوش به.

المشكل الآخر الذي كان محل اختلافنا هو اختيار الوقت المناسب لانطلاق العمل المسلح. المبدأ كان مقبولا ولانقاش فيه، ولكننا حذرنا بوضياف الذي كان يميل إلى تاريخ قريب من أي قرار متسرع.

وبالفعل نتيجة للغموض السياسي الذي كان يسود آنذاك والذي له علاقة بانقسام الحزب وحالة التيه وانعدام الثقة التي كان يوجد فيها المناضلون عموما، كان من الضروري ـ حسبنا ـ القيام بعمل مسبق للتوضيح والشرح في صفوفنا على المستوى الوطني حيث كان من النادر أن تجد من كان يفهم النقاش الذي كان يدور من حوله.

ولكي يعطى لنا الحق اليوم يكفي أن نذكر عدد المناضلين الذين بقوا مترددين بعد أول نوفمبر متسائلين هل المصاليون أو اللجنة المركزية هم أصحاب هذه المبادرة. ونتيجة لأخذ توصياتنا بعين الاعتبار تخلفت عدة مناطق عن النداء لحظة الحسم. فمنطقة القبائل بقيت تابعة لمصالي عدة شهور بعد الفاتح من نوفمبر وذلك لقلة المعلومات قبل أن تلتحق. في المنطقة الوهرانية حيث تم إيفاد بن عبد المالك بقي هذا

الأخير معزولا نتيجة لعدم التحضير المسبق للأرضية لأمر الانطلاقة، وقد قتل في اليوم ذاته في منطقة مستغانم.

من جهة أخرى كنا نود معرفة رواية الأحداث كما يقدمها بوضياف لتبرير افتراءاته، مع معرفتنا أن اللوم الذي كان يوجهه لنا يتمثل في التشكيك في شجاعتنا، هذا الحكم الذي تجرأ أن يطلقه من دون أن يأتي بدليل يؤكد جيدا أنه غامر بالمساس بماضي رجال كان يعرف بأنه لالبس فيه. إننا نعرف بعضنا جيدا، حيث كنا معا مدة عشر سنوات من النضال مررنا خلالها بمحن عديدة كي نكون اليوم في حاجة لإثبات شجاعتنا. وهو أحسن من يعلم ذلك لولا حقده وضغينته كرجل تحركه أسباب غير خافية. وبدل أن يقدم الوقائع في شكلها الحقيقي، لم يجد حلا سوى اللجوء إلى التشهير وهو سلاح الجبناء المفضل.

بالمقابل من دون أن نغامر في مجال التشهير نحن قادرون على تذكير بوضياف ببعض الظروف.

قسنطية في 28 جوان 1982

عزيزي مشاطي

تبعا لاتصالك الهاتفي هاهي باختصار ملخص الظروف التي تم فيها اجتماع قسنطينة الذي حضره فضلا عن عناصر قسنطينة بن طوبال وديدوش.

أود أن أذكرك قبل ذلك أنني شخصيا كنت موجودا آنذاك بفرنسا، وكنت قد أعلمت برسالة من حباشي عن الوضع السائد بقسنطينة والتقيت بوضياف في الجزائر.

على كل الأسئلة التي كنت أطرحها عليه كنت ألقى الجواب الوحيد والمتمثل في الأمر بالعودة إلى فرنسا.

من جانبي أعلمته بنيتي في الذهاب إلى قسنطينة. وبالفعل، كان موضوع الاجتماع الذي تم بها هو المهزلة التي أدت إلى تعيين القيادة من طرف ال22 وغياب تمثيلية هؤلاء الآخرين. بالنسبة إلينا ومن دون أن نشكك في تشكيلة هذه القيادة كما كانت، كان مطلبنا أن يدخل فيها ممثلو المناطق التابعة لنا وحتى نضمن ذلك بصفة أكيدة كان لابد من انخراطهم.

وكنا نرى أيضا أن قرار الانطلاق وتحضيره على المستوى العسكري والسياسي يجب أن يعود إلى كل من سيلزمهم الأمر. وهما بالطبع مسألتان ذاتا أهمية قصوى وكنا في جهل تام بخصوصها.

من جهة أخرى ونظرا إلى الغموض الذي كان يسود آنذاك صفوف الحزب ونظرا أيضا للتيه الذي كان يتخبط فيه مناضلونا عموما، ونظرا على الخصوص للسرية التي كانت تميز التيار الثالث كان اقتراحنا يتمثل في القيام قبل كل مبادرة بعمل شرح وتوضيح على مستوى القاعدة. وكان ديدوش في هذا الصدد يقابل هذا الطلب

بالرفض دون حجة، وعند انتهاء هذا الاجتماع كان من البديهي عدم وجود خلاف أساسي بيننا، وعلي أن أقول أنه لولا تشدد ديدوش وتعنته لكان يمكن الوصول بسهولة إلى حل. وكان هذا ماجاهدت لشرحه لبوضياف عند عودتي إلى العاصمة والذي ظن أنه قدم تنازلا عندما أعلن لي استقالة بيطاط من القيادة.

بخصوص اجتماع لابوانت بيسكاد إنني أحفظ عنه ذكرى باهتة جدا من المرجح أن نفس المسائل تمت مناقشتها وفي الأخير كما ترى فالموضوع واسع، ولكي تتم معالجته بصفة جيدة يجب أخذه انطلاقا من منبعه والذي يعود إلى مؤامرة سنة 1950.

آمل لقاءك قريبا لكي نتكلم في ذلك عن قرب .

في انتظار ذلك أتمنى أن تكون بخير

أخويا عبد الرحمن

غراس عبد الرحمن

مصطفى كمال رحمه الله

عبد الحميد بن بادي

في السّابع عشر من رمضان المعظّم ختمت أنفاس أعظم رجل عرفته البشريّة في التّاريخ الحديث، وعبقريّ من أعظم عباقرة الشّرق، الّذين يطلعون على العالم في مختلف الأحقاب، فيحوّلون مجرى التّاريخ ويخلقونه خلقا جديدا.. ذلك هو « مصطفى كمال » بطل غاليبولي في الدّردنيل وبطل سقاريا في الأناضول، وباعث تركيا من شبه الموت إلى حيث هي اليوم من الغنى والعزّ والسّمو..وإذا قُلنا بطل غاليبولي، فقد قلنا قاهر الأنكليز أعظم دولة بحرية الّذي هزمها في الحرب الكبرى شرّ هزيمة لم تعرفها في تاريخها الطّويل..وإذا قلنا بطل سقاريا فقد قلنا قاهر الأنكليز، وحلفائهم من يونان وطليان وافرنسيّين بعد الحرب الكبرى، ومجليهم عن أرض تركيا بعد احتلال عاصمتها والتهام أطرافها وشواطئها..وإذا قلنا باعث تركيا فقد قلنا باعث الشّرق الإسلامي كلّه، فمنزلة تركيا الّتي تبوأتها من قلب العالم الإسلامي في قرون عديدة هي منزلتها فلا عجب أن يكون بعثه مرتبطا ببعثها.. لقد كانت تركيا قبل الحرب الكبرى هي جبهة صراع الشّرق إزاء هجمات الغرب، ومرمى قذائف الشَّرَهِ الاستعماري والتّعصب النّصراني من دول الغرب، فلمّا انتهت الحرب وخرجت تركيا منها مهشّمة مفكّكة، تناولت الدّول الغربيّة أمم الشّرق الإسلامي تمتلكها تحت أسماء استعماريّة ملطّفة، واحتلّت تركيا نفسها واحتلّت عاصمة الخلافة وأصبح الخليفة طوع يدها وتحت تصرّفها، وقال الماريشال اللّونبي - وقد دخل القدس -« اليوم انتهت الحروب الصّليبيّة »..فلو لم يخلق الله المعجزة على

يد « كمال » لذهبت تركيا وذهب الشّرق الإسلامي معها، ولكنّ « كمالا » الّذي جمع تلك الفلول المبعثرة فالتفّ به إخوانه من أبناء تركيا البررة ونفخ من روحه في أرض الأناضول حيث الأرومة التّركية الكريمة وغير ذلك الشّعب النّبيل، وقاوَم ذلك الخليفة الأسير وحكومته المتداعيّة، وشيوخه الدّجالين من الدّاخل، وقهر دول الغرب وفي مقدّمتها إنكلترا من الخارج..لكنّ « كمالا » هذا أوقف الغرب المغير عند حدّه وكبح من جماحه وكسر من غلوائه، وبعث في الشّرق الإسلامي أمله وضرب له المثل العالي في المقاومة والتّضحية فنهض يكافح ويُجاهد، فلم يكن « مصطفى » محي تركيا وحدها بل محي الشّرق الإسلامي كلّه. وبهذا غيّر مجرى التّاريخ ووضع للشّرق الإسلامي أساس تكوين جديد، فكان بحقّ ـ كما قلنا ـ من أعظم عباقرة الشّرق العظام الّذين أثروا في دين البشرية ودنياها من أقدم عصور التّاريخ.

إنّ الإحاطة بنواحي البحث في شخصيّة « أتاتورك » (أبي التّرك) ممّا يقصر عنه الباع ويضيق عنه المجال، ولكنّني أرى من المناسب أومن الواجب أن أقول كلمة في موقفه إزاء الإسلام، فهذه هي النّاحية الوحيدة من نواحي عظمة « مصطفى أتاتورك » الّتي ينقبض لها قلب المسلم ويقف متأسّفا ويكاد يولّي « مصطفى » في موقفه هذا الملامة كلّها حتّى يعرف المسؤولين الحقيقيين الّذين أوقفوا « مصطفى » ذلك الموقف..فمن هم هؤلاء المسؤولون ؟.. المسؤولون هم الّذين كانوا يمثّلون الإسلام وينطقون باسمه، ويتولّون أمر النّاس بنفوذه، ويعدّون أنفسهم أهله وأولى النّاس به، هؤلاء هم خليفة المسلمين، شيخ إسلام المسلمين ومن معه من علماء الدّين، شيوخ الطّرق المتصوّفون، الأمم الإسلامية الّتي كانت تعدّ السّلطان العثماني خليفة لها، أمّا خليفة المسلمين فيجلس في قصره تحت سلطة الإنجليز المحتلّين لعاصمته ساكنا ساكتا، أستغفر الله بل متحرّكا في يدهم تحرّك الآلة لقتل حركة المجاهدين بالأناضول، ناطقا بإعلان الجهاد ضدّ « مصطفى كمال » ومن معه، الخارجين عن طاعة أمير المؤمنين، وأمّا شيخ الإسلام وعلماؤه فيكتبون للخليفة منشورا يمضيه باسمه ويوزّع على النّاس بإذنه، وتلقيه الطّائرات اليونانيّة على القرى برضاه يبيح فيه دم « مصطفى كمال »، ويعلن خيانته ويضمن السّعادة لمن يقتله، وأمّا شيوخ الطّرق الضّالون وأتباعهم المنوّمون فقد كانوا أعوانا للإنجليز وللخليفة الواقع تحت

قبضتهم يوزّعون ذلك المنشور ويثيرون النّاس ضدّ المجاهدين..وأمّا الأمم الإسلاميّة الّتي كانت تعدّ السّلطان العثماني خليفة لها فمنها ـ إلاّ قليلا ـ من كانوا في بيعته فانتقضوا عليه ثمّ كانوا في صفّ أعدائهم وأعدائه، ومنها من جاءت مع مستعبديها حاملة السّلاح على المسلمين شاهرة له في وجه خليفتهم فأين هو الإسلام في هذه (الكليشييات) كلّها ؟ وأين يبصره « مصطفى » الثّائر المحروب، والمجاهد الموتور.. منها ؟. لقد ثار « مصطفى كمال » حقيقة ثورة جامحة جارفة ولكنّه لم يكن على الإسلام وإنّما ثار على هؤلاء الّذين يسمّون بالمسلمين، فألغى الخلافة الزّائفة وقطع يد أولئك العلماء عن الحكم فرفض مجلّة الأحكام واقتلع شجرة زقّوم الطّرقية من جذورها، وقال للأمم الإسلاميّة عليكم أنفسكم وعليّ نفسي، لا خير في الاتّصال بكم ما دمتم على ما أنتم عليه، فكوّنوا أنفسكم ثمّ تعالوا نتعاهد ونتعاون كما تتعاهد وتتعاون الأمّم ذوات السّيادة والسّلطان. أمّا الإسلام فقد ترجم القرآن لأمتّه التّركية بلغتها لتأخذ الإسلام من معدنه، وتستقيه من نبعه، ومكّنها من إقامة شعائره فكانت مظاهر الإسلام في مساجده ومَوَاسِمه تتزايد في الظّهور عاما بعد عام حتّى كان المظهر الإسلامي العظيم يوم دفنه والصّلاة عليه تغمّده الله برحمته.. لسنا نبرّر صنيعه في رفض مجلّة الأحكام، ولكنّنا نريد أن يذكر النّاس أنّ تلك المجلّة المبنيّة على مشهور وراجح مذهب الحنفيّة ما كانت تسع حاجة أمّة من الأمم في كلّ عصر لأنّ الّذي يسع البشريّة كلّها في جميع عصورها هو الإسلام بجميع مذاهبه لا مذهب واحد أو جملة مذاهب محصورة كائنا ما كان وكائنة ما كانت. ونريد أن يذكر النّاس أيضا، أنّ أولئك العلماء الجامدين ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا غير ما عرفوه من صغرهم من مذهبهم وما كانت حواصلهم الضّيقة لتتسّع لأكثر من ذلك، كما يجب أن يذكروا أنّ مصر بلد الأزهر الشّريف مازالت إلى اليوم الأحكام الشّرعية ـ غير الشّخصيّة ـ معطّلة فيها، ومازال (كود) نابليون مصدر أحكامها إلى اليوم، ومازال الانتفاع بالمذاهب الإسلاميّة في القضاء ـ غير المذهب الحنفي ـ مهجورا كذلك إلاّ قليلا جدّا، نعم إنّ « مصطفى أتاتورك » نزع عن الأتراك الأحكام الشّرعية وليس مسؤولا في ذلك وحده وفي إمكانهم أن يسترجعوها متى شاءوا وكيفما شاءوا، ولكنّه رجع لهم حرّيتهم واستقلالهم وسيادتهم وعظمتهم بين أمم الأرض، وذلك ما

لا يسهل استرجاعه لو ضاع، وهو وحده كان مبعثه ومصدره، ثمّ إخوانه المخلصون، فأمّا الّذين رفضوا الأحكام الشّرعية إلى (كود) نابليون فماذا أعطوا أمّتهم ؟ وماذا قال علماؤهم ؟ فرحم اللّه « مصطفى » ورجح ميزان حسناته في الموازين، وتقبّل إحسانه في المحسنين وإلى الأمّة التّركية الشّقيقة الكريمة الماجدة، الّتي لنا فيها حفدة وأخوال، والّتي تربطنا بها أواصر الدّين والدّم والتّاريخ والجوار، والّتي تذكر الجزائر أيّامها بالجميل وترى شخصها دائما ماثلا فيما تركت لها من مساجد، ومعاهد للدّين الشّريف والشّرع الجليل. .إلى تركيا العزيزة نرفع تعازي الجزائر كلّها مشاركين لها في مصابها راجين لها الخلف الصّالح من أبنائها، ومزيد التّقدم في حاضرها ومستقبلها، وإلى هذا فنحن نهنّئها برئيس جمهوريتها الجديد (عصمت إينونو)، بطلا (إينونو) ومؤتمر لوزان وثنيّ « مصطفى كمال »، وإنّ في إجماعها على انتخابه لدليلا على ما بلغته تركيا الكريمة من الرّشد في الحياة الّذي تبلغ به ـ إن شاء اللّه ـ من السّعادة والكمال، ما يناسب مجدها القدوس، وتاريخها الحافل بأعظم الرّجال وجلائل الأعمال« .

الشهاب
رمضان 1357هـ
نوفمبر 1938م

الإسلام في حداد

أكبر مسلم في الأزمنة الحاضرة توفي بالقسطنطينية.

لاتُدخل وفاة مصطفى كمال رجل حرب ورجل دولة تركيا في حداد فحسب بل كل المسلمين التواقين للتقدم والحرية.

إن « أب تركيا » هو في الواقع مؤسس مدينة الغد المسلمة التي لن يكون من دونها لكل الرجال من الديانة الاسلامية سوى البؤس والمهانة والتعصب والعبودية.

فالدولة العلمانية والفصل الصارم بين الكنيسة والدولة وتحرير المرأة : تلك هي المبادئ الكبرى التي أتى بها الفقيد الشهير وهي مبادئ على كل المسلمين أن يطبقوها إذا أرادوا أن لايبقوا محكوم عليهم بالتخبط في انحطاط لانهاية له.

فلنبك وفاة هذا الاصلاحي الكبير ونتمنى، على مثال عمله، أن تقف الشعوب المسلمة لإنجاز الاصلاحات، بنفس الشجاعة ووضوح الرؤيا، والتي من شأنها إعادة بعث جمع بشري إلى الحياة العصرية كان ينوء بمخلفات سقيمة وبائدة لماض مادي وأخلاقي ولى إلى الأبد.

ف . عباس

الوفاق رقم 97 ـ 17 نوفمبر 1938

بون في 8 سبتمبر 1964

إلى السيد رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

سيدي الرئيس

لي الشرف أن أعلمكم بكل احترام بما يلي :

أنا أعرف أنني عندما أخاطبكم سيادة الرئيس أنني أتحدث في نفس الوقت إلى رئيس الدولة والأمين العام للحزب لهذا كنت أود أن لاأحرجكم بمشاكل أخرى فضلا عن تلك التي عليكم عبؤها الكبير.

غير أن الظروف تفرض علي اليوم بعد أن استعملت كل الطعون الممكنة أن أكتب إليكم لكي أوضح لكم هنا عن توجساتي بخصوص سوء التأويل الذي يمكن أن يعطى داخل وزارتنا للخلاف الذي أعيشه مع السفير حفيظ كيرمان منذ أكثر من سنة.

بالفعل كوني لايمكنني أن أسهب كتابيا في أمور دقيقة جدا كهذه صبرت وانتظرت أن تعطى لي الفرصة حتى أذهب إلى الجزائر لكي أطرح خلافي على شخص مؤهل لسماعي في هذا الموضوع. للأسف كل طلبات الاستقبال من أجل الحديث مع المسؤولين بالوزارة لم تلق استجابة وشعرت في كل مرة بنوع من التضايق عند أولئك الذين كانوا يجيبونني ليعربوا عن استحالة استقبالي من طرف الشخص الذي كنت أود التحدث إليه.

منذ شهر قررت أن أكتب إلى الوزير شخصيا ـ تجدون مرفقا نسخة من الرسالة ـ حتى ألفت بصفة خاصة انتباهه وأن أسمع من طرفه لكن بدون جدوى.

ماذا يمكنني أن أفهمه من كل هذا؟ أن سفيرا يمكن أن يسمع له متى أراد وعلى مرؤوسيه سوى الصمت؟ وأنه بالتالي مادام السفير قد أعرب عن رأيه شفهيا أو كتابيا فهذا يعني أن المسؤولين قد حددوا رأيهم..

أخشى فقط أن تترسخ على مستوى الوزارة فكرة أن كلمة القنصل - (وهنا لا أعرف إن كان القنصل أو المناضل هو المستهدف)- أصبح مرادفا لإنسان مزعج حتى لانقول أكثر، وبالتالي فالعقوبة التي تنزل عليه أن نحسسه بهذه الطريقة بكل التحقير الذي لدينا اتجاهه.

ما الذي يبرر هذا السلوك من طرف مسؤولينا؟

التحجج بسوابق ربما؟ ولكن لاتوجد أي سابقة مؤسفة يمكن أن تذكر. وعلى كل حال بالنسبة لي ليست لي أية سابقة. إذن هل من الحق أن تشكل فكرة أو يُدان شخص بمجرد سوابق لآخرين.

أظن أن كل هذه الاعتبارات والطرق هي التي تشكل الأسباب الأساسية لسوء التفاهم الذي أدى إلى الخلاف بين المنظمة (لن أقول الحزب) والوزارة من جهة أخرى. وينتج الآن عن هذه الوقائع أنه لايحكم على أحد أو على شيء إلا انطلاقا من فكرة محددة مسبقا وهذا لايمكنه إلا أن يؤدي إلا إلى قرارات مؤسفة.

في هذه الحالة أفترض أنها كل الأسباب التي تفسر السلوك الذي اتخذ معي والذي ينتظرني. وما أخشاه أيضا وبالخصوص أنه قد يوصل ربما إلى تشكيل فكرة خاطئة عن خصالي النضالية وعن مفهومي للنضال. وهذا هو السبب الذي يجعلني واع بواجبي ومسؤولياتي، أود أن يُعرف أن هناك شيئا واحدا ذو معنى بالنسبة لي وأجعله فوق كل شيء وهو كرامتي كإنسان وخصالي النضالية. وبالتالي أعتبر أن المناضل لم يكن وليس ولن يكون أبدا الطفل المدلل للحزب أو النظام لأنه اختار وقبل بصفة إرادية أن يكون السند الضروري للحزب والثورة، كما لايمكن أيضا أن يكون عبدا او خادما لبعض المحظوظين من القدر.

بعرضي عليكم هذه الوقائع سيادة الرئيس، أردت بكل بساطة لفت انتباهكم وإعلامكم بالوضعية خشية أن تقدم لكم بطريقة أخرى من وراء ظهري. وإلى هذا وإذ أشكركم لعنايتكم وتاركا لكم أن تفعلوا ماشئتم برسالتي اسمحوا سيادة الرئيس أن أبلغ فخامتكم معالي احترامي وتقديري الكبير.

محمد مشاطي

بون في 10 اوت 1964

السيد وزير الشؤون الخارجية

سيدي الوزير

كوني في نزاع مفتوح مع السفير لأسباب لايمكنني عرضها في هذه الرسالة لي الشرف أن أبلغكم باحترام، تظلمي بأن أعرض عليكم الوقائع التالية :

بعد أن عينت كقائم بالأعمال لتحضير فتح سفارتنا الحالية ببون ووصول وتنصيب السيد السفير تم تعييني كمستشار وأبقيت في نفس السفارة لأساعد قائد الموقع في عمله.

بالطبع بالنسبة لي وكما هو الحال من دون شك بالنسبة للوزارة كان يفترض أن أكون المساعد المباشر للسفير ليس فقط بالرتبة بل أيضا بالوظيفة، أي أن أكون مطلعا كليا على سير سفارتنا سواء على المستوى السياسي أوالإداري وأنه في غياب قائد الموقع أكون قادرا أن أضطلع بكل مسائلنا وأن أعلم حكومتنا. هذا ماكان يفترض أن يكون دوري في هذه السفارة ولكن ليس هو الحال حاليا. ولم يكن يفترض أن يكون ذلك في أي مرحلة منذ تنصيب السفير. منذ وصوله بدأ في تشكيل مملكته الكبرى مستعملا كل الحيل لإبعاد الأعضاء الذين لايليقون به وإدخال شيئا فشيئا، لكي يعينهم فيما بعد، « أناسا على مقاسه » ليس خدمة لمصالح بلادهم ولكن كي يخدموا أنفسهم ويخدمون الشخص الذي وظفهم أي السيد السفير.

اليوم وبعد توضيحات ظننت أنها أخوية وبعد ثلاث شبه اجتماعات تمت منذ أكثر من ثمانية أشهر وبعد عام من التجربة والانتظار رأيت من المفيد لفت انتباهكم لهذه الأوضاع التي أرادها وخلقها السفير لعزلي وإبعادي أقصى مايمكن عن شؤون

السفارة حتى يتسنى له القيام في مملكته بكل الأعمال القذرة التي تليق به دون أن يزعجه شاهد....

على كل حال أترك لكم سيادة الوزير الحكم على سلوك، أقل مايقال عنه أنه، غريب من سفير اتجاه الذي كان يفترض أن يكون معاونه الأقرب.

أما أنا فإنني أدين هذه السلوكات غير النزيهة، وأنني مستعد لكي أُسمع من أجل تبيان سلوكات أخرى. وبالتالي أنا حريص على إعلامكم مادمت لم أستشر في أي شيء لاأريد أن أعتبر كأنني مرتبط بوظيفة لايترك لي منها سوى الاسم وأعلمكم أيضا أنني لم أكن مشاركا أو مسؤولا بأي درجة كانت عن كل ماتم أو سيتم في هذه السفارة.

في انتظار أن يستمع إليّ في هذه القضية أطلب منكم أن تأخذوا طلبي بعين الاعتبار وأن تتقبلوا سيادة الوزير كامل احترامي وتقديري.

محمد مشاطي

الجزائر في 26 جويلية 1965

إلى السيد عبد العزيز بوتفليقة وزير الشؤون الخارجية

سيادة الوزير.

راغبا في التحدث إليكم عن قضية في غاية الدقة عن طريق عرضها على الانتباه الخاص لسلطتكم العليا، لي الشرف أن أطلب منكم أن تخصصوا لي لقاء لهذا الغرض.

في انتظار جواب إيجابي تقبلوا فائق احترامي وتقديري.

محمد مشاطي

الفهـــرس

المقدمة 09

تمهيد 11

I ـ طفولة فقيرة 13

1 – الوسط، المدرسة 15

2 – الأحداث الهامة لسنوات 1921 و 1938 19

II ـ حلقة اللواء السابع للمشاة الجزائريين 25

1 – التجند العسكري 27

2 – الحرب العالمية الثانية 1939 ـ 1945 27

III ـ النضال في حزب الشعب الجزائري 33

1 – البدايات بقسنطينة 35

2 – النضج السياسي 38

3 – المنظمة الخاصة 41

IV ـ قائد منطقة للمنظمة الخاصة 43

1 – التعيين في عمالة الجزائر 45

2 – قائد ناحية بالجنوب الوهراني من 1951 إلى 1953 54

V ـ اختلافات في الرؤى وخلافات بخصوص انطلاق الكفاح المسلح 59

1 – انفجار الحزب ونتائجه 61

2 – اجتماع الجزائر 65

VI ـ فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا 73

1 – الإقامة بليون 75

2 – مسؤوليات بفدرالية جبهة التحرير بفرنسا 79
VII ـ سنوات السجن 87
1 – الاعتقال 89
2 – في السجن 91
VIII ـ محن ثورة 95
1 – الحرية 97
2 – في وزارة الشؤون الخارجية 100
خلاصة 103
كلمة الختام 105
التنظيم 109
مقالات كفاح 117
1 – اقتراحات ومساهمات في المسائل الكبرى والنقاشات الوطنية 119
2 – عن جبهة التحرير، الحزب – الدولة 168
3 – من أجل الديمقراطية والحريات 183
4 – من أجل فلسطين 209
ملحق 217

أنجز طبعه على مطابع
Chihabprint – باتنة